

الرقم ١٧٣٦

مجموع به ٣ كتب

كتاب

منهاج العابدين

شرح الإمام العالم العلامة

سيدي محمد الغزالي

نفعنا الله من بركاته وبركات علومه

آمين

نوبة الانتفاع به للعبد الاحقر محمد بن عبد الله حميد [illegible] ثبته الله على الكمال منهاج [illegible] السيد عمر بن عقيل [illegible]



وفيه ايضا
شرح المعرفة وبذل النصيحة
للمحاسبي
رحمه الله

وفيه ايضا
اداب المريد
للسهروردي
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر واعن يا كريم

قال الشيخ الامام الاوحد حجة الاسلام شرف الايمة زين الدين
ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله الحمد لله الملك الحكيم
الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور
في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح
للقاصدين والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى اله الابرار الطيبين
وصحبه اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله
وايانا بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبد
وبضاعة الاوليا وطريق الاقويا وقسم الاعزة ومقصد ذوي الهمة
وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار اولي الابصار وهي سبيل
السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال
تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها
وتاملنا طريقها من مباديها الى مقاصدها التي هي اماني سالكيها
فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات
بعيدة المسافات عظيمة الافات كثيرة العوايق والموانع خفية المهالك
والمقاطع غزيرة الاعدا والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع
وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الى الجنة فيصير تصديقا لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار
حفت بالشهوات وقال صلى الله عليه وسلم الا وان الجنة حزن بربوة
الا وان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف
والزمان صعب وامر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير
والعمر قصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة

هي الزاد فلا بد منها وهي عاقبة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد
ابد الابدين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع
الهالكين فصار هذا الخطب اذن والله معضلا والخطر عظيما ولذلك
عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز من القاصدين من سالكه
ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم
الاعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم
بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنساله
جلت قدرته ان يجعلنا واياكم من اوليك الفايزين برحمته ولما
وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فامعنا النظر في كيفية
قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والالة والحيلة
من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن توفيق الله في سلامة ولا
ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله
فصنفنا في قطع هذه الطريق وسلوكها كتبا كاحيا علوم الدين
والقربة الى الله عز وجل وغير ذلك احتوت على دقايق من العلوم
واعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم
يحسنوه فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا هو
اساطير الاولين الم تسمع الى قول زين العابدين علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب عليهم السلام ورضي الله عنهم اجمعين
يا رب جوهر علم لو ابوح به • لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي • يرون اقبح ما ياتونه حسنا
واقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله بعين
الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان
يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراته الانتفاع

فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على اسرار
ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت لي
في اسرار معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله
التوفيق ان اول ما ينبه العبد للعبادة ويحركه لسلوك طريقها
خطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق الهي وهو المعني بقوله
سبحانه وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واشار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فقال ان النور اذا
دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من
علامة يعرف بها قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت فاذا خطر ببال العبد
اني اجدني منعما بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق
وسائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار
والافات وان لها منعما يطالبني بشكره وخدمته وان اغفلت
ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني باسه ونقمته وقد بعث الي رسولا
ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر اخبرني بان
لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما يامر وينهى قادرا على ان يعاقبني
ان عصيته ويثيبني ان اطعته عالما باسراري وما يختلج في افكاري
وقد وعد واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن
اذ لا استحالة لذلك في العقل باول الفكرة فيخاف على نفسه عند ذلك فيفزع
فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة
ويزعجه الى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويتقلق
وينظر في طريق الخلاص وحصول الامان لما وقع في قلبه او سمع فلم
يجد فيه شيئا سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة

على

وملاك العبادة والخدمة لله عز وجل على العلم وهكذا يكون نظر اولي
الابصار واهل التاييد والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة
لا تحصل للعبد ولا تسلم الا بالعلم فيلزم اذن تقديمه في شان
العبادة واما الخصلة الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم
النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه
حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة
كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله تعالى وليس وراء هذين
مقصد للعبد في عبادة الله سبحانه فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك
طريق الاخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ولعلك ان
تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه
انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض
لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة
فاعلم ان العلوم التي طلبها فرض في الجملة ثلاثة علم التوحيد
وعلم السر اعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة
واما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم
التوحيد مقدار ما تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها عالما
قادرا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات
الكمال منزها عن دلالات الحدث منفردا بالقدم على كل محدث
وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به
عن الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة ثم ما يلي
في شعائر السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله تعالى
ما لم يات به كتاب ولا اثر فتكون في دين الله سبحانه على اعظم خطر

وجميع ادلة التوحيد موجود اصلها في كتاب الله سبحانه وقد ذكرها
شيوخنا رضي الله عنهم في كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات
وعلى الجملة كلها لا يابى من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض ولا
يسوغ لك تركه وبالله التوفيق واما الذي يتعين فرضه من علم
السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى
والاخلاص والنية وسلامة العمل وعامة ذلك ياتي في كتابنا هذا
ان شاء الله عز وجل واما علم الشريعة فكل ما تعين عليك فرضه فعله
وجب عليك معرفته لتوديه كالطهارة والصلاة والصيام واما الحج
والجهاد والزكاة ان تعين عليك وجب عليك علمه لتوديه والا فلا فهذا
حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث
لا بد لك من ذلك **فان قلت** هل يفترض علينا ان نتعلم من علم التوحيد
ما انقض به جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض جميع
البدع والزمهم حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية وانما
يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير وكذلك لا
يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقايقه والاتيان على جميع
مسايله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح
في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام
المقنع واياكم والمماراة والمجادلة فانها داء محض لا دواء له فاحترز
منه جهدك فان من ارتداه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته
ولطفه ثم اعلم انه اذا كان في كل قطر داع من دعاه اهل السنة يحل
الشبهة ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي قلوب
اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقط سقط الفرض عن سواه
وكذلك لا يلزمك معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب القلب

الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله
كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتوديه
واما ما سواه فلا وكذلك ما يلزمك معرفة ساير ابواب الفقه
من البيوع والاجارة والنكاح والطلاق والجنايات انما كل ذلك
فرض على الكفاية **فان قلت** هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل
بنظر الانسان من غير معلم فاعلم ان المعلم فاتح ومسهل والتحصيل
معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على من يشا من عباده
فيكون بفضله هو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي
عقبة العلم كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود نفعها كثير
وقطعها شديد وخطرها عظيم فكم من عدل عنها فضل وكم من
سلكها فزل وكم من تايه فيها متحير وكم من حسير منقطع وكم
من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة
والامر كله بيد الله عز وجل انما نفعه فعلى ما ذكرناه من شدة
الحاجة للعبد اليه وبنا امر العبادة كلها عليه لا سيما علم التوحيد وعلم
السر فلقد **نقل** ان الله تعالى اوحى الى داوود عليه السلام فقال
يا داوود تعلم العلم النافع فقال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف
جلالي وعظمتي وكبريايي وكمال قدرتي على كل شي فان هذا الذي
يقربك الي **وعن** علي عليه السلام انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا
وادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم
خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله نصيحة واما شدتها فابذل
نفسك بالاخلاص في طلب العلم وليكن الطلب طلب دراية لا
طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم فمن طلب العلم ليصرف وجوه
الناس اليه ويجالس به الامرا ويباهي به النظرا او يتصيد

به الاحكام فتحاير به بايره وصفقته خاسره قال ابو يزيد البسطامي
عملت في المجاهده ثلاثين سنة فما وجدت شيا اشد علي من العلم
وخطره واياك ان تزل [illegible] الشيطان [illegible] اذا كان قد ورد
هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظن ذلك ولقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على
النار فرايت اكثر اهلها الفقرا فقيل يا رسول الله من المال قال لا من
العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العباده والقيام بحقوقها
ولو ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى عبادة ملايكة السما بغير علم
كان من الخاسرين فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس
واجتنب الكسل والملال والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله
عز وجل ثم جملة الامر انك اذا نظرت في دلايل صنع الله تعالى وامعنت
النظر علمت ان لنا الاها واحدا قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما
منزها عن حدوث الكلام والعلم والاراده مقدسا عن كل نقص وافه
لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين لا يشبه
شيا من خلقه ولا يشبهه شي ولا تتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله
الحوادث والافات ونظرت في معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعلام نبوته علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه
وما كان السلف يعتقدونه من ان الله تعالى يرى في الاخره
لانه موجود وليس في جهة محدودة وان القران كلام الله تعالى غير مخلوق
ليس بحروف مقطعة ولا اصوات اذ لو كان كذلك لكان من جملة
المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر
الا بقضا الله تعالى وقدره وارادته ومشيئته فمنه الخير والشر
والنفع والضر والايمان والكفر فانه لا واجب على الله تعالى لاحد ممن

خلقه

خلقه من اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان
صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه من امور الاخره كالحشر
والنشر وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط فهذه
اصول درج السلف الصالح رضوان الله عليهم على اعتقادها والتمسك بها
ووقع عليها الاجماع قبل تنوع البدع وظهور الاهوا نعوذ بالله من
الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال
القلب والواجب الباطنه والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب لتحصل
لك علمه ثم تعرف ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلاة والصوم
ونحوه فلقد اديت فرض الله سبحانه عليك الذي تعبدك به في باب
العلم ولقد صرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم
ان عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك كنت عبدا عالما عاملا لله
تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك الشرف العظيم
ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه
العقبه وخلفتها وراك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه
مسوول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الباب الثاني في العقبة
الثانيه وهي عقبة التوبه** ثم عليك يا طالب العباده وفقك
الله تعالى بالتوبه وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق
الطاعه فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان
قيد الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى
خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط
في الطاعات وان الاصرار على الذنوب يسود القلوب فتجدها في
ظلمة وقساوة لا خلوص ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم

يرحمه الله تعالى فلينتسب نفسه الى الكفر والشقاوة ايا عجبا
كيف يوفق للطاعة من هو في شقوته وقسوة وكيف يدعى الى
الخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب للمناجاة
من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات ففي الخبر عن الصادق
المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد
يتنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان
لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا
ولا تخف اركانه لعبادته وان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا
صفوة وكل ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق
من قال اذا لم تقوى على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك
مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني من الامرين انما
تلزمك التوبة ليقبل منك ربك عبادتك فان رب الدين لا يقبل
الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم
وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك
والدين عليك حال لم تقضه فكيف تترك لاجله الحلال والمباح
وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه
وتثني وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة
المصرين على المعصية وبالله المستعان **فان قلت** فما معنى التوبة
النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعل حتى يخرج من الذنوب
كلها **فاقول** اما التوبة فانها اسم معنى مسلم عن القلب وهي عند
التحصيل في قول العلما رضي الله عنهم تنزيه القلب عن الذنب
وقال شيخنا رحمه الله في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب
سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله وحذرا من سخطه فلها

اذن

اي الخبر

نسخة
تبرئة
يعني
امام الحرمين
احمد بن جويني

بيانه
احدها

اذن اربعة شرائط **احدها** ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن
قلبه ويجرد عزمه انه لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب
وفي نفسه انه ربما يعود اليه اولا يعزم على ذلك بل يتردد فانه
ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه **والثاني**
ان يتوب عن ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله
لكان متقيا غير تائب الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله
عليه وسلم كان متقيا عن الكفر اذ لم يسبق عنه كفر بحال وان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك **والثالث**
ان الذي سبق يكون مثل ما يتركه باختيار في المنزلة والدرجة لا في
الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي سبق منه الزنا وقطع
الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك امكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق
عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر
الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على تركه فلا يصح وصفه بانه تارك له
ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل
الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة
اذ جميع ذلك معاصي وان كان الاثم يتفاوت في كل واحدة بقدرها
لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها منزلة واحدة وهي دون منزلة
البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبة
عن الزنا وقطع الطريق وساير ما مضى من الذنوب التي هو عاجز
عن امثالها اليوم في الصورة **الرابع** ان يكون اختياره كذلك
تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه واليم عقابه مجردا لا لرغبة
دنيا وبرا او رهبة من الناس او طلب ثنا وصيت او ضعف
في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها فاذا حصلت

بيانه
متقيا

واستحكمت فهي توبة حقيقة صادقة واما مقدمات التوبة فثلاث
احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه
وتعالى واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به الثالثة ذكر ضعفك
وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي
وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع
حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار
في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا
واظبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار فانها
ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله
فان قيل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر
مما ذكرتم من شرايطها وشددتم شيئا فيقال له اعلم اولا ان الندم
ليس مقدورا للعبد الا ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه
وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة للعبد مامور بها
انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك جاهه بين
الناس او ماله في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب
فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم
لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح
فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار
الثلاثة التي هي مقدمات التوبة يندم وجملة الندامة على ترك
اختيار الذنب وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل تحمله على
الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب التوبة وصفات
التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى
فان قلت كيف يمكن الانسان ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب

اليس ح

البتة

البتة من صغيرا وكبيرا كيف والانبياء صلوات الله عليهم الذين هم
اشرف خلق الله تعالى قد اختلف اهل العلم فيهم بانهم هل نالوا هذه
الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل والله يختص برحمته
من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا يتعهد ذنبا فاما ان وقع منه
لسهو وخطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من
وفقه الله تعالى فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم
من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة
في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم
فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود
فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فاذا اتم فذاك وان
لم يتم فقد غفرت ذنوبك السابقة كلها وتخلصت منها وتطهرت
وليس عليك الا هذا الحدث الذي احدثته الان وهذا هو الربح
العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك
من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية
واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب ثلاثة
اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى عليك من صلاة او صوم او
زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكن لك منها والثاني ذنوب
بينك وبين الله سبحانه كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا ونحو
ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا
والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب
وهي اقسام قد تكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة
وفي الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه ان امكنك فان
عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه فان عجزت عن ذلك لغيبة

فهذه هذه ع
في الجملة ع

الرجل او يوذيه وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير
حسناتك والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنك يوم
القيامة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص أو أولياءه حتى
يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى
والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيامة واما العرض فان
اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي
من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا
اذا لم تخش زيادة غيظ وهيج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان
خشيت ذلك فالرجوع الى الله ليرضيه عنك والاستغفار الكثير
لصاحبه واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه
للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله
سبحانه وتعالى ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته
فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين
بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج الى
تكذيب نفسك بين يدي من قلت له ذلك وان تستحل من
صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله سبحانه وتعالى جدا
والندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء
الخصوم عملت وما لم يمكنك رجعت الى الله تعالى بالتضرع والصدق
ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة
والرجا منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق
من قلب العبد فانه يرضي خصماه من خزائن فضله ولا حكم عليه
فاعلم هذه حقها راشدا فهذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت
القلب عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب
كلها

كلها وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضا الفوايت
وارضا الخصوم فالتبعات لازمة وساير الذنوب مغفورة ولهذا
الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر وانظر في كتاب التوبة من كتب
احيا علوم الدين اولا وكتاب القربة الى الله تعالى ثانيا وكتاب الغاية
القصوى ثالثا تجد فوايد كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه ها
هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق فصل ثم اعلم يقينا
ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم وضررها عظيم فلقد
بلغنا عن الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين
في العلم العاملين به انه قال دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة ان يرزقني
توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت
الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت الى الان فرايت فيما يرى النايم
كان قايلا يقول لي اتتعجب من ذلك اتدري ماذا تسال الله انما
تسال الله سبحانه ان يحبك اما سمعت الله سبحانه يقول ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر هولاء الايمة
واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم والتزود لمعادهم
واما الضرر المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ
بالله شوم وشقوة فاياك والعياذ بالله ان تنسى امر ابليس
وبلعم بن باعورا كان مبدا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا
مع الهالكين ابد الابدين فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد
عسى ان تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه
الاوزار ولا تامن قساوة القلب وتامل حالك فلقد قال بعض
الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا
تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن
ذنبا

الذنوب فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر فاتق بلغا عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذنبت ذنبا انا ابكي عليه منذ اربعين
سنة قيل ما هو يا عبد الله قال زارني اخ لي فاشتريت له سمكا
فاكل ثم قمت الى حايط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل بها يديه
فما قدر نفسك وخطيتها وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل
مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله سبحانه وابتهل اليه واذكر
حال ابينا ادم صلى الله عليه وسلم خلقه الله سبحانه بيده وحمله الى
جنته على اعناق الملايكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل
حتى يروى ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت لك قال نعم
الجار يا رب قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج
كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي انه بكى على
ذنبه ماتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حال مع
نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى
وهذا تضرع التايب وابتهاله فكيف ترى حال من لا يتوب
ولين تبت ثم نقضت وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة مبادرا
وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة وكذلك ثانيا
وثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة
والعود اليها حرفة فلا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا ييسك
ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دال له الخير اما
سمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم مفتن تواب اي كثير الابتلاء
بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله سبحانه بالندم والاستغفار
وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما فافهم هذه وبالله التوفيق فصل وجملة الامر انك اذا ابتدات

فبوات

٨

فبرات قلبك عن ملابسة الذنوب كلها بان توطن على ان لا تعود الى الذنب
ابد البتة لا يكون ما كان على وجه علم الله سبحانه انه صدق عزيمة
من قلب تقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي الفوايت بما تقدر عليه
وتوجع في الباقي الى الله تعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك
ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما
تجب فتضع وجهك بالارض في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه ثم
تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي هو اعز اعضايك
في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال تذكر ذنوبك
واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها
وتقول اما تستحي يا نفس اما ان لك ان تتوبي الى طاقة بعذاب الله
سبحانه الك حاجة الى سخط الله سبحانه وتذكر من هذا الكثير وتبكي
ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الابق
رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك
بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك
اللهم اغفر ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان
الخير كله بيدك وانت بنا رءوف رحيم ثم تدعو ادعاء الشدة
وهي يا مجلي عظايم الامور يا منتهى هم المهمومين يا من اذا
اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور
لها يا مدخورا لكل شدة كنت اذخرك لهذه الشدة في هذه الساعة
فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من البكا والتذلل
وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسايل يا من
لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك انك
على كل شي قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وتستغفر لجميع

[illegible] المومنين والمومنات او تراجع الى طاعة الله في خلال [illegible] وقد
والمسلمين والسلا خ
تبت توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب ظاهرا وباطنا كيوم ولدتك
امك واعطاك الله بكرمه الاجر والثواب وما لك من البركة والرحمة
ما لا يحيط به وصف وتحصل لك الامن والخلاص ونجوت من المعاصي
وبليتها في الدنيا والاخرة وتكون قد قطعت هذه العقبة باذن
الله سبحانه والله تعالى ولي التوفيق والهداية بمنه وكرمه ورحمته ورافته

الباب الثالث في العقبة الثالثة وهي عقبة العوايق

ثم عليك يا طالب العباده وفقك الله بدفع العوايق حتى تستقيم
عبادتك وقد ذكرنا ان العوايق اربعة احدها الدنيا ودفعها
بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد والزهد لامرين
احدهما لتستقيم العباده وتكثر فان الرغبه في الدنيا تشغلك اما
ظاهرك بالطلب او باطنك بالاراده وحديث النفس كلاهما يمنع عن
العباده فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشي ٥
انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والاخره كمثل ضرتين ان ارضيت
احداهما اسخطت الاخري وانهما كالمشرق والغرب بقدر ما تميل
الى احدهما تعرض عن الاخرى واما شغلها في الظاهر فقد روينا
عن ابي الدردا رضي الله عنه انه قال زاولت اجمع بين العباده ٥ — خ حاولت
والتجاره فلم تجتمعا فاقبلت على العباده وتركت التجاره وعن عمر
رضي الله عنه انه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري لاجتمعتا لي
لما اعطاني الله من القوه واللين فاذا كان الحديث كذلك فافهم
الغاية والسلام واما شغلها بالقلب وهو الباطن لمكان الاراده
فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على

ما يفنى

ما يفنى فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك [illegible] لك
والطاعة انت تعاونك اعضاوك ولقد [illegible] عن بعض الصحابة رضي
الله عنه [illegible] اذا زهد في الدنيا [illegible] قلبه الحكمة وتعاونت
اعضاوه في العباده والثاني [illegible] الاخرة انه يكثر قيمة عملك ويعظم
قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد قلبه
خير واحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا
فان كانت العباده تشرف وتكثر بذلك فحق لمن طلب العباده ان
تزهد في الدنيا وتتجرد عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا
وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان
زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور ثلاثة
اشيا ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك
ارادتها واختيارها واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد
فهو برودة الشي على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور ٥ — خ على العبد
مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان
يطلب ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها وترك بالقلب
ارادتها واختيارها لا فاتها اورثته تلك برودة الدنيا على قلبه
لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان
اصعب الامور الثلاثة انما هو ترك الاراده بالقلب اذ كم تارك
لها بظاهره محب مريد لها بباطنه فهو في مكابدة ومقاساة من
نفسه شديدة والشان كله في هذا الحرف الى قوله سبحانه وتعالى
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين علق الحكم بنفي الاراده دون الطلب والفعل ٥
للمراد وقوله سبحانه وتعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه

ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وقوله عز وجل من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء وقوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
اما ترى الآيات كيف ... الى الارادة فامرها مهم اذن لكن العبد اذا
واظب واستقام على الاولى اعني الترك والتفرق فما ... من
فضل الله سبحانه ان يوفقه لرفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه
فانه المتفضل الكريم عز وجل ثم الذي يبعث على الترك
والتفرق ويهون عليك ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها فقد
اكثر الناس القول في ذلك فمنه قول بعضهم ترك الدنيا لقلة
غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها قال
شيخي رحمه الله لكن يجيء من هذا رائحة الرغبة اذ من شكى فراق
احد احب وصاله ومن ترك شيا لمكان الشركاء فيه اخذه لو
انفرد به فالقول البالغ فيه ما قاله شيخنا رحمه الله ان الدنيا
عدوة الله عز وجل وانت محبه ومن احب احدا ابغض عدوه
قال ولانها في اصلها وسخة جيفة التي آخرها الى القذر
والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيبة وطرزت
بزينة فاغتر بحسن ظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون
فان قيل فما حكم الزهد في الدنيا هو فرض ام نفل فاعلم ان
الزهد يقع عندنا في الحلال والحرام فهو في الحرام فرض وفي الحلال
نفل ثم منزلة هذا الحرام لمستقيمي الطاعة بمنزلة الميتة المستقذرة
لا يقدم عليها الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة اما الزهد في
الحلال انما يكون في ... للابدال الذين عندهم الحلال بمنزلة الميتة
لا يتناولون منها الا قدر الابد منه والحرام عندهم بمنزلة النار
لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب

بان

١٠

بان يقطع همته عنها ويشتغل بقلبه ...
قلبه الاختيار وارادة ... ليقطع ... في
شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة ... بمنزلة النار
او بمنزلة الجيفة المستعملة والعفنة بنتنها وانطباع طعامنا
ما علم ان من وفق للتوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذرها في اصلها
فنفيس عنه لذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان
عن عيب الدنيا وآفاتها المغترون بظاهرها وزينتها وسأضرب
لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا بمثابة انسان صنع خبيصا بشرائطه
من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل
ولم يبصر آخر ووضع الخبيص بين ايديهما مزينا مزخرفا فالرجل
الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في ذلك الخبيص
لا يخطر بباله ان يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة
النار بل اصعب لمكان ما يعلم من آفته ولا يغتر بظاهره وزينته
واما الرجل الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه فاغتر بظاهره المزخرف
وحرص عليه ولم يصبر عنه والآخر يتعجب من صاحبه الزاهد
فيه وربما يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء المتقين
والجهال الراغبين فان لم يطرح فيه السم ولكنه بزق فيه وامتخط
ثم ضمخ وزينه فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذرا
لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة
الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل لما فيه مغتر بظاهره حريص
عليه مكب متعجب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الموفقين اهل
البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال
الرجلين مع تساويهما في الطبع والبغية لبصارة وعلم كان لاحدهما

وتحقا

وجهلاً كان للاخر فلو علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهداً مثله
ولو جهله الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب لكان راغباً مثله فعلمت
بذلك ان هذا التمييز لمكان البصاير دون الطبايع وهذا اصل
مفيد وكلام بين سديد اعترف به من عقل وانصف والله تعالى
ولي التوفيق والهداية بفضله **فان قيل** فلا بد لنا من قدر من
الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد
في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود القوام
والقوة حتى تعبد الله تعالى لا الاكل والشرب والتلذذ والله
تعالى ان شاء فيبقي حاصل عندك وبطالبك وكسبك وان شاء
بشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب
كما قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب فاذا لا يحتاج بحالة الى طلب وارادة فان لم تقوى على ذلك
وطلبت واردت فاتق بذلك العدة على عبادة الله سبحانه وتعالى
دون الشهوة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والاراده منك خيراً
وطلباً للاخره بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك
فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق **العايق الثاني** الخلق
ثم عليك وفقك الله وايانا لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك
لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ما
حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيداً منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت
وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال
غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار بيده الى السماء وقام وتركني
فالخلق اذن يشغلونك عن العباده بل يمنعونك منها بل يوقعونك

في

اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها بغير شيء وسبب [illegible] صح

في الشر والهلاك على ما **قال حاتم** الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق خمسة
اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني
عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا
فقلت لا تمنعوني اذن فمنعوا فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله
العظيم ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت
بخاصة نفسي ○ واعلم ايها الاخ في الدين ان نبينا محمداً صلى الله
عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت اهله
وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا
فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله عليه وسلم
واقبل نصيحته ولا تشك فانه صلى الله عليه وسلم كان اعرف بما يصلح
لك في زمانك ولا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك
والا فانت هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكرنا منها ما هو في
الخبر المشهور **عن عبد الله** بن عمرو بن العاص قال بينا نحن حول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس مرجت ○
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت
ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك
عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع
عنك امر العامة وذكر في **خبر** اخر انه عليه الصلاة والسلام قال ذكر
ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه
وذكر ابن مسعود في **خبر** للحارث بن عميرة انه قال ان يدفع عن
عمرك فسياتي عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سواله
قليل معطوه الهوى فيه قايد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت
الصلاة وقبلت الرشا ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا

اي اختلطت

وبحكم ثم الجاهلين قلت وجميع ما ذكر في هذه الأخبار تراه بعينك في
زمانك واهله [illegible] علمهم عن
على التحذير من زمانهم واهله وامروا بالعزلة [illegible] وتوا
[illegible] كانوا [illegible] البر [illegible] بعدهم
خيرا مما كان [illegible] وامر وهو على الخير وعن يوسف بن اسباط
انه قال سمعت الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت
العزلة في هذا الزمان قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا
هذا وجبت وافترضت وعن سفيان ايضا انه كتب الى عباد
الخواص رحمه الله اما بعد فانك في زمان كان اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما
بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة
علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد
من الناس فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة
من خلطاء السوء وفي مثل هذا قيل
هذا الزمان الذي كنا نحاذره • في قول كعب وفي قول ابن مسعود
لو دام هذا ولم تحدث به غير • لم تبك ميت ولم يفرح بمولود
ولقد وجدت عن سفين بن عيينة انه قال قلت للثوري اوصني
قال اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله اليس قد جاء في
الخبر اكثروا من معرفة الناس فان لكل مومن شفاعة قال لا احسبك
رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات رحمه الله فرايته
بعد موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة
الناس فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى هذا الخبر
وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي • افتش عن هذا الورى والكشف

فا

فقال ان عرفة الناس [illegible] من لست اعرف
قال الفضيل رحمه الله هذا زمان احفظ [illegible] واحفظ مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعن داود الطائي
رحمه الله صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الدنيا فرارك
من الاسد وعن ابي عبيد قال ما رايت حكيما قط الا قال في عقب
كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت [illegible] على بال والاخبار في
هذا الباب كثيرة عن ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا
مفردا وسميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف
عليه ترى العجب العجاب وللعاقل اشارة والله ولي التوفيق والهداية
بفضله واما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا
الشان ان الناس يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان
لم يعصم الله تعالى بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الرياء والتزين
ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال رؤية الناس بساط الرياء
وهولاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة
والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رحمه الله
يا اويس صلنا بالزيارة واللقا فقال اويس وصلتك بما هو انفع
لك منهما وهو الدعا على ظهر الغيب لان الزيارة واللقا يعرض فيهما
التزين والريا وقيل لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم افلا
تاتيه قال لان القى شيطانا ماردا احب الي من لقايه فاستنكروا ذلك
من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف ان اتزين واذا لقيت شيطانا
امتنع منه ولقد لقي شيخي الامام رحمه الله بعض العارفين فتذاكرا
مليا ثم داعيا في اخر حديثهما فقال العارف ما اظن جلست مجلسا
انا له ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف لكني ما جلست مجلسا انا له

أذوق من مجلسي هذا الست نعمه الى احسن حرمتك الو وعلوك
فقد شئتها وتطهر ما بيدك وانا لذلك عوقبت بها فبكى ثم
رحمه الله ملياً ثم غشي عليه وكان بعد ذلك ينشد ويبكي
يا ويح نفسي من موقف ما به أخوف من أن يعدل الحاكم
يا رب عفواً منك عن مذنب أسرف إلا أنه نادم
فهذه أحوال أهل الزهد والرياضة في مقاماتهم فكيف حال
أهل الرغبة والبطالة رجال أهل الشر والجهالة واعلم
أن الزمان قد أصبح في فساد عظيم وأصبح الناس في شر كثير
فإنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك
منها شيء ثم يفسدون عليك ما حصل حتى لا يكاد يسلم
لك شيء فيلزمك العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله
عز وجل من شر هذا الزمان وأهله والله تعالى الحافظ
بفضله ورحمته فإن قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس
فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم
رحمك الله وإيانا أن الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة
بالخلق إليه من علم وبيان حكم الأول بهذا الرجل التفرد عن
الناس فلا يخالطهم إلا في جمعة أو جماعة أو عيد أو حج أو مجلس
بالمستفاد أو حاجة في معيشة لا بد له من ذلك وإلا فينفرد بخصه
ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فأما أن أحب هذا الرجل أن
ينقطع عن الناس ولا يخالطهم في أمر من الأمور البتة من
دين ودنيا وجماعة وجمعة أو غيرها لما يرى له في ذلك من
مصلحة وفراغ فإنه لا يسعه ذلك إلا بأحد أمرين إما أن يصعد
إلى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون

الاودية

الاودية ونحوها ولعل هذا أحد الوجوه التي دعت العباد إلى ملازمة الموا
البعد من الناس وإما أن يتيقن بالحقيقة أن الفرض الذي يلحقه
في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض أعظم من تركها فحينئذ يكون
له عذر في ذلك ونحوه ولقد رأيت أنا بمكة حرسها الله بعض المشايخ
المنفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعة مع قربه
منه وتحرمه دار لجواره ثم في ذلك كلما في حال تردد
إليه فذكر من جملة عذره أنا اشترينا الخبز وموازنات ما يحصل من الثواب
لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات في الخروج إلى المسجد ولقاء
الناس قلت أنا وجملة الأمر ولا عتب على المعذور والله
تعالى أولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق
العدل فيه هو الأولى بأن تشارك الناس في الجمعة والجماعات
وضروب الخيرات وتباينهم فيما سوى ذلك فإن أحب الطريق
الثاني أن ينقطع عن الناس مرة فسبيله الخروج إلى موضع
لا يتوجه إليه هذه الفروض فيها ○ أما الطريق الثالث وهو
أن يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر
يراه في ذلك من إثم أو وزر أو تبعة عليه فإنه يحتاج إلى نظر دقيق
وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط
فالأولى أن أسلم وأحفظ له والله ولي الهداية بفضله وأما
الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس
إليه في أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى
خير بفعل أو قول ونحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن
الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحاً لخلق الله تعالى ذاباً عن
دينه مبيناً لأحكام الله فلقد روينا عن رسول الله صلى الله

فمع
دقيق
صح
مثل

عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فهو في لعنة الله
هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز ايضا ومعنى حكي
ان الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله قصد ان يتفرد لعبادة
الله عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي
يا ابا بكر اذا صرت من حجج الله على خلقه تركت خلق الله فرجع ۞
فكان هذا سبب صحبته للخلق وذكر لي مامون بن احمد رحمه
الله ان الاستاذ ابا اسحاق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان ۞
يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعين
واشتغلتم ها هنا باكل الحشيش قالوا له انا لا نقوى على صحبة
الناس وانما اعطاك الله قوة فيلزمك ذلك فصنف اجل
ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة
علمهم العلم الجم والنظر الدقيق في سلوك طريق الاخرة واعلم
ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب الدين يحتاج في صحبة
الناس الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم
ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة والثاني ان يكون غنيا في
هذا المعنى منزها عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم
وان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا
استغنم ذلك منهم وان كانوا في حق وخير ساعدهم وان صاروا
الى لغو وشر خالفهم وهاجرهم بلطف عليهم وزجرهم ان
رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات
وقضا الحاجات التي ترفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافاة ولا
يرجوا ذلك منهم وايسهم من نفسه استغناء بالله لك ويباسطهم
بالبذل اذا قدر ويتقبض عنهم في الاخذ ان اعطي ويحتمل منهم

الاذى

الاذى ويظهر لهم البشر ويتجمل لهم بظاهره ويكتم حاجته عنهم فيقاسيها
ويعالجها في سره وباطنه ثم مع ذلك ان ينظر لنفسه خاصة
فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله
لئن نمت الليل لا ضيعن نفسي وان نمت النهار لا ضيعن الرعية
فكيف بالنوم بين هاتين وفي هذا المعنى عرض لي ابيات من الشعر

فان كنت في هدي الايمة راغبا ۞ فوطن على ان تستحيل الوقايع ۞
بنفس وقور عند كل كريهة ۞ وقلب صبور وهو في الصدر ذايع ۞
لسانك مخزون وطرفك ملجم ۞ وسرك مكتوم لدى الرب ذايع ۞
وذكرك معمور وبابك مغلق ۞ وثغرك بسام وبطنك جايع ۞
وقلبك مجروح وشوقك كامن ۞ وفضلك مدفون وطعنك شايع ۞
وفي كل يوم انت جارع غصة ۞ من الدهر والاخوان والقلب ضايع ۞
نهارك شغل للناس من غير منة ۞ وليلك شوق غاب عند الطلايع ۞
فدونك هذا الليل خذه ذريعة ۞ ليوم عبوس عز فيه الذرايع ۞

نعم فالنفس معهم والقلب ما ابعده عنهم وذلك لعمري
امر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته
يا بني عش مع اهل زمانك ولا تعتزل بهم ثم قال ما اشد هذا
مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه
خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة ثم ۞
اقول اذا ماج الفتن بعضها في بعض وتراجع الامر وولي الناس
عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة ولا
يطلبون عالما ولا يرمقون مفيدا ولا يعنيهم امر دينهم البتة
وتري الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم العذر في
العزلة والتفرد ودفن العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا ۞

الزمان الثالث الصعب وبالله المستعان وعليه التكلان فهذا
حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان الخلط فيه عظيم وضرره
كثير وبالله التوفيق **فان قيل** اليس النبي صلى الله عليه وسلم
يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان الشيطان ذيب
الانسان ياخذ الشاذة والقاصية وقال ان الشيطان مع
الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد
ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في
الزمان السوء ولاننا قد في قوله صلى الله عليه وسلم ولابد لنا
الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه **فاقول** قوله صلى الله
عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها يعني به في الدين
والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف
ما عليه جمهور الامة والشذوذ عنهم ضلال واما ان يعتزل
عنهم لصلاح في دينه فليس هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم
بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان
فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا
تخلوا ذلك من بركات وتطوّل من الله بالرحمة وكذلك نقول ان
حق المنفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان
يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الاحوال لما فيها من ضروب
الآفة والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف
في امر الدين واما الرجل البصير القوي في امر الله تعالى اذا
راى زمان الفتنة الذي حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه الامة
وامرهم بالعزلة فالعزلة اولى لما في الخلطة من الفساد والآفة
وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة وان اراد ان

ينفرد

والناجية

ثم وعنكم ودع امر العامة

فيه

ينفرد عن الناس بمرة فيسكن شاهق جبل او بطن واد او امر العبد اراه
في بعض تم ولقد والاري مثل هذا الرجل ايضا كان الا ويكنه
الله عز وجل من حضور الجماعات والجمعات وسائر جموع الاسلام
فيحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام ايضا لانه
ويسيرون من الارض حيث شاؤوا ان الله يطوي لهم قدم واحد
وفي الاخبار ان الارض تطوى لهم ويطاؤن بالتحيات ۞
ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به واحسن
الله عزاء من تغافل عن النظر في خلاص نفسه واعان الطالب الذي
لم يصل الى المقصود كان لنا ولقد عرض لي في صفة حالي ابيات
من الشعر وهي

فلفر الطالبون واتصل الوصل … وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا مذبذبين حيارى … بين جد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد وهذا … نفس حال المحال للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم … وتهدي الى الطريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجرح … يا منقذي من الاوصاب
ليت شعري بماذا اداوي عذابي … وبماذا افوز يوم الحساب

ولنقبض عنان الجنان ولنرجع الى المقصود من بيان العزلة ۞
فقد خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قد قال النبي صلى
الله عليه وسلم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وقد زجر
عن التفرد فاعلم ان ذلك في غير زمن الفتنة كما ذكرنا وايضا
فانه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص
معهم وفي المعنى منفردا وهذا هو المعنى في العزلة والتفرد الذي
نحن في شرحه لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله ۞

من هم عطاء ونفسه وان تعبر النار في خاطر … والحمد لله … مذبذبين … صحيح الاصل

وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه الله كن واحدا جامعيا وكن
في ارض ربك ذا انس من الناس ووحشيا فان قيل فما تقول في دور
الاخره ورباطات الصوفيه سالكي طريق الاخره والكون فيها
فاعلم ان تلك الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم
والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين والغايتين الاثنين
احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة
والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعتهم
وتكثير شعائر الاسلام فتحصل السلامة التي هي للمنفردين والخير
الكثير الذي هو لعامة المسلمين معا للناس فيهم من العدة والبركة
والنصيحة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم
سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم
لعباد الله في باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة الخلق لآدابهم
وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح من لسان
المقال فصار ذلك احسن في تدبير امر الدين للعلم والعباده
واحكم راي فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين
ايصحبهم ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين على رسومهم
الاولية وسيرتهم الموروثة عن سلفهم فهم اجل الاخوان في
الله عز وجل واصحاب واعوان على عبادة الله عز وجل ولا
تسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم مثل ما يسمع من زهاد
لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى ويتواصون
بالحق والصبر اما اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا بطريقتهم
الموروثة عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم
كحكمه مع ساير الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشاركهم

في

رسومهم

سبحانه وتعالى

في خيراتهم ويجانبهم في ساير احوالهم وافاتهم فيكون هو في عزلة
من اهل العزلة منفردا عن المنفردين فان قلت فان اختار رهنا
المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في
نفسه ويجتنب افة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس
والرباطات بمنزلة حصن يتحصن بها المجتهدون عن القطاع
والسراق وان الخارج بمنزلة الصحراء يدور فيها فرسان
الشياطين عسكرا فعسكرا فتستبيه وتستاسره فكيف
حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو منه من كل جانب يعمل
به ما يشا فاذن ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما
الرجل القوي البصير الذي لا تغلبه الاعداء واستوى عنده
الحصن والصحرا فلا عليه اذا خرج غير ان الحصن احوط على
كل حال اذ لا يومن الغفلات والاتفاقات السوء واذا كان
الامر بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة
الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال وان لا مانع للقوي
البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتاملها
تغنم وتسلم ان شا الله تعالى فان قيل فما تقول في زيارة
الاخوان في الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقي والتزاور
فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جواهر عبادة الله
سبحانه وتعالى وفيها الزلفة الكاملة الى الله عز وجل مع ما
من ضروب الفوايد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما
ان لا يخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي هريرة زر غبا تزدد حبا والثاني ان يحفظ حق
ذلك بالتجنب عن الريا والتزين وقول اللغو والغيبه ونحو

ذلك فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل
وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجوا
انا ما جلسنا ارجى من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي
من هذا قال ولم يا ابا علي فقال الست تعمد الى احسن حديثك
فتحدثني وانا اعمد الى احسن ما عندي فاحدثك فتزينت
لي وتزينت لك فبكى سفيان فيجب ان تكون مجالستك للاخوان
وملاقاتهم على قدر الفضل في احتياط وتحفظ لعايب ولا يقدح
ذلك جنبا في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى
اخيك ضرر وافة بل نفع كثير ونفع عظيم والله الموفق
فان قلت فما يعينني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون
علي ذلك فاعلم ان الذي يهون عليك ثلاثة امور احدها ان
استغراق اوقاتك في العبادة فان لم العبادة شغلا وان الاستيناس
بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت نفسك تقطع الى ملاقاة
الناس وكلامهم من غير حاجة والضرورة فاعلم ان ذلك فضول
افة الفراغ والبطر ولقد احسن من قال في هذا المعنى
ان الفراغ الى سلامك قادني ولربما عمل الفضول الفارغ
فاذا عانقت العبادة حقها ووجدت حلاوة المناجاة واستلذت
بكتاب الله سبحانه اشتغلت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم
وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع عن المناجاة
يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه ليلا
يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في ذلك الوقت كاصوات
الحمير ٥ وعليك بما قاله شيخنا رحمه الله اتخذ الله صاحبا وذر
الناس جانبا والثاني قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك امرهم

لان من لا ترجوا نفعه ولا تخاف ضرره فوجوده وعدمه سواء
والثالث ان تبصر افاتهم وتتذكر ذلك وتكررها على
قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا الزمتها طردت بك عن
صحبة الخلق الى باب الله تعالى والتفرد لعبادته وجنبتك
اليك والمؤمنات بانه وبالله التوفيق والعصمة اما بوائق
الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره
وذلك لخصلتين احدهما انه عدو لا مطمع فيه لمصالحة بل
لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذن للامن من مثل هذا
العدو والغفلة عنه وتامل ايتين من كتاب الله سبحانه وتعالى
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين والثانية قوله سبحانه وتعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة
الثانية انه مجبول على عداوتك منتصب ابدا لمحاربتك فهو
اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل
فكيف يكون الحال ثم وقعت بعد نكتة اخرى وهي انك
في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفعلك
وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته ومراده وحرفته
فصرت كانك قمت وشددت وسطك لتغايظ الشيطان ٥
وتكابده وتناقضه وهو ايضا يشد وسطه ليعاديك
ويقاتلك ويكابرك حتى يفسد عليك شانك بل حتى يهلكك
راسا اذ لا يامن من جانبك بعد فانه الذي يسعى ويقصد
بالهلاك الى من لا تغايظه ولا تناقضه بل يصادقه ويوافقه
كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف

فصده لمن قام في مغايظته ويجرد لهما فتنة فلم ادن مع الناس
عداوة زعامة وتخصيصها المجتهد في العبادة والعلم عداوة
خاصة وان امرك له لهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك
نفسك وهواك وله اسباب ومداخل وابواب انت عنها غافل
ولهذا صدق يحيى بن معاذ رحمه الله حيث قال الشيطان
فارغ وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت
تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون
فاذن لا بد من محاربته وقهره والا فلا بد من الهلاك والفساد
فان قلت فباي شيء احارب الشيطان وباي شيء اقهره
وادفعه فاعلم انه لاهل هذا الشان في هذه المسالة طريقين
احدهما ما قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة
بالله لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت
بمحاربته تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك
ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى والثاني
ما قال اخرون الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد
والمخالفة والذي عندي ان الطريق العدل الجامع في امره ان
تجمع بين الطريقين فنستعيذ بالله تعالى اولا من شره كما
امرنا وهو الكافي شره ثم ان رايناه يتغلب علينا علمنا انه
ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امر الله
وصبرنا كما انه سلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية امرهم
وشرهم ليكون لنا حظ في الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة
كما قال الله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء
وقال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا

الرازي

جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك هاهنا ينبغي ان محاربته وقهره فيما
قال علماونا رضي الله عنهم في ثلاثة اشياء احدها ان يتعرف ويتعلم
مكايده وحيله فلا يتجاسر حينئذ عليك كاللص اذا علم ان صاحب
الدار قد علم به فر والثاني ان يستخف بدعوته فلا تعلق قلبك
بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولع
بك ولج وان اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله
تعالى بلسانك وقلبك فلقول قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر
الله تعالى في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم فان
قلت فكيف نعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان
له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك انما يتبين لك
بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له حيلا بمنزلة الشبكة
التي ينصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد وانواعها وبجار
ولقد ذكر علماونا رضي الله عنهم ابوابا في الخواطر وقد صنفنا
كتابا وسميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار
ولكنا نذكر ذلك ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا
اذا اغتنمته به فاما اقسام الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل
بقلب ابن ادم ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته
الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعوا العبد الى الشر
يقال له وسواس ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعوا الا الى
الخير والوسواس لا يدعوا الا الى الشر في قول اكثر علمائنا
وقد حكي عن شيخنا رحمه الله ان الشيطان ربما يدعوا الى الخير
وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن
الفاضل ويدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك

الشر ثم يعجبه ويغريه فيحمله دائما [illegible] على قلبه بالغواية
وهو يسمع وقلبه يخشى في ذلك على ما روي في الاخبار انه اذا
ولد لبني ادم مولود قرن الله سبحانه به ملكا وقرن الشيطان به
شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن ادم الايسر والملك
جاثم على اذن قلبه فهما يدعوانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الايمن صح
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزلة بالدعوة من
قولهم لمّ بالمكان ولمّ به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في بنية
الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات وميل اللذات كيف كانت
من حسن او قبيح فذلك هوى النفس الصارف الى الامانات فهذه
ثلاثة دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي اثار
تحدث في قلب ابن ادم تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه
اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطرات الرمح ونحوه ○
وحدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة من الله سبحانه لكنها
اربعة اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء فيقال
له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له
هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم
فينسب اليه يقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان
فينسب اليه ويقال له الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر من الشيطان
وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوته فهي كالسبب في ذلك
ولكنها تنسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد
هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله تعالى ابتداء قد
يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظا
للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير اذ هو

ناصح

ناصح مرشد لم يريد له الا الزكا والخاطر الذي من قبل الشيطان
لا يكون الا بشر اغواء واستزلالا وربما يأتي بخير مكرا واستدراجا راجا
والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وربما بخير فهو
تمتعا وتعنتا ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى
النفس ايضا قد يدعو الى خير والمقصود منه شر كالشيطان
فهذه انواعها ثم بعد هذه الامر يحتاج الى معرفة ثلاثة اصول
لا بد لك منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق بين خاطر
الخير وخاطر الشر من جهة الجملة والثاني الفرق بين خاطر الشر ○
ابتدائيا والهاميا او شيطانيا او هوائيا بما فيه يعرف بينها فان انما
لكل واحد منها دافع من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر
خير ابتدائي او الهامي او شيطاني لتتبع ما يكون من الله تعالى
او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان فكذلك الهوى على ○
قول من يقول به فاما الفصل الاول قال علماؤنا رضي الله عنهم
اذا اردت ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما
فزنه باحد الموازين الاربعة فيتبين لك حاله فالاول ان تعرض
الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير
وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يستبين
لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان نوع فعله اقتداء
بالصالحين فهو خير وان كان بالضد اتباعا للطالحين فهو
شر وان لم يستبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس
والهوى فانظر ان كان مما تنفر منه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية
وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه ميل طبع وجبلة
لا ميل رجاء الى الله وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل

نوع على معرفة
خواطر والفرق
بينهما

باصلها الى الخير فتأخذ هذه الموازين اذا نظرت وانعمت النظر يتبين
لك خاطر الخير وخاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه جواد
كريم واما الفصل الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر
يكون من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس
او من الله تعالى ابتداءً فانظر فيه من ثلاثة اوجه احدها ان وجدته قبل
مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس
وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان
بعض العارفين رحمه الله يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب
لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر او مثل الخارجي الذي يقاتل
تدينا لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذيب اذا
طردته من جانب دخل من جانب والثاني ان وجدته عقيب ذنب
احدثته فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة بشوم ذلك الذنب اخر
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخي
الامام رحمه الله هكذا تؤدي الذنوب الى قسوة القلب اولها
خاطر ثم يؤدي الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر
مبتدأ لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من الشيطان هذا في الاكثر
لا يبتدي بدعوة الشر ويطلب الاغواء على كل حال والثالث ان ثالثة
وجدته لا يضعف ولا يقل بذكر الله ولا ينحل فهو من الهوى وان
وجدته يضعف ويقل بذكر الله سبحانه فهو من الشيطان كما ذكر
في تفسير قوله تعالى من الوسواس الخناس ان الشيطان على قلب
ابن ادم اذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس واما الفصل
الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله سبحانه
وتعالى وما يكون من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة اوجه فان

كان قويا مصمما فهو من الله سبحانه وتعالى وان كان مترددا فهو من
الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك
كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب
اجتهاد منك وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى
واذا كان مبتدأ فهو من الملك في الاغلب والثالث ان كان
في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان
في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك
لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم واما خاطر
الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربي
عليه فلقد قال شيخنا رحمه الله انظر ان وجدت نفسك في ذلك
الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع
تأني ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم
انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك
مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع ا من
ومع بصارة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك
قلت انا فكان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير
بصيرة وذكر ثواب ينشطه في ذلك اما التأني فمحمود الا في
مواضع معدودة وذكر في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت
وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف
اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب واما الخوف فيحتمل
ان يكون في تمامه واداية على وجهه وحقه او قبول الله تعالى

اياه واما بصارة العاقبة بان يبصر ويتيقن انه خير ورشد
ويحتمل لروية الثواب في العقبى ورجا بره فاعلم ان ذلك توفقنا
فهذه الفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها في فصل الخواطر
فادعها وانعم النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم ○
اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق بفضله
واما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان فيجري ذلك
ومثاله ان مكايد الشيطان مع ابن ادم في الطاعة سبعة اوجه
احدها ان ينهى عنها فان عصمه الله تعالى فرده بان قال اني محتاج
الى ذلك جدا اذ لا بد لي من التزود من هذه الدنيا للاخرة التي
لا انقضا لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله تعالى فرده ○
بان قال ليس اجلي بيدي على اني ان سوفت عمل اليوم الى غد
فعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول
له عجل عجل لتتفرغ لكذي وكذي فان عصمه الله ورده بان قال
قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يامره
باتمام العمل مراياة للناس فان عصمه الله تعالى ورده بان
قال الذي اعمل لمراياة الناس افلا يكفيني رويته الله تعالى ثم ○
يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وايقظك فان
عصمه الله تعالى ورده بان قال المنة لله تعالى في ذلك دوني
وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله ولولا
فضله فما كان قيمة هذا العمل في جنب نعمة الله تعالى علي
وجنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا
يقف عليه الا المتيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان
الله تعالى سيظهره عليك ويلبس كل عايق عمله واراد بذلك

ضربا

ضربا من الريا فان عصمه الله تعالى ورده بان قال يا ملعون الى الان كنت
تاتيني من وجه افساد عملي والان تاتيني من اخلاصه لتفسده
انما انا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شا اظهره وان شا اخفى
وان شا جعلني خطيرا وان شا جعلني حقيرا وذلك اليه وما
ابالي اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم شي ثم ياتيه
من وجه سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك
ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك
فعله فان عصمه ورده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال
الامر لعبوديته والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ○
ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت
سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج
اليه كيلا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة
بكل حال ولا يضرني على اني ان دخلت النار وانا مطيع
احب الي من ان ادخلها وانا عاصي فكيف ووعده حق وقوله صدق
وقد وعد على الطاعة الثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان
والطاعة لن يدخل النار البتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه
بعمله الجنة ولكن لوعد الله الصادق تعالى ولهذا المعنى
اخبر الله تعالى عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس
عليه ساير الافعال والاحوال فاستعن بالله تعالى واستعذ
به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله ○
العايق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر
من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها

اصعب البلايا وعلاجها اعسر الاشياء وداوها اعضل الداء
ودواوها المشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انها عدوة
من داخل واللص اذا كان من داخل البيت عزت الحيلة فيه وعظم
الضرر ولقد صدق القايل شعر
نفسي الى ما ضرني داعي ... تكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا ... كان عدوي بين اضلاعي
والثاني انها عدو محبوب والانسان اعمي عن محبوبه لا يكاد
يبصر عيبه كما قال القايل
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
فاذا استحسن الانسان من نفسه كل قبيح لا يكاد يطلع على
عيبها وهي في عداوته واضرارها بما او شك ما توقعه في
فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى بفضله
ويعين عليها برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة
مقنعة وهي انك اذا نظرت وجدت اصل كل فتنة وفضيحة
وخزي وهلاك وذنب وافة وقع في خلق الله سبحانه اول الخلق
الى يوم القيامه من قبل هذه النفس اما بها وحدها او بمعونتها
ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس
وكان سببه بعد الغفلة السابق هوى النفس بكبرها
وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في
بحر الضلال الى ابد الابدين اذ لم يكن هنالك دنيا ولا خلق
ولا نفس والشيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها
فعملت به ما عملت ثم ذنب ادم وحوا طرحتهما شهوة النفس
في ذلك وحرصها على البقاء والحياة حتى اغتر بقول ابليس
فكان

فتفرق

فكان ذلك اذن بعون النفس وشرهها حتى سقط بذلك من
جوار الله تعالى وقرار العرش الى هذه الدنيا الحقيرة المنكدة الفانية
المهلكة ولقوا اولاده من ذلك اليوم الى ابد الابدين ثم حديث
قابيل وهابيل كان الباعث الحسد والشره ثم حديث هاروت
وماروت كان السبب الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيامة لا
في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة ولا معصية الا واصلها
النفس وهواها ولا كان الخلق في بلاء ومحنة وانما كان العدو
بهذا الصفة كله فحق العاقل ان يهتم لامره والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة لنا اذن في هذا العدو
وما التدبير في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما
تقدم ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن قهرها اذ لا يمكن قهرها
بمرة كساير الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل ان اعرابيا
دعا لانسان بخير فقال كبت الله كل عدو الا نفسك ولا
يمكن اهمالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين الطريقين
تربية وتقوية بقدر ما تحتمل فعل الخير وتضعفها وتحبسها
على حد لا يتمادي فانت في امرها في علاج شديد ونظر لطيف
ثم قد ذكرنا في امرها ان تلجمها بلجام التقوى والورع
لتحصيل الفائدتان جميعا فان قيل ان هذه دابة جموح حرون
صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى تمكننا
منها فاعلم انك لصادق والحيلة في تذليلها حتى تنقاد
للجام ما قال علماونا رضي الله عنهم انما تذلل النفس وتكسر
هواها بثلاثة اشيا احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون
تلين اذا نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها

في امرها
تجد



خـ وبهيمة
اي غلب فاركه

فان الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان من علفه تذلل وانقاد
والثالث الاستعاذة بالله والتضرع اليه بان يعينك والا
فلا تخلص لها فتسمع قول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلاثة انقادت لك
النفس الجموح باذن الله عز وجل فحينيذ تبادر الى ان تملكها
وتلجمها وتامن من شرها فان قلت فبين الان ما هو
التقوى حتى نعمله فاعلم ان التقوى كنز عزيز فلين
ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير
كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم
فكان خير الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه
الخصلة الواحدة التي هي التقوى وتامل ما في القران من ذكرها
كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها
من سعادة وانا اعد لك من جملتها ١٢ اولها المدحة والثنا قوله
تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني
الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيا والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والرابع
النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامس اصلاح
العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قولوا قولا سديدا يصلح
لكم اعمالكم السادس غفران الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم
ذنوبكم السابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين
الثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسع

الاكرام

الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم العاشر
البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون
لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة الحادي عشر النجاة من النار
قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى الثاني عشر
الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذه كل خير وسعادة
في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك منها يا ايها الرجل
ثم الذي يخص به هذا الشان من امر العبادة ثلاثة فصول
احدها التوفيق والتاييد وهو للمتقين قال الله تعالى ان الله
مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو للمتقين كما
قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين قال
الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه
الامور الثلاثة التوفيق اولا ليعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى
يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلاثة التي يتضرع فيها العابدون الى
الله تعالى ويسالون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا
وتقبل منا وقد وعد الله ذلك كله على التقوى والكرم لاهل التقوى
[illegible] فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله سبحانه
ان اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القايل
من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح وقال
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يصنع العبد بعز الغنى
وقال وكتب على بعض القبور ليس زاد سوى التقى فخذي منه
ثم تامل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة
وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان كله في
القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين

فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الدنيا
وما اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه مكتوب في التوراة
يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شيت وبلغني عن عامر بن
عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة الف
ركعة ثم ياوي الى فراشه فيقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك
لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ثم تامل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهي ما
ذكره بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية
فقال اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين والاخرين ٥
قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله فقلت انا اليس سبحانه اعلم بصلاح العبد من كل احد
اوليس هو انصح له وارحم واراف من كل احد ولو كانت في العالم
خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية
واعظم في القدر واولى بالحال وانجح للمال من هذه الخصلة التي
هي التقوى لكان الله تعالى امر بها عباده واوصى خواصه بذلك
لكمال حكمته ورحمته فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين
والاخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمت انها الغاية التي
لا يتجاوز عنها ولا يقتصد دونها وانه عز وجل قد جمع كل نصح
ودلالة وارشاد وتنبيه وتاديب وتعليم وتهذيب في هذه
الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة
التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع
المهمات المبلغة الى اعلا الدرجات في العبودية وهذا اصل لا مزيد

عليه

عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى والله ولي الهداية ٥
والتوفيق بمنه فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل
موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلابد الان من تفصيلها فاعلم
ان الامر كله كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم مطلبها وتمس الحاجة
الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في اجلابه الى طلب
كبير وتعب كثير وهمة عالية وجهد شديد فاذن كما ان هذه الخصلة
خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية
في تحصيلها ايضا لفعل كبير وشان عظيم فان المكارم على حسب
المكارم وان اللذات على حسب المؤونات والله تعالى يقول
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله هو الرؤوف الذي
بيده تيسير كل عسير فاستمع وتثبت جدا بيان هذه الخصلة
حتى تعلمها ثم تشمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى تعمل
بما تعلم فان الشان كله في ذلك والله تعالى ولي التوفيق والهداية
بفضله فنقول اعلم اولا ان التقوى في قول شيوخنا رحمهم الله
هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل العبد
من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال
شيخنا رحمه الله وذلك ان اصل لفظ التقوى في اللغة هو الوقوى
بالواو وهو مصدر الوقاية تقول وقى يقي وقاية ووقوى ٥
فابدلت عن الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان ونحوهما ٥
فقيل تقوى فاذا لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من
قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ
بانه متقي ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى ٥
والتقوى في القران ينطلق على ثلاثة اشيا احدها بمعنى الخشية

والخشية قال الله تعالى وإياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس رضي الله عنهما اطيعوا الله حق
طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع ولا يعصى وان يذكر فلا ينسى
وان يشكر ولا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن
الذنوب فهذا هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى
ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم
ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة
والخشية وهي تنزيه القلب عما ذكرنا ثم قالوا رحمهم الله
التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى
عن المعصية الفرعية ولقد ذكرها الله تعالى في اية واحدة وهي
قوله جل من قائل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم
اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا التقوى الاولى تقوى
عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية
عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار السنة والجماعة
والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية والاقرار في هذه
المنزلة فقابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها
فيكون منزلة مستقيم الطاعة فالاية جمعت ذكر المنازل
الثلاث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة
الطاعة فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت
التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في
الخبر

الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون
متقون لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس فاحببت ان اجمع
بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فاقول التقوى اجتناب
كل ما يخاف منه ضرر لدينه الا ترى انه يقال للمريض
المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من طعام او
شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في
امر الدين شيئان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الا
بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام ومحض
العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى
وعصيانها فمن اراد ان يأمن الضرر في امر دينه اجتنب
الخطر وامتنع عنه وفضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام
على ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لتركهم ما لا بأس به حذرا
عما به بأس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام
فالتقوى البالغ الجامع اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين
وهو المعصية والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديد
على موضع علم الشرع فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب
عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير
ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشر ضربان شر
اصلي وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول الحلال كالمباحات
المأخوذة بالشهوات فالاول تقوى فرض يلزم بتركها عذاب
النار والثاني تقوى ادب وخير يلزم بتركه الحبس والحساب
والتعيير واللوم فمن اتى بالاول فهو في الدرجة الادنى من

من التقوى وهو منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في
الدرجة الاعلى من التقوى وذلك منزلة مستقيمي المباح فاذا جمع
العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى
التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل
الذي هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله سبحانه
فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقا ان شا الله
تعالى فان قلت فقصل لنا الان هذا المعنى في النفس
واستعمالها فيها فان الحاجة جاءت من هناك لنعلم كيف نلجم هذه النفـ
بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى فاقول
اجلا انما تفصيله في امر هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم
فيمنعها عن كل معصية ويصونها عن كل فضول واذا فعلت
ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك ولسانك
وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها بلجام التقوى
ولهذا الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في كتاب احيا علوم
الدين واما الذي لا بد منه هاهنا ان نقول من اراد ان يتقي
الله تعالى فليراع الاعضاء الخمسة فانهن الاصول وهي العين
والاذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها بالصيانة لها
عن كل ما تخاف منه ضررا في الدين من معصية وحرام وفضول
واسراف من حلال فاذا حصل صيانة هذه الاعضاء الخمسة
فمرجو ان يكفي سائر اركانه ويكون قد قام بالتقوى الجامعة
لجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه
الاعضاء وتفصيل ما يحرم في حق كل واحد منها على قدر ما يليق
بهذا الكتاب الاول فصل العين عليك وفقك الله وايانا

بحفظ.

بحفظ العين فانها سبب كل فتنة وافة واذكر في امرها ثلاثة فصول
كافية احدها ما قال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
واعلم اني تاملت هذه الاية فاذا فيها مع قصرها ثلاثة معاني
عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد اما التاديب فقوله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولا بد للعبد من امتثال
امر السيد والتادب بادبه والا يكون سيئ الادب يحجب ولا
يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة
وتامل ما تحتها فان فيها معاني عجيبة واسرارا دقيقة واما
التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم على معنيين والله اعلم
اي ذلك اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير
والثاني ذلك اكثر لخيرهم والكثر والزكاة في الاصل النمو
فنبه على ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير
وذلك انك ان لم تغض بصرك وارخيت عنانه تنظر الى ما لا
يعنيك فلا يخلو اما ان تقع عيناك على حرام فان تعمدت
فذنب وكبيرة وربما تعلق قلبك بذلك فهلك ان لم يرحمك الله
ولقد روي ان العبد لينظر النظرة ينغل فيها قلبه كما
ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا
فربما يشتغل قلبك به فجاءه الوسواس والخواطر بسببه
ولعلك لا تصل اليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير
وان كنت لم تره ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي
هذا المعنى ذكر عن علي صلوات الله عليه وعلى نبينا اياكم
والنظر فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة

التمايل

وقال ذو النون نعم حاجز الشهوات غض الابصار ولقد احسن
وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر
فاذن لما كنت غاض البصر حافظ العين لا تنظر الى ما لا
يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير
من الوساوس سالم النفس عن الآفات مترايدا في الخيرات
فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق بمنه واما
التهديد قوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذه تحذيرا لمن خاف مقام ربه
فهذا اصل واحد من كتاب الله عز وجل والاصل الثاني ما
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن
المراة سهم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم عبادة تسره
وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابدين
بمكان وهذا شيء مجرب علمه وتحققه من عمل به انه اذا امتنع
عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة للعبادة وحلاوة والقلب
مفعوة لم يجدها قبل ذلك الاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو من
اعضائك يصلح لماذا وينتظر له ماذا فعلى حسب ذلك
تصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها
واليد لكاس الشراب وتناول الاثمار وكذلك في سائر الاعضاء
فالعين انها للنظر الى رب العالمين سبحانه وليس في الدنيا
كرامة اجل واكبر من ذلك تحقيق لشيء ينتظر ويرجى
للنظر الى رب العالمين لمثل تلك الكرامة ان يصان ويحفظ
ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلاثة اذا احسنت التامل فيها

رايت

مسموم

كفتك

كفتك المؤنة في هذا الغض ان شاء الله وولي التوفيق **الفصل الثاني**
الاذن فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك
لامرين احدهما لما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك
[illegible] القلب [illegible] تحذر من الطريق اوساطها وعدل عن الجانب
و[illegible] على سماع القبيح كصون اللسان عن التلفظ
فانك عند سماع القبيح [illegible] شريك لقائله فانتبه
والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس في القلب ثم
من ذلك تبدو الاشغال في البدن فما يبقى للعبادة حظ
ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة
الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذا
ومنه السم بل ان تبقا الكلام وتجرعه اكثر وابلغ فان الطعام
يزول عن المعدة بنوم وغيره وربما يبقى اثره زمانا ثم يزول
وله دواء يزيل اثره من جسم الانسان واما الكلام الذي وقع
في قلب الانسان ربما يبقى معه جميع عمره لا ينساه وان كان
شيئا رديا فلا يزال يتبعه ويعينه ويرد عليه بسببه
خواطر في القلب ووساوس يحتاج ان يعرض عنها ويجدل قلبه
عن تذكرها ويستعيذ بالله تعالى من شرها ولا يامن ان تحمله
على بلية ويحركه حتى يقع اخر الامر في افة عظيمة بسبب
ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه
المؤن مستريحا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق
الفصل الثالث اللسان ثم عليك بحفظ اللسان
وضبطه وقيده فانه اشد الاعضا جماحا وطغيانا واكثرها
فسادا وعدوانا ولقد **روينا** عن سفيان ابن عبد الله

المشتبه

عن المعدة

بلغ

انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلام
بلسانه نفسه ثم قال هذا وعن يونس ابن عبيد انه وجدت
نفسي تحمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحمل
ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذن بالتحفظ جدا جدا وبذل المجهود
وتذكر خمسة اصول احدها ما روى ابو سعيد الخدري ان
ابن ادم اذا اصبح تكفرت الاعضا كلها الى اللسان وتقول
نشدك الله لتستقيم فانك اذا استقمت استقمنا وان اعوججت
اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر
في اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤيد هذا المعنى
ما حكي عن مالك ابن دينار انه قال اذا رايت قساوة في قلبك
ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا
يعنيك الاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما تتكلم به من غير
ذكر الله تعالى فعلى الاقل يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر
ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت فقال منذ كم بنيت
هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس الغرور تسألين عما لا يعنيك
وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح
الغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان
ولقد صدق القائل واحسن شعر

واذا ما هممت باللغو في الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنم ركعتين في ظلمة الليل ... اذا كنت فارغا مستريحا

والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن
لسانه واكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل
من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على

ما قيل

ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته
شرقا وغربا ولقد بلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا
اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب قال بلغني انك اهديت
الي حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكرت الغيبة عند ابن
المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت ابوي لانهما احق بحسناتي
وذكر انه فات حاتم الاصم ليلة القيام فعيرته زوجته فقال
ان اقواما صلوا بالليلة البارحة فلما اصبحوا اتوا الي فتكون
صلاتهم يوم القيامة في ميزاني الاصل الرابع السلامة من افات
الدنيا على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال
الاخر لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك وقال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ... ان البلاء موكل بالمنطق

ولابن المبارك رحمه الله

لسان المرء ليث في كمين ... اذا خلى عليه له اغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمت ... يكن لك من بليات ستاره

وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني الاصل الخامس
ذكر افات الاخرة وعاقبتها واذكر فيها نكتة واحدة وهي انه لا تخلو
اما انك تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من فضول لا يعنيك
فان كان محظورا ففيه عذاب الله تعالى الذي لا طاقة لك به ولقد
روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي
نظرت في النار قوما ياكلون الجيف قلت يا جبريل من هولاء
قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ولقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم
لا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة



ان في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسال الله تعالى العصمة من ذلك
بفضله هذا الكلام في المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها
شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فايدة ويحق المرء ان
يستحي منهما ولا يوذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد والثاني ارسال كتاب الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر
العبد من ذلك وليخش الله عز وجل وذكر ان بعضهم نظر الى
رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا
تملي والثالث قراته بين يدي الملك الجبار يوم القيامة على رؤس
الاشهاد بين الشدايد عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة
محجوبا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لماذا قلت وانقطاع
الحجة والحيا من رب العزة وقد قيل اياك والفضول فان حسابه
يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب
اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفا الفصل
الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب وحسن النظر والاهتمام
في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضا خطرا واكثرها اثرا
وادقها امرا واشقها اصلاحا واذكر فيه خمسة اصول مقنعة
الاول قوله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وقوله
ويعلم ما في قلوبكم وقوله انه عليم بذات الصدور كم ذكره
وكرر ذكره في القران وكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا
للخواص من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر
ماذا يعلم من قلبك الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى لا ينظر الى صوركم انما ينظر الى قلوبكم فالقلب اذن
موضع نظر رب العالمين فواعجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق

فيغسله

والاموال
بلغ
لينظر

فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع
مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب
العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب جل ذكره
على دنس فيه وشين وافة وعيب بل يهمله مملوا وهو
بفضايح واقذار وقبايح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبروا
منه وطردوه وبالله التوفيق والمستعان الاصل الثالث
ان القلب ملك مطاع ورييس متبع والاعضا كلها له تبع واذا
صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية
ويبين ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية
اليه الاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس
وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله عز وجل التي هي
سبب سعادة الدارين ثم البصاير التي بها التقدم والوجاهة
عند الله عز وجل ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها
يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف
العباد وساير الاخلاق الشريفة والخصال التي بها تتفاضل
الرجال على ما فسرناه وشرحنا في كتاب اسرار معاملات
الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن الادناس
والافات وتحرس عن السراق والقطاع وتكرم وتبجل بفنون
الكرامات لئلا تلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يطفيها
والعياذ بالله عز وجل عدوه الاصل الخامس اني تاملت حاله
فوجدت له خمسة احوال ليست لغيره من اعضاء بني ادم احدها

متلطخ
ان
يحصل

ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان جاثم على قلب
ابن ادم فهو منزل الالهام والوسوسة يقرعانه ابدا بالدعوة من الملك
والشيطان والثاني ان الشغل له اكثر فان الهوى والعقل كلاهما
فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو
ابدا بين تجاذبهما ولقائهما وتنافقهما وحقيق بالثغر ان يحرس ويحصن
ولا يغفل عنه والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر كالسهام
لا يزال يقع فيه كالمطر لا يزال يمطر عليه ليلا ونهارا لا ينقطع ولا
انت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التي بين جفنين
تغمض فتستريح او يكون في موضع خال او ليل مظلم فيكفي رؤيتها
واللسان الذي هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت
قادر على منعه وتسكينه بل القلب عرضة للخواطر لا يقدر على منعها
والتحفظ عنها بحال ولا تنقطع عنك بوقت ثم النفس متنازعة
في اتباعها والامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة
عظيمة الرابع ان علاج علمك عسير اذ هو غيب عنك فلا
تكاد تشعر حتى تدب فيه افة ويعرض له حال فتحتاج ان
تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة
الرياضة الخامس ان الافات اليه اسرع فهو الى الانقلاب اقرب
ولقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها وفي ذلك
قيل ما سمي القلب الا من تقلبه والراي يضرب بالانسان اطوارا
ثم ان زل القلب والعياذ بالله فزلله اعظم ووقوعه اصعب
وافظع ادناه قسوة وميل الى غير الله سبحانه وتعالى ومنتهاه
ختم ونكرة بالله تعالى اما تسمع قوله تعالى أبى واستكبر كان
الكبر بقلبه فحمله على الابا والكفر ظاهره اما تسمع قوله تعالى ونقلب

افئدتهم

افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا
عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال سبحانه في وصفهم يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين
بالعبر المهتمين لمواضع الخطر الموفقين لاصلاحهما بحسن النظر
انه ارحم الراحمين فان قيل ان امر هذا القلب لمهم
جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه عن الافات التي تعترضه
فيفسد عسى ان يوفق للاجتهاد في العمل بذلك يقال له اعلم
ان تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله الكتاب انما علماء الاخرة
عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة لا غير وقد ذكرنا
فيما يحتاج اليه من ذلك سبعين خصلة محمودة في اضدادها
المذمومة ثم من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة في نحو
ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه وانتبه
عن رقدة الغافلين فنظر لنفسه فلا يكون تحصيل جميع ذلك
والعمل به عليه كثيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها
في شرح عجايب القلب من كتاب احياء علوم الدين واتينا على شرح
جميعها بتفاصيلها وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات
الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفائدة ولا ينتفع به الا
فحول العلماء الراغبين في علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب
ان ينتفع به المبتدئ والقوي والضعيف فنظرنا في
الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب والحاجة اليها ماسة
ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها اربعة امور
وهي مداحض العابدين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب

خ وتمنعه
خ هذا
والمنتهي خ
بلغ

وبليات النفوس وتعوق وتشين وتفسد وتتلف واحوجت في مقابلتها
فيها قوام العبد وانتظام العبادة وصلاح القلوب ما لافات
الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر
الامل والتاني في الامر والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع
فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها التي هي القطب عليه
المدار فليبذل المجهود في التحرز عن هذه الافات والتحصيل
لهذه المناقب تكفي المونة وتظفر بالمقصود ان شا الله تعالى
وسنخبرك عن هذه الافات بكلمات وجيزة مقنعة اما طول
الامل فانه العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة
وانه الدا العضال الذي يوقع الخلق في البليات واعلم انه اذا
طال املك هاج لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل
فيها تقول سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك
ولقد صدق داوود الطاي رحمه الله قال من خاف الوعيد
قرب عليه البعيد ومن طال امله سا عمله وقال يحيى بن معاذ
الرازي رحمه الله الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل
حق والصبر صاير الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني
ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب وفي الايام سعة
وانا شاب وسني قليل هذا ونحوه يحرك الى الرغبة في الدنيا
والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول ايش اكل وايش البس
وهذا الشتا وهذا الصيف ومالي شي ولعل العمر يطول فاحتاج
والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد من قوت وغنية عن الناس
هذه وامثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها
والمنع لما عندك منها واقل ما في الباب انه يشغل قلبك ٥
الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة يقول ويضيع
انا في الفقر وفي الكبر ربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شي

ويضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فايدة ولا طايل على
ما روي عن ابي ذر رحمه الله تعالى انه قال قتلني هم يوم
لم ادركه قيل وكيف ذاك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي
والرابع القسوة في القلب والنسيان للاخرة لانك اذا املت
بالعيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول الامل
واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى
يصد عن الحق فاذا يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث
الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب
من ذلك وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والثواب
والعقاب واحوال الاخرة واذا لم يكن شي من ذلك فمن اين يكون
لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم فاذا انت طولت املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك
وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت
غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله تعالى ان لم يرحم الله
تعالى اخرتك فاي حال اسوا من هذا واي امر اعظم من هذه
وكل هذا بسبب طول الامل واما ان قصرت املك قربت من
نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك فاقصهم
الموت في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري
يا نفس الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله رحمه
الله كم من مستقبل يوما لم يكمله ومنتظر غدا لم يدركه لو رايتم
الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول علي بن
الحسين عليه السلام الدنيا ثلاثة ايام امس مضى ما تتذكر منه شي ٥

وقتا لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنم ثم قول
ابي ذر رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات مضت وساعة
انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك في
الحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعته الى ساعة
ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلاثة انفاس نفس مضى
عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركها ام لا اذ كم
من متنفس نفسا فجاءه قبل ان يتنفس الاخر فلست
تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر في هذا
النفس الواحد الى الطاعة قبل ان تفوت والى التوبة
فلعلك في النفس الثاني تموت ولا تهتم بالنفس
بالرزق فلعلك لا تبقى لتحتاج اليه فيكون وقتك
ضايعا والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان ليوم واحد
وساعة واحدة او نفس واحد اما تذكرين ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة اما تعجبون من اسامة
المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما
وضعت قدما فظننت ان ارفعها ولا اللقمة فظننت
اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده
انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها
الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك
بالاعادة والتكرار يقصر املك باذن الله تعالى
فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل
توبتك فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا
فيخف حسابك وتنبعث وتخشع قلبك في تذكر الاخرة

واهوالها

واهوالها وما هو الا من تنفس الا نفس يخبرن اليها وقتا
واحدا فواحدا فيزول عنك القسوة وتبدل الرقة
والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى
والخشية فيستقيم لك امر عبادتك ويقوى الرجاء في ان
تسعد في عاقبتك وتظفر بالمراد في اخرتك وكل
ذلك بعد فضل الله بسبب هذه الخصلة التي هي قصر
الامل ولقد حكي ان زرارة بن اوفى رحمه الله قيل له
في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال
الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل
المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الام الاعظم في صلاح
القلب والنفس والله تعالى اعلم وولي التوفيق
واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على
الخطيات وانه الداء الذي يبتلى به كثير من القراء والعلماء
فضلا عن العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم النار
اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون
النار بستة العرب بالعصبية والامراء بالجور
والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق
بالجهل والعلماء بالحسد والى بلغت شومها ان
وردت العلما النار لحقيق لك تحذر منها واعلم ان
الحسد يبيح خمسة اشيا احدها افسا الطاعات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما ياكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور
على ما قال وهب رحمه الله عليه للحاسد ثلاث علامات

يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبه قلت
وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذه من شر الحاسد
فقال ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من
الشيطان فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة
الشيطان والساحر حتى انه يستعان عليه والاستعاذ الا بالله
رب العلمين والثالث التعب والغم من غير فايدة بل مع كل وزر
ومعصية كما قال ابن السماك لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من
الحاسد نفس دايم وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى
لا يكاد يفهم حكما من احكام الله عز وجل فلقد قال سفيان
عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن
حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا
تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر
بمراد وينصر على عدو كما قال حاتم الطعين غير ذي دين الاصم
والغايب غير عايد والنمام غير مامون والحسود غير منصور
قلت الحسود كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى
عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المومنين
ولقد احسن ابو يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم
على عبادك وحسن احوالهم وان عدا يفسد عليك الطاعه
ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس وفهم القلب
والنصر على الاعدا والظفر بالمطلوب فاي دا يكون ادوا منه
فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله تعالى ولي التوفيق
واما الاستعجال والتسرع فانه من الخصال المفوتة للمقاصد
الموقعة في المعاصي وان منها تبدو افات اربع احدها ان يقصد

العابد

العابد منزلة في الخير والاستقامة فيجتهد فربما يستعجل في نيلها وليس
ذلك بوقتها فاما ان يفتر وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة
واما ان يغلوا في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو
بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ديننا هذا متين فاوغل فيه برفق
فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل الساير لم ن
يستعجل نصل ولقايلهم شعر
قد يدرك المتاني بعض حاجته ❊ وقد يكون مع المستعجل الزلل ❊
والثاني ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر
الدعا ويجد فربما يستعجل الاجابة في وقتها ولا يجدها فيفتر
وييأس ويترك الدعا فيحرم حاجته ومقصوده والثالث ان
تظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه
وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك قال الله تعالى
ويدعوا الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ۝
والرابع ان اصل العباده وملاكها الورع والورع اصله النظر
البالغ في كل شي والبحث التام عن كل شي هو بصدده من اكل
وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور
غير متان ولا متثبت لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب او
ويتسارع الى كل كلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام
والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع واي خير في عبادة
بلا ورع واذا كان في هذه الافة انقطاع عن منازل الخير وحرمان
الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوت الورع الذي هو راس
المال فحق الانسان ان يهتم لها بالازالة واصلاح النفس بعدها والله

بلغ

الموفق بمنه وفضله واما الكبر فانه الخصلة المهلكة راسًا اما تسمع
قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة
بمنزلة سائر الخصال التي تقدح في عمل وتضر بفرع انما تضر بالاصل
وتقدح في الدين والاعتقاد اذا قويت وغلبت لا تتدارك والعياذ
بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع افات احدها حرمان الحق
وعمى القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله تعالى قال
الله تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الثاني المقت
والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المتكبرين وروي
ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال من تكبر
قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه الثالث
الخزي والنكال في الدنيا والاخره قال حاتم رحمه الله اجتنب
الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلا فان المتكبر لا يخرجه
الله من الدنيا حتى يريه الهوان من اهله وخادمه والحريص لا يخرجه
الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الله تعالى الى كسرة او شربة
ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه
ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله تعالى ذلا بحق
الرابع النار والعذاب في العقبى على ما روي ان الله تعالى
يقول الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما
ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبريا من الصفات التي
تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به
لا يشاركه فيه احد وان خصلة تفوت معرفة الحق وفهم ايات الله
تعالى واحكامه التي هي اصل الامر كله ثم تثمر لك المقت من الله سبحانه

والخزي

والخزي في الدنيا والنار في الاخره لا يسع العاقل ان يغفل في ذلك عن
نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحذر والاستعاذه بالله تعالى من
ذلك وهو جل وعز ولي العصمة والتوفيق بمنه فهذا بعض ما حضرنا
في هذه الخصال الاربع من الافات وحسب العاقل واحد منها فضلا
عن الكل اذا اهمه امر قلبه وحامى عن امر دينه والله الموفق

بلغ

فان قلت فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال
ولزوم التحفظ منها فلا بد من معرفة حقيقتها فبين لنا ذلك
لنعرف كيف الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد منها
كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول فيه في كتابي الاحيا والاسرار
ونحن نذكر هاهنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغنا عنه فنقول
وبالله التوفيق اما الامل فقال الكثير من العلما رحمهم الله انه
ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم
فيه بان يقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر وبشرط
الصلاح في الاراده فاذا انت ذكرت حياتك باني اعيش بعد نفس
ثاني او ساعة ثانية او يوم ثاني بالحكم والقطع فانت امل وذلك
منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم
من الله تعالى فتقول اعيش ان شا الله وان علم الله اني اعيش
فقد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت
الثاني قطعا فانت امل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت
عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه
فعليك بترك الحكم في ذكر البقا وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب
ثم المراد منه التوطين على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهم
راشدا ان شا الله تعالى ثم الامل ضربان امل العامه وامل

الخاصة فامل العامة ان يريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها
وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ويلههم
الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل
خير فيه خطر وهو مما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون
خير معين لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه
في آفة لا يقوم بها هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتدى في صلاة
او صوم او غيره ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك
قطعا لانه ربما لا يكون فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء ۝
وبشرط الصلاح فيتخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب
من الاتساع لان التناول بالنية المحمودة يكون ممتنعا من الامل
فهذا حكم الامل بالنية المحمودة وقد مست الحاجة اليه معرفتها مع
انها الاصل الاصيل قالوا رحمهم الله في حدها الجامع التام ان النية
الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل مبتدأ قبل ساير الاعمال بالحكم
مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء **فان قيل** فلم
جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام
يقال له لفقد الخطر في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس بشيء
متراخي عنك ولثبوت الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت
متراخي ففيه الخطران خطر الوصول لا يدري هل يصل الى ذلك
ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذا وجب
الاستثنا لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا
حصلت الارادة على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة مخرجة

عن

عن حد الامل وآفته فتامل جدا فهذه هذه واعلم ان حصن قصر
الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاءة الموت واخذه على غفلة
وغرة وهو في غرور وفضول فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها ۝
موفقا فانك الهما الحاجة ما سوى ودع تضييع الوقت في القيل
والقال وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله ۝ واما الحسد
فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح
فان لم ترد زوالها ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا
يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الخبر اي لا غبطة
الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لمقاربتها فان لم يكن
فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيره فهذا الفرق بين هذه
الخصال واما ضد الحسد والنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله تعالى
على اخيك المسلم مما له فيها صلاح **فان قيل** كيف تعلم ان له فيها
صلاحا او فسادا لتنصحه او تحسده فاعلم انه قد يقوم لنا غالب
الظن بذلك وغلبة الظن مما تجري مجرى العلم في هذه المواضع
ثم ان اشتبه عليك فلا تود زوال نعمة احد من المسلمين او بقاها
الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتتخلص من حكم الحسد وتحصل
لك فائدة النصيحة واما حصن النصيحة المانع من الحسد فهو
ذكر ما اوجب الله تعالى من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن
ذكر ما عظم الله تعالى من حق المومن ورفع من قدره وما له عند
الله من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوايد
الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات
ثم ما ترجو من شفاعته في الآخرة فهذه ونحوها مما يبعث على
النصح لكل مسلم وتجنبك ان تحسده في نعمة اعطاه الله تعالى

والله ولي التوفيق بفضله **واما** العجله فانها المعنى الراتب في
القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف
فيه والاستطلاع منه بل الاستعجال في اتباعه والعمل به
وضدها الاناة وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط
في الامور والنظر فيها والتاني في اتباعها والعمل بها واما
التوقف فضده التعسف **قال** شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف
والتاني ان التوقف قبل الدخول في الامور حتى يستبين له رشده
والتاني بعد الدخول فيه حتى يودي لكل جزو منه حقه ثم مقدمات
الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعترض الانسان وفرط
الافات المخوفة فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة
وما في الاستعجال والتعسف من الندامة والملامة هذه وامثالها
مما يبعث على التاني والتوقف في الامور ويمنع من الاستعجال
والتعسف والله تعالى ولي العصمة برحمته **واما** الكبر فاعلم
انه خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه ○
والتواضع خاطر في وضع النفس واحتقارها والتواضع ○
اتباعه ولكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع العامي هو
الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته
الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي وهو تمرين النفس على
قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا والتكبر في مقابلته
الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم
حصن التواضع العامي ان تذكر مبداك ومنتهاك وما
انت عليه في الحال من ضروب الافات والاقذار كما قال بعضهم
اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما

حاصل

حاصل بول وعذره وحصن التواضع الخاصي هو ذكر عقوبة ○
العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن
استبصر **الفصل الخامس في البطن وحفظه** ثم عليك بحفظ
البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثر
مؤونة وشغلا واعظمها ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن
ومنه تهيج الامور في الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجماح
ونحوه فعليك اذن بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم
فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله تعالى فاما
الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنه لثلاثة امور اولها ○
حذرا من نار جهنم قال الله تعالى ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار
اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبا ده
اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر **قلت** انا ○
اليس الله تعالى منع الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث من
مس كتابه قال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل وقال
لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث امر مباح فكيف
من هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة ومتى
يدعى الى خدمة الله تعالى العزيز وذكره الشريف سبحانه كلا
ولا يكون ذلك ابدا **وقال** يحيى بن معاذ الرازي الطاعة
مخزونة في خزاين الله تعالى ومفتاحه الدعا واسنانه الحلال
اذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح
باب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان

أكل الحرام والشبهة محروم فان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه
غير مقبول منه فاذن لا يكون له من ذلك الا العنا والكد وشغل
الوقت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من قايم ليس له
من قيامه الا السهر وكم من صايم ليس له من صيامه الا الجوع
والظما وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلاة امرء
في جوفه حرام ٥ واما فضول الحلال فانه آفة العبادة وبلية
أهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر آفات هي اصول
في هذا الشان الاول ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب
نوره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تميتوا
القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا
كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة
كالقدر تحت القلب يغلي والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار
يكدره ويسحمه الثاني في كثرة الاكل فتنة الاعضا وهيجها
وانبعاثها الى الفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعا
بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام او فضول
والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل
المشي اليه وان كان جايعا كانت الاعضا كلها ساكنة هادية
لا تطمع الى شيء منها ولا تنشط لها ولقد قال الاستاذ ابو
جعفر رحمه الله ان البطن عضو ان جاع شبع ساير الاعضا يعني
سكن لا يطالبك بشيء وان شبع هو جاع ساير الاعضا وجملة
الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه
ان دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول كان
الطعام بذرا للافعال والافعال نبت يبدو منه فتتكدر او

صنو

رهو

ويلحه

٢٧

اوصق

والثالث ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب
الفطنة ولقد صدق الداراني رحمه الله حيث قال اذا اردت
حاجة من حوايج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل
يغير العقل وهذا علم ظاهر علمه من اختبره والرابع ان في كثرة
الاكل قلة العبادة لانه اذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه ٥
وفترت اعضاوه ولا يجي منه شيء وان اجتهد الا النوم كالجيفة
الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا ولقد
ذكر عن يحيى عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى
ما هذه المعاليق قال الشهوات التي اصيد بها بني ادم قال هل تجد
لي منها شيا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال
يحيى عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعد هذا ابدا قال ابليس لا جرم
اني لا انصح احدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة واحدة فكيف
بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة ٥ وقال سفيان العبادة
حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة الخامس ان في كثرة الاكل فقد
حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما شبعت منذ
اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى
لقاء ربي وهذه صفات المكاشفين وكان رضي الله عنه مكاشفا ٥
واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل
صوم او صلاة وانما هو بشيء وقر في نفسه وقال الداراني احلى
ما تكون العبادة اذا التزق ظهري ببطني السادس ان فيه خطر
الوقوع في الشبهة والحرام ان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد
روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحلال لا ياتيك
الا قوتا والحرام ياتيك جرفا والسابع ان فيه شغل القلب والبدن

جرفا

بتحصيله اولا وتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بافراغه والتخلص عنه
رابعا ثم بالالام منه خامسا ان تبدو منه آفة في البدن وآفات
وعلل تتولد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة
يعني التخمة واصل كل دواء الازم يعني الحمية وعن مالك ابن
دينار انه كان يقول يا هولاي لقد اشتغلت الى الخلاء حتى
استحييت من ربي فسالت ان الله جعل رزقي في حصاة امصها
حتى اموت ثم في هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع في الناس وتضييع
الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف التاسع في امور الاخرة
شدة سكرات الموت وروي في الاخبار ان شدة سكرات الموت
على قدر اللذات في الحياة لمن اكثر من هذه اكثر له من تلك ن لحياة
والتاسع نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما ياخذ من لذات
الدنيا ينقص له من لذاته في الاخرة ولهذا المعنى عرض الله تعالى
الدنيا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال لا ينقص من اخرتك
شيئا خصه بذلك فدل ان لغيره النقصان الا ان يتفضل
الله تعالى عليه بذلك ولهذا روي ان خالد بن الوليد
اضاف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهيا له طعاما فقال عمر هذا
لنا فما للفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير
قال خالد لهم الجنة يا امير المومنين قال لئن فازوا بالجنة وكان
هذا حظنا من الدنيا فقد بانوا منا بونا بعيدا وروي عمر رضي
الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها
ماء نبذ فيه تميرات فلما قربها عمر فيه وجد الماء باردا حلوا

فامسكه

٣٨

فامسكه وقال آواه فقال الرجل والله ما اوتيته حلاوة يا امير
المومنين فقال عمر رضي الله عنه ذلك الذي منعني ويحك لولا
الاخرة لشاركناكم في عيشكم الحاشية الخبيث والحساب واللوم
والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان
الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فهذه اي الخسران والهلاك
جملة العشرة وفي احادها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك ايها المجتهد
بالاحتياط البالغ في القوت كيلا تقع في حرام وشبهة فيلزمك
العذاب ثم بالاقتصار على الحلال ما يكون عونا على عبادة الله
تعالى ولا تقع في شره وتبقى في الحبس والحساب والله تعالى ولي
التوفيق فان قلت فبين لنا حكم الحرام والشبهة وحدهما فاقول
لعمري والله لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات الدين
وذكرناه كتابا مفردا في كتب الاحياء لكنا نشير الى كلمات مفردة
بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب
ان ينتفع به المبتدي في العبادة ويعين الطالب قال بعض
العلماء ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو
حرام محض واما اذا لم يكن يقين بذلك ولكن يغلب في
ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال الاخرون الحرام المحض ما يكون
به علم او غالب ظن لان من غلبة الظن ما يجري مجرى
العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت العلامات
حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك

شبهة شبه انه حلال وشبه انه حرام فاشتبه امره عليك
والتبس حاله ثم الامتناع عن ذلك الذي هو حرام محض حتم
واجب وعن الذي هو واجب شبهة تقوى وورع وهذان
اولى القولين عندنا **فان قيل** فما تقول في جوائز
السلطان في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيها
فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فان اخذه حلال وقال
اخرون لا يحل ان يوخذ ما لا يتيقن انه حلال لان الغالب
الاغلب في هذا العصر على السلاطين الحرام والحلال في ايديهم اموال
معدوم وعزيز وقال قوم ان صلاة السلاطين تحل للغني
والفقير اذا لم يتحقق انه حرام وانما التبعة على المعطي
قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس
ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قول الله
سبحانه وتعالى اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة
من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم ابو هريرة وابن عباس
وابن عمر وغيرهم وقال اخرون لا يحل من اموالهم شي لغني
ولا لفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب من مالهم
السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال
اخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني
الا ان يعلم الفقير ان ذلك عين الغصب فليس له ان ياخذه
الا ليرده على مالكه والحجة على الفقير انه ياخذ من مال الله
لانه ان كان ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب

وان

وان كانت فيئا او خراجا او عشرا فللفقير فيه حق وكذلك لاهل
العلم **قال** علي بن ابي طالب عليه السلام من دخل في الاسلام طائعا وقرا
القران ظاهرا فله في بيت المال مال المسلمين كل سنة مايتا درهم
وروي دينارا ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان
لذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا واذا كان المال
مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده
على صاحبه وذريته فلا يخلص السلطان الا ان يتصدق به
وما كان الله ليامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن
قبوله ويأذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن للفقير
ان ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له ان ياخذه وهذه
المسايل لا يمكن الفتوى فيها الا بتبسط وتشقيق واستيعاب
القول فيها يخرج عن مقصود الكتاب فان اردت معرفتها فطالع
كتاب الحلال والحرام من كتب احيا علوم الدين تجده شرحا مبينا
ان شا الله تعالى **فان قيل** فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم
هل يلزم ردها والبحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم
في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان
ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلاته
وصدقته ولا يلزم البحث بان تقول قد فسد الزمان فان
هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مامور به

ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب وهو ان ها هنا شيئين احدهما
حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان تاخذ
ما اتاك ممن ظاهره صلاح ولا تسأل الا ان تتيقن انه غصب او حرام
بعينه وحكم الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية
البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه والا
والا فترده فلقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له
اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جيتك بشيء تسالني عنه ولم
تسالني عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت قوما رقيا
جاهلية فاعطوني هذا فتقيأ ابو بكر رضي الله عنه وقال اللهم هذا
مقدرتي فما بقي من العروق فانت حسيبه فهذا يدلك على وجوب البحث
عما تقدم عليه ان كان لك نظر في الورع وحقه فهذا ذاك فان قلت
فكان الورع خلاف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر
والسماحة وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة
السهلة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر على التقي
اضيق من عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل
واحد لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجواز ان
يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما معنى
واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا فان قلت اذا جاز البحث والاستقصا
عن كل شيء فسد علينا ما ناخذه في هذا الزمان وتعذر الامر عسره على

صاحب

صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم
ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن
نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك ولهذا
المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقين الى جبل لبنان وغيره
فاقتصروا على اكل الحشيش وثمرات نابتة لا شبهة فيها
لمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحتمل
الشدايد ويصبر عليها ويسلك طريق اولائك لينال
منازلهم واما ان اقام بين الناس فاكل مما في ايديهم لونه في
ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا
عند الضرورة ثم لا يتناول منه الا بقدر ما يبلغه الى
الطاعة فيكون له عذر في ذلك لا يضر ان كان في اصله
شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن
البصري رحمه الله اذا افسد السوق فعليكم بالقوت
ولقد بلغني عن وهيب ابن الورد رحمه الله انه كان يجوع
نفسه يوما او يومين وثلاثة ثم ياخذ رغيفا ويقول
اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى
الضعف والا لم اكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث او حرام
فلا تواخذني ثم يبل الرغيف في الما فياكله قلت
فهذان الطريقان الطريقة العليا من اهل الورع فيما

احتياط وبحث على مقدار
نعله واما من دونهم فلهم
ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار وبقيه رما يتعنا
ينال مما يتمنا والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا
وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا
عن جانب الحلال وما حد الفضول الذي يلزم منه الحبس
والحساب وما المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك
ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب
يقال له اعلم ان احوال المباح ثلثة اقسام احدها ان في الجملة
ياخذه العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ
منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحسا
واللوم والتعيير وهو منكر وشر ويستوجب على ظاهر
باطن فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك
القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا
مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه
غضبان فان وعد على نفسه ذلك بعلمه والقسم الثاني
ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر بلغ
يستوجب عليه الحساب والحبس لقوله تعالى ثم لتسألن
يومئذ

يومئذ عن النعيم وقال صلى الله عليه وسلم حلالها
حساب والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال
العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله ويقتصر على
ذلك فذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب
عليه ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة
لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال
صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا
عن المسئلة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جا
يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما
قصد به هذا المقصود والحمد لله تعالى فان
قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم
فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا في الاصل الى شرطين
احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون
في حال عذر وهو بحيث انه لو لم ياخذ [illegible]
ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح لانقطع بسببه
عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح
فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو
في حال العذر واما القصد فان يقصد به العون والاستعانة
على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه
من التوصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى لما اخذت
ذلك فهذا ذكر النية فلما حصل ذكر النية في حال العذر

صار ذلك الاخذ من الدنيا الحلال خيرا وحسنة وادبا
واما اذا كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد
وهذا الذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك
الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذا
الادب يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بانه لا ياخذ
الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه
ان سها عن ذكر الحجة في حال اجزاء ذلك القصد
المجمل عن تجديد ذكر الحجة قال شيخنا رحمه الله فصار
الامور الثلاثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني
ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا
والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة منزلة الادب
معتبر في الاستقامة عليه فانهم ذلك راشدا فان
قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة فهل يكون ذلك
معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر
فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة
والامر به امر تاديب والاخذ بشهوة شر وسيئة
والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون
عليه عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم
والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي
يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسال يوم القيامة
عن ماذا اكتسبت وفي ماذا انفقت ولماذا اردت

بذلك

بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب بذلك في عرصة
الحساب القيامة بين اهوالها ومخاوفها عريان عطشان
وكفى بذلك بلية فان قيل فاذا كان الله قد احل لنا ذلك
هذا الحلال فاللوم والتعيير لترك الادب كمن اجلس على
مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان
كان الطعام له مباح والاصل في هذا الباب ان الله تعالى
خلق الخلق لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق
للعبد ان يعبد الله من كل وجه يمكنه وتجعل افعاله
كلها عبادة من اي وجه امكنه وان لم يفعل ذلك واثر
شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من
ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم
وشهوة استحق اللوم بذلك والتعيير من سيده فتامل
هذا الاصل راشدا والله الموفق الا بالله فهذه الجملة التي اردنا
بيانها في اصلاح النفس وإلجامها بلجام التقوى فارعها
حقها واحتفظ بها جدا تفز بالخير الكثير في الدارين
ان شاء الله تعالى والله تعالى ولي العصمة والتوفيق

فصل ثم عليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه
العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شدة
واكثرها مؤنة واكثرها افة وفتنة فان من هلك من
الخلق انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق
او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب
الاسرار والاحياء والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك

بلغ

ومقصود هذا الكتاب انى سألت الله تعالى ان يطلعنى على سر
معالجة النفس وان يصلحنى ويصلح بي فاقتصرت في هذا الكتاب
الشريف على نكت وجيزة اللفظ غزيرة المعنى تقنع من
تأملها وتدعه على واضحة من الطريق ان شا الله تعالى وهذا
الفصل يختص بنكت في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس
اما الدنيا فحق لك ان تحذرها لان الامر لا يخلو من ثلاثة
اما انت من ذوي البصاير والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة
الله تعالى وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيصة عقلك ٥
والعقل فيمنك واما انت من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى
والاجتهاد فحسبك ان الدنيا بلغ شومها انما يمنعك ارادتها
ويشغلك الفكر فيها عن العباده والخير فكيف تعتنيها وما
انت من اهل الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقايق ولا همة لك
تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها
واما ان تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لم
تبق لها فاي فايدة اذن في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها

وترهد فيها

ولقد احسن القايل شعر

هب الدنيا تساق اليك عفوا • اليس مصير ذاك الى الزوال
وما دنياك الا مثل ظل • اظلك ثم اذن بارتحال

فلا ينبغي لعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القايل

اضغاث نوم او كظل زايل • ان اللبيب بمثلها لا يخدع

واما الشيطان فحسبك فيما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله

تعالى

تعالى يحتاج مع ذلك ان يستعيذ بالله من امر الشيطان فكيف
بك مع جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك فيهم
انك لو خالطتهم ووافقتهم في اهوايهم اثمت وافسدت
امر آخرتك وان خالفتهم تعبت بايذايهم وجفواتهم ٥
وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يلجوك الى معاداتهم
ومناواتهم فتقع في شرهم ولانهم ان مدحوك وعظموك اخاف
عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك اخاف عليك الحزن
تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين آفة مهلكة
ثم اذكر حالك معهم بعدما مت في القبر ثلاثة ايام كيف يتركونك
ويهجرونك وينسونك ولا يكادون يذكرونك كانك لم تريهم يوما
ولم يروك فلا ينبغي هنالك الا الله سبحانه افلا يكون من الغبن
العظيم ان تضيع ايامك مع هولاي الخلق مع قلة الوفا وقلة البقا
وتترك خدمة الله تعالى الذي ترجع اليه آخر الامر وحدك ولا
يبقى الا هو ابد الآبدين الحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه ن
والاعتصام كله في كل حال وعند كل شدة وهو البر وحده
لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد ان شا الله تعالى والله
ولي الهداية بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهد من حا
ورداة ارادتها وسو اختيارها في حال الشهوة بهيمة وفي حال
الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة
تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع ٥
مختالا ان اشبعتها بطرت ومرحت وان جوعتها صاحت وجزعت
٤ فهي كما قال القايل • كحمار السوء ان اشبعته رمح الناس وان جاع
نهق • ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال ان من رداءة

لاتها
بلغ

هذه النفس وجهلها بحيث اذا همت بمعصية او انبعثت لشهوة
لو تشفعت اليها بالله تعالى وبرسوله وبجميع انبيايه وبكتابه وجميع
السلف الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة
والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم اشغلها بمنع
رغيف تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك
ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم بها جل جلاله
ان النفس لامارة بالسوء فلقى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد
بلغنا عن بعض الصالحين رحمه الله تعالى انه احمد بن ارقم البلخي
انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان
الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير
لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس
فتستروح اليهم وتتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم
والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على معرفة
فاجابت فاسات الظن بها فقلت الله اصدق فقلت لها اقاتل
العدو حاسرا فتكوني اول قتيل فاجابت الى ذلك قال فقلت
يارب تنبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت بها
تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم بمنعك اياي شهواتي مرات
ولمخالفتك ولا يشعر احد بي فان قاتلت ولا قتلت مرة واحدة
فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون
لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك العام
فانظر الى خداع النفس وغرورها تراءي الناس بعد الموت
بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القايل واحسن

توق نفسك لا تامن غوايلها ٭ فالنفس اخبث من سبعين شيطانا

فتنبه

فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء وكن على مخالفتها بكل
حال تصيب وتنجو ان شاء الله تعالى ثم عليك بالجامها بلجام التقوى
فلا حياة لها سواه واعلم ان هاهنا اصلا اصيلا وهو ان العباده
شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات
والاجتناب عن المعاصي والسيات وهو التقوى وان شطر الاجتناب
على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب
ولذلك يشتغل المبتديون من اهل العباده الذين همتهم اول
درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتديون من
اهل العباده كل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو
ذلك ويشتغل المنتهون اولو البصاير من اهل العباده بشطر
الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى
وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر
الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني من العباد ليونس
عليه السلام يا يونس من الناس من حبب اليهم الصلوات فلا
يوثرون عليها شيا وهي عمود الدين بالثبات لله تعالى والصدق
والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يوثرون
عليه شيا ومنهم من حبب اليهم الصدقة ولا يوثرون عليها شيا
يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل
سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل
منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فاذا حصل لك الشطران جميعا
الاكتساب والاجتناب فلقد استكمل امرك وحصل مرادك ولقد
تمت وغنمت وان لم تبلغ الى الا احدها فليكن ذلك جانب

الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشيئين جميعا وما
ينفعك قيام ليل وتعبه ثم يحبط بارادة واحدة وما يغني
صيام نهار طويل ثم تفسده بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما
كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر قال لا
اعدل بالسلامة شيئا ومثاله ما قلناه حال المريض وذلك
ان معالجة المريض شيئان نصف هو الدوا ونصف هو الاحتما
فان اجتمعا فكانك بالمريض وقد بري وصح والا فالاحتمايه
اولى اذ لا ينفع دوا مع ترك الاحتما ولقد ينفع الاحتما مع ترك
الدوا وقال صلى الله عليه وسلم اصل كل دوا الحمية والمعنى
بها والله اعلم انها تغني كل دوا ولذلك يقال ان اهل الهند كل معالجتهم
الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبري
ويصح بذلك لا غير فبين لك هذه الجملة ان التقوى ملاك الامر
وجوهره واهلها هم الطبقة العليا من العباد فعليك
ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية الى ذلك والله سبحانه
ولي التوفيق **فصل** ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي
هي الاصول الاول العين وحسبك فيها ان مدار الدنيا والدين
على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين
ولذلك قال علي رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس للقلب عنده
قيمة والثاني اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة
تعبك واجتهادك كله العباده والطاعه وان خطر العباده
واختباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين
والغيبة ونحوها ويبلغ عليك بلفظة واحدة ما تعبت فيه سنة
بل

بل خنا وعشرا ولذلك قيل ما شي احق بطول السجن من اللسان
وفيما **روي** ان احد العباد السبعة قال ليونس عليه السلام
يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العباده لم ينفقوا على
عبادتهم بشي افضل من الصبر على ترك الكلام في فصل
طويل ثم عاد الى ذلك فقال ولا يكون عندك شي اثر من حفظ
لسانك والا تكون بشي اعنى منك بسلامة صدرك فهذه هذه ثم
اذكر النفس الذي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت
استغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فتربح
راسك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا
يحيط به وهمك او تقول اسال الله العافية فربما يتفق حين
نظر فيستجيب الله بدعوتك فتنجوا من بلية الدنيا والاخره وان
لا يكون من الخسران العظيم والغبن القطيع ان تفوت على
نفسك هذه الفوايد الجمة وتجعل نفسك ووقتك بين
فضول اقل ما يلزمك فيها اللوم والحساب يوم القيامة ولقد
احسن القايل ٭ واذا هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
والثالث البطن وحسبك ان مقصودك العباده وان الطعام
بذر العمل وماؤه فمنه ينبت و يثبت واذا خبث البذر
لا يطيب الزرع بل فيه خطران يفسد عليك ارضك
فلا تقلع ابدا من ذلك بلغنا **عن معروف الكرخي** رحمه الله
انه قال اذا صمت فانظر على اي شي تفطر وعند من
وطعام من تاكل فكم من ياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان
عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة
وكم من نظرة منعت قراة سورة وان العبد لياكل الاكلة

بيان
الطمع لحلاوة في العبادة

فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط
البالغ الشديد في قوتك اذ ان كان لك عناية بقلبك وهمة في عبادة
ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من وجهه ثم عليك بالادب فيه
والا كنت حمالة للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل رأينا
عيانا ان العبادة لا يجي منها شي اذا امتلا البطن وان اكرهت
النفس على ذلك وجاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك العباده
لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع في العبادة لحلاوة مع كثره
الاكل واي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة
ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله صحبت اكثر رجال
الله تعالى في جبل لبنان فكانوا يوصوني اذا رجعت الى ابناء
الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة
ومن ينم كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضا الناس فلا
ينتظرن رضا الرب ومن يكثر الفضول والغيبة فلا يخرج
من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله انه قال جماع الخير
في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض
العارفين الجوع راس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ
وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه
لله سبحانه وتعالى واما القلب فحسبك انه اصل الكل ان
فسد فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وساير
الاعضا اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان وتصلح وتفسد
وانه الملك وساير الاعضا تبع واركان واذا صلح الملك صلحت
الرعية واذا فسد فسدت فاذن صلاح العين واللسان والبطن

وغيره دليل على صلاح القلب وعمرانه واذا رايت فيها خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بل الفساد فيه
اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة وتستريح ثم
امره دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر والتي ليست تحت يدك
والامتناع من اتباعها مجهود طاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا
المعنى صار اصلاحها اشد على الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر عند
ذوي البصاير وعن ابي يزيد رحمه الله انه قال عالجت قلبي
عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب فهذه
هذه ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل
والعجلة في الامور والحسد والكبر فانما خصصنا هذه الاربع
من بين ساير الخصال عن هذا الموضع وخصصنا على الاحتراز
منها لانها علل القرا خاصة اذ هي تعتري ساير الناس عموما
والقرا خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القاري يطول
الامل ويعده نية خير فيوقعه في الكسل والتواني في العمل
وتراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها او
في اجابة دعا صالح فيحرم ذلك او في الدعا على احد بسوء
فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه يحسد
نظراه على ما اتاهم الله تعالى من فضله حتى يبلغ منه ذلك
مبلغا يحمله على قبايح وفضايح لا يقدم عليها فاسق والفاجر
ولهذا المعنى قال سفيان الثوري ما اخاف على ديني
الا القراء والعلماء فاستنكروا منه ذلك قال انا ما قلته انما
قال ابراهيم النخعي وعن عطا قال قال لي الثوري رحمه
الله احذروا القرا واحذروني معهم فلو خالفت اودهم لي

في زمانه فما قول انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته الان
يسعى بي الى سلطان جاير **وعن مالك بن دينار** رحمه الله
انه قال اني اقبل شهادة القرا على جميع الخلق ولا اقبل شهادة
بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادا **وعن الفضيل** رحمه الله
انه قال لابنه اشتروا دارا بعيدة من القرا ما لي وللقوم ان
ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت علي نعمة حسدوني وكذلك
تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا وجهه
كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين كانما جاءه من الله
تعالى منشورا بالجنة والبراة من النار او كانه استيقن السعادة
السعادة لنفسه والشقاوة لساير الناس ثم مع ذلك يلبس
لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا
لا يليق بالترفع والتكبر والايلايه بل ينا قضه ولكن الاعمى
لا يبصر **وذكر ان فرقد السبخي** دخل على الحسن رحمه الله
وعليه كسا وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال الحسن
ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب
اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال
الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي
يحلف به لاحدكم بكسايه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه
والى هذا يشير ذي النون رحمه الله حيث قال

تصوف فازدهى بالصوف جهلا • وبعض الناس يلبسه مجانه
يريك مهانة ويريك كبرا • وليس الكبر من شكل المهانه
تصوف كي يقال له امين • وما معنى تصوفه الامانه
ولم يرد الاله به ولكن • اراد به الطريق الى الخيانه

فاحذر

فاحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع سيما الكبر فان
الثلاثه الاول مداحض لو زللت فيها لوقعت في العصيان
والكبر مدحض لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر والطغيان
ولا تنس حديث ابليس وفتنته اذ ابا واستكبر وكان
من الكافرين والرجوع الى الله تعالى جل وعلا ان يعصمنا
جميعا بحسن نظره انه الجواد الكريم **فصل** وجملة الامر
انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل علمت ان الدنيا لا بقا لها وان
نفعها لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في
الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الاخره زهدت في فضو
ولا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع النعم
والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين
الملك القادر والغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفا لهم وان
مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يعنيك تركت مخالطتهم الا
فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب ضرهم وتجعل صحبتك
لمن لا تحتشم من صحبته ولا تندم على خدمته وانسك بكتابه
وملازمتك اياه فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل
وافضاله ونجاه عند كل نايبة في الدنيا والاخره **قال**
علي عليه السلام احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان
خبيث قد تجرد لمعاداتك فاستعذ بربك القادر القاهر
من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكايده ومصايده
فتطرده بذكر الله سبحانه ولا تعاني بذلك فانه يتبين اذا ظهرت
عزيمة الرجال فانه كما قال الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون **ولقد** صدق ابو

حازم فيما قال ما الدنيا يا ابليس اما الدنيا فما مضى فحلم وما
بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي
فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وجماحها الى ما يضرها ويهلكها
نظرت لها رحمة لها نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب
لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الحال ولا يفطنون
لغايلة الاذى ويفرون من مرارة الدواء الجمتها بلجام التقوى
بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول وكلام ونظر
وتلبيس بخصلة فاسدة من طول امل وعجل او حسد او
تكبر في غير موضعه او اكل محض شهوة وشرة وتعطيها ما ليس لها
منه بد ولا تخاف منه ضررا ولا ضرورة الى الفضول وقد وسع
الله تعالى الامر على عباده رحمة واغناهم عن جميع ما يضرهم في
تمردهم فاي حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض
الصالحين ان التقوى اهون شيء اذا رابني شيء تركته فان
النفس تتلين وتتعود ما عودتها وانها لكما قال القايل
فالنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع
وقال اخر ٭ هي النفس ما حملتها تتحمل ٭
وقال اخر ٭ وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ٭ فان توقت تاقت
فاذا علمت الذي وصفناه وعملت به كنت من الزاهدين
في الدنيا الراغبين في الاخرة واعلم ان من تسمى باسم الزاهد
فقد تسمى بالف اسم ممدوح وكنت من المتفردين المنقطعين
الى الله سبحانه الذين هم اهل الانس وخدم رب العزة فتكون
كما قال القايل ٭ تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم
٭ فالزمهم باب مرضاته ٭ وعن سائر الخلق اغناهم ٭

اي اماني

بلغ

ولكنت

ولكنت من المجاهدين في الله الخواص من عباد الله الذين قال
فيهم سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتميزين
الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ خيرا من كثير من
الملايكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوهم الى قبيح ولا
نفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه العقبة الطويلة
الشديدة وسبقت العوايق كلها الى مقصودك ولا يهولنك
فانه مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين نسال الله تعالى
وهو خير مسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وعونه
وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والاستعانة به في كل معضل
فبيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره
في هذا الكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الرابع في العقبة الرابعة وهي عقبة العوارض

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكفاية العوارض الشاغلة
عن عبادة الله تعالى وسد سبلها عليك لئلا تشغلك عن مقصودك
وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك
وانما كفايته بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق والحاجة
بكل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة ويتمشى
لك من الخير حقه فان من لم يتوكل فلابد من اشتغاله عن
عبادة الله بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما
باطنا اما بطلب يكسب بالبدن كعامة الراغبين واما
بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المعلقين والعبادة
تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغة الا
للمتوكلين بل اقول وكل من هو ضعيف القلب لا يكاد

يطمئن قلبه الا بشي معلوم فلا يكاد يتم له امر خطير من دنيا واخره
وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد رحمه الله يقول انما الامور
تمشي في العالم لرجلين متوكل او متهور قلت وهذا كلام
جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة وجراه
قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر يضعفه فيجري له
الامور على قوة ونصيره وكمال اليقين بوعد الله سبحانه وتمام
ثقته بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه او شيطان يوسوسه
فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المعلق الضعيف ابدا
بين توكل وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في وكره يرمق ما تعود مع صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك ان
تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد
يقصد امرا شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك
اما ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة
ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم
واهلهم اما الملوك فيباشرون الحرب ويقتحمون الاعداء
اما هلكا او ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولايه
وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال
من اراد خطيرا خاطر بعظيمة واما التجار فيركبون المهالك
بحرا وبرا ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا
ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما
حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك ربح عظيم ومال جسيم
وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه ورق عزمه
لا يكاد يقلع القلب عن علاقته من نفسه وماله فهو على بيته الى

دكانه

دكانه طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح
عظيم كالتجار المخاطرين فان نال في سوقه وربح على بضاعته درهما
فذاك الكثير وذلك لتعلق قلبه بشي معلوم فهذا في الدنيا واهلها
واما ابناء الاخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل وقطع
القلب عن العلايق لما احكموها وحصلوها حقها تفرغوا ان
لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض
واقتحام الفيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا اقويا
العباد ورجال الدين واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة
يسيرون حيث يشاوون وينزلون حيث يشاوون ويقصدون
الامور العظام علما وعبادة على ما يشاوون لا عايق لهم ولا
حاجز دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد
واليه الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اقوى
الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما
في يد الله اوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص رحمه الله
لو ان رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه الامرا
ومن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم
الخواص قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة قال
قلت الى اين يا غلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال
يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارض يقدر
ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة واذا
هو في الطواف يقول ... يا نفس سيحي ابدا ... ولا تحبي احدا ...
الا الجليل الصمدا ... يا نفس موتي كمدا ... فلما راني قال يا شيخ
انت بعد على ذلك الضعف ... وقال ابو مطيع لحاتم الاصم

بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال حاتم زادي
اربعة اشيا قال ماهي قال اري الدنيا والاخره مملكة لله
واري الخلق كلهم عبيد الله وعياله واري الارزاق والاسباب
كلها بيد الله واري قضا الله نافذا في جميع ارض الله ولقد
صدق من قال :. اري الزهاد في روح وراحة . قلوبهم عن
اذا ابصرتهم ابصرت قوما . ملوك الارض سيمتهم سماحة .
واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه في هذا
الشان ما ذكرته من الخطر العظيم والامر الكبير **قلت**
الى الله سبحانه قرن الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم
ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله تعالى لا غير كالخلق ثم
لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم
يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب
السماء والارض انه لحق ثم لم يكتف بذلك كله حتى امر بالتوكل
وابلغ وانذر فقال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال
سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر
قوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه ثم
لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله
واية محنة تجي من هذا وهذه والله مصيبة شديدة
ونحن منها في غفلة عظيمة **ولقد** قال الصادق الامين
صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف انت اذا بقيت بين قوم
يخبون رزق سنتهم لضعف اليقين **وعن** الحسن رحمه
الله لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت

الملايكة

هذه الاية

الملايكة عند نزول قوله تعالى فورب السماء والارض هلكت بنوا
ادم اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم **وعن اويس**
القرني لو عبدت الله سبحانه عبادة اهل السماء والارض لا يقبل منك
حتى تصدقه قيل وكيف يصدقه قال تكون فارغا امنا مما تكفل
الله لك امر رزقك وترى جسدك قايما فارغا لعبادته **ولقد**
قال هرم بن حيان رحمه الله لاويس رحمه الله اين تامرني
ان اقيم فاومى بيده الى الشام قال كيف المعيشة بها قال
اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وبلغنا
ان شابا تاب على يد ابي يزيد البسطامي رحمه الله فساله
ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن الف قبر فلم ار
وجوههم الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين
اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة **وذكر**
لي بعض اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فساله عن
حاله فقال هل لك بايمانك فقال انما يسلم الايمان
للمتوكلين فنسال الله تعالى ان يصلحنا بفضله والايواظ نا
بما هو اهله انه ارحم الراحمين ولله هذه **فان قلت**
فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه في
امر الرزق فاعلم انه انما يتبين لك باربعة فصول احدها
في بيان لفظ التوكل والثاني في موضعه والثالث في حده
والرابع في حصنه فاما لفظه فهو التوكل على وزن
التفعل ماخوذا من الوكالة فالمتوكل على احد هو الذي
يتخذه بمنزلة الوكيل القايم بامره الضامن لاصلاحه
الكافي له من غير تكلف او اهتمام فهذه جملته واما موضع

التوكل فاعلم ان التوكل اسم مطلق في ثلاثة مواضع احدها
في موضع القسمة وهو الثقة بالله فانه لا يفوتك ما قسم لك
فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع والثاني في موضع
النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله تعالى لك اذا
نصرته وجاهدت في سبيله قال الله تعالى فاذا عزمت
فتوكل على الله وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى
وكان حقا علينا نصر المومنين وهذا واجب بالوعد والثالث
في موضع الرزق والحاجة بان الله تعالى متكفل بما يقيم
بنيتك لخدمته ويتمكن به من عبادته وذلك قوله تعالى
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين صلى الله
عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدوا خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد
بدليل العقل والشرع جميعا وهذا هو الاشهر الاغلب مما اعني
التوكل في موضع الرزق وهو المقصود من هذا الفصل
فموضع التوكل اذن هو الرزق المضمون فيما قال العلماء
بالله وانما يتضح لك بيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق
اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون
هو الغذاء وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان
من الله تعالى لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل
والشرع لان الله تعالى كلفنا طاعته وخدمته بابداننا فضمن
ما يسد خلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ
الكرامية كلاما حسنا على اصله ان ضمان ارزاق العباد
واجب في حكم الله تعالى لثلاثة اشيا احدها انه سيد وهم

العبيد

والشرع

المحسنه

٥١

العبيد وعلى السيد كفاية مونة العبيد كما ان على العبيد
خدمة السيد والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم
يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم ومن اين
هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه وفي وقته ليصلوا
اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه والثالث
انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق معها شاغل فوجب ان يكفيهم
بالمونة ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار الر
والقايل بان على الله تعالى واجبا ثابتة وقد اوضحنا في فن
الكلام فساده ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق
المقسوم فهو ما قسم الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ ما ياكله
ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدور ووقت موقت لا
ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه قال النبي
صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ ليس تقوى تقي
بزايده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فما يملك كل واحد
من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم له ان
يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى انفقوا مما رزقناكم
اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى المتقين
من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم
ذلك واما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه
اتكال القلب الى الله تعالى بالانقطاع اليه والاياس عما دونه
وقال بعضهم حفظ القلب الى الله بموضع المصلحة بترك تعليقه

بوبية

يزيد

على شي دونه وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله التوكل ترك التعليق
والتعليق ذكر قوام بنيتك عن شي دون الله تعالى قال شيخي
الامام رحمه الله التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام
بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر قوامها عن ما دون الله
والاقاويل عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن
قلبك على قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هو من
الله عز وجل لا باحد دون الله تعالى ولا بحطام من الدنيا ولا
بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شا سببه لك مخلوقا او
حطاما وان شا كفى بقدرته دون الاسباب والوسايط فاذا
ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه وانقطع القلب عن المخلوقين
والاسباب بمرة الى الله سبحانه وتعالى وحده فقد حصل التوكل
حقه فهذا حده واما حسن التوكل الباعث فهو ذكر ضمان الله
وحسن حصنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته ونزاهته
عن الخلف والسهو والنقص والعجز فاذا واظب العبد
على هذه الاذكار اعانته على التوكل على الله سبحانه وتعالى في
امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بحال
فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذا والقوام ولا يمكننا
طلبه اذ هو شي من فعل الله سبحانه بالعبد كالحياة والموت
لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب
ولا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك وانما حاجته
الى المضمون وهو من الله وفي ضمان الله تعالى واما قوله تعالى
وابتغوا من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل بل هو
رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة

ورحمة

لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن بهذا الرزق المضمون
اسباب فهل يلزمنا طلب الاسباب قيل لا يلزمك طلب ذلك اذ
لا حاجة بالعبد اليه اذ الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب فمن
اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك ضمانا مطلقا من
غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف
مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي جعله ولم
لا غيره والذي يصير سبب غذايه وتربيته لا غيره فالواحد منا
منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له ولا يصح تكليفه
فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبيا صلوات الله عليهم
اجمعين والاوليا المتوكلين لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا
للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله ولا عاصين لله
في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم
للعبد فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك
الطلب فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت لا
تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته وهذا هو الصحيح عند
علماينا رحمهم الله وهو خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم
وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد
ولكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين
واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا
تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولو كان بالطلب يزيد
وبالترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع اذ هو قصر
وتوانا حتى فاته وجد وشمر حتى حصله وقال النبي صلى

دوا تعالى

ضعيف

الله عليه وسلم

للسايل هاك لو لم تاتها لا تتك فان قيل فالثواب والعقاب
ايضا مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب
وينقص بتركه فاعلم ان طلب الثواب انما وجب لان الله تعالى
امر به امرا حتما واوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل
منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق بينهما
في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان
قسم هو مكتوب مطلقا من غير تعليق وشرط بفعل وهو
الارزاق والاجال اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا غير
مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وقال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال
صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام اربعة قد فرغ منهن الخلق
والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط
بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف ذكرهما الله
تعالى في كتابه معلقا بفعل العبد قال تعالى ولو انهم امنوا
واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم ولادخلناهم جنات النعيم وهذا
بين فالزمه فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق
والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له كانك لا تجد
الطالبين مع ذلك طالبا محروما فقيرا وتاركا مرزوقا غنيا
بل ان كهذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك هو تقدير العزيز العليم
وتدبير الملك الحكيم وانشدني ابو بكر محمد بن سابق الصقلي
الواعظ بالشام رحمه الله تعالى
وكم قوي قوي في تقلبه * مهذب الراي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه * كانه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على ان الاله له * في الخلق سر خفي ليس ينكشف
فان قلت فهل يدخل البادية بغير زاد فاعلم ان كان لك قوة
القلب بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل والا فكن كالعوا
بعلائقهم ولقد سمعت الامام ابا المعالي رحمه الله يقول من
جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله معه على ما هو
عادة الناس في كفاية المؤونة وهذا كلام حسن جدا وفيه
فوايد لمن تاملها فان قلت اليس الله تعالى يقول وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد الاخرة
ولذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها
والثاني انه كان قوم لا ياخذون الزاد في طريق الحج لانفسهم اتكالا
على الناس ويسالون ويلحون ويوذون الناس فامروا بالزاد
امر تنبيه على ان اخذ الزاد من مالك خير من اخذ اموال
الناس والاتكال عليهم ولذلك تقول فان قلت فالمتوكل
هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق
القلب به بانه لا محالة رزقه انما يعلق القلب بالله ويتوكل
عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ منه والله تعالى ان
شاء اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل بنية اخرى ان
يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد وتركه
انما الشان في القلب فلا تعلق قلبك الا بوعد الله وحسن
كفايته وضمانه فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى دون
الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى
فالشان اذن في القلب فافهم هذه الاصول تكفى المؤونة
ان شاء الله تعالى فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل

الزاد وكذا الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم ولا جرم ان ذلك
مباح غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على
الله سبحانه فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت أعصى في ذلك وعلق
قلبه بطعام وشراب او درهم او دينار كلا وحاشا ان يكون ذلك
بل كان قلبه مع الله تعالى فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها
ولم يمد يده الى مفاتيح خزاين الارض كلها وانما كان اخذ الزاد
منه ومن السلف الصالح لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله
تعالى الى الزاد والمعتبر القصد على ما اعلمناك فانتبه من
رقدتك فان قلت ايهما افضل اخذ الزاد ام تركه فاعلم
ان هذا يختلف باختلاف الاحوال فان كان مقتدى به وهو
يريد ان يبين باخذه كون اخذ الزاد مباحا او ينوي به
عون مسلم واعانة ملهوف ونحو ذلك فالاخذ افضل وان
كان منفردا قوي القلب بالله سبحانه فالزاد يشغله عن عبادة
الله فالترك افضل فتفهم هذه الجملة واحفظها راشدا
وبالله التوفيق **العارض الثاني** الاخطار وارادتها وتصورها
وانما كفايتها في التفويض فعليك بتفويض الامر كله لله سبحانه
وتعالى وذلك لامرين احدهما لطمانينة القلب في الحال فان الامور
اذا كانت خطرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون
مضطرب القلب قايم النفس لا يدري ايقع في صلاح او فساد
فاذا فوضت الامور الى الله سبحانه علمت انه لا تقع الا في صلاح
وخير فيكون امنا من الخطر مطمين القلب في الحال وهذه الطمانينة
والامن والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله

يقول

يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح والثاني
من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لان
الامور بالعواقب مبهمة فكم من شي في صورة خير وكم من
ضير في حلية نفع وكم من سم في هيئة شهد وانت الجاهل
بالعواقب والاسرار فاذا اردت قطعا واخذت فيها باختيارك
محتكما فما اسرع ما يقع في هلاكك ولا تشعر ولقد حكي
ان بعض العباد كان يسال الله تعالى ان يريه ابليس فقيل
له سل الله تعالى العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له
فلما راه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك
تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله وقال
في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع في
الفسق وترك العبادة فهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك
التحكم في اراداتك والالحاح في مطلوباتك ويحذرك طول الامل
ايضا فانه الافة العظيمة ولقد صدق القايل
واياك المطامع والاماني ... فكم امنية جلبت منية
واما اذا فوضت الامور الى الله سبحانه وتعالى وسالته ان
يختار لك ما هو صلاحك لم تلق الا الخير والسداد ولا تقع الا على
الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وافوض
امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات
ما مكروا اما ترى كيف اعقب تفويضه الوقاية من
الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد توفيقا فان قلت
فبين لنا معنى التفويض فاعلم ان ها هنا فصلين بهما
يتضح الكلام احدهما موضع التفويض والثاني معناه وحده

اما موضعه فاعلم ان المراد ثلاثة مراد يعلم يقينا انه فساد وشر
لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر والبدعة
والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد يعلم قطعا
انه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فتلك ارادتها بالحكم
ولا موضع للتفويض اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح
والثالث مراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا او فسادا ونحو
ذلك النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس لك ان
تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قيدت
ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء
فهو طمع مذموم منهي عنه لموضع التفويض اذ كل مراد فيه
خطر وهو انه لا تستيقن صلاحك فيه واما معنى التفويض
قال بعض شيوخنا ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر
العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابو محمد السجزي رحمه الله هو
ترك اختيارك المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك
وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله هو ترك الطمع والطمع ارادة الشيء
المخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ والذي نقوله ان التفويض
ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر
وضد التفويض الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما
في معنى الرجا تريد شيئا لا خطر فيه تخاطر بالاستثناء وذلك
ممدوح غير مذموم كما قال الله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا فهذا
القسم ليس مما نحن فيه بسبيل ما هنا والثاني طمع مذموم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل

هلاك

هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع قال شيخنا رحمه الله الطمع
المذموم شيئان سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة
الشيء بمخاطرة بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم
ذلك واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام
عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك
وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض
الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ على الحكم فيها والامتناع عن
ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فان قيل وما هذا الخطر الذي
توجبون التفويض من اجله في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة
خطران خطر الشك بان يكون او لا يكون وانك تصل اليه او لا
تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء في باب النية والامل
والثاني خطر الفساد بان لا يستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا
الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارات الائمة في
الخطر فعند بعضهم ان الخطر في الفعل هو ان يكون دونه نجاة
ويمكن ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر
فيها اذ لا يكون دون الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب
فاذن اتضح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم وقال الاستاذ رحمه
الله المخاطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال
بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات
والسنن والفرائض المؤقتة ان من يضيق عليه وقت الصلاة
وقصد اداءها وقصده حريق او غريق يمكنه انقاذه منه
فالاشتغال بانقاذه منه اولى من الاقبال على صلاته ولا يصح اذن

ارادة المباحات والنوافل وكثير من الفرايض بالحكم **فان قيل** كيف
يصح ان يفترض الله على عبده شيئا ويتوعده على تركه ثم لا يكون
له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا رحمه الله قال ان الله تعالى
لا يامر العبد بشي في الاوله فيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ولا
يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا يعدل عن ذلك الاوله فيه
صلاح ولكن ربما يسبب الله تعالى له عذرا لاجله يكون العدول
عن احد المامورين فيه اولى من الاشتغال بالاخر كما ذكرنا
فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لا بترك هذا الفرض
بل يفعل الغرض الذي هو اولى ولقد سمعت الامام رحمه الله
في هذه المسالة يقول ما افترض الله على عبده من الصلاة والحج
والصوم ونحوها ففيها صلاح لا محالة للعبد وصحت ارادته
بالحكم فاتفق راينا على ذلك فبقي المباحات والنوافل اذن
في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق
فان قيل هل يامن المفوض الهلاك والفساد والارادة بحكمته
فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به
في النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذله فيقع عن منزلة التفويض
وبه قال الشيخ ابو عمر رحمه الله وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه
صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه وتعالى والخذلان والقصور عن
منزلة التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض انما
يقع فيما يشك في صلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا
رحمه الله اذ لولا ذلك لما قويت الباعثة على التفويض **فان قيل**
فلم لا يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب
مستحيل في حق الله تعالى ولا يجب لعباده عليه شي وقد يفعل

بالعبد

بالعبد ما هو الاصلح دون الافضل حكمة من فعله الا ترى انه قدر
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان ناموا طول الليل الى طلوع
الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الليل وصلاة الفجر والصلاة
افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان
كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالزواج والاولاد وان
كان التجرد لعبادة الله تعالى افضل فانه بعباده خبير بصير
وهذا كان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ترك التغيير
وان كان ترك السكر افضل وانفع لما علم ان صلاحه علته في ترك
التغيير والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف
مع الفساد والهلاك **فان قيل** هل يكون المفوض مختارا ولا
يقدح في تفويضه وذلك ان المعنى فيه اذا كان له صلاح في
المفضول والافضل فهو مريد من الله تعالى ان يسبب له
الافضل كان للمريض يقول للطبيب اجعل دواي ترك السكر
دون ترك التغيير اذا كان لي صلاح في كليهما ليحصل الى الفضل
والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سال الله تعالى ان يجعلها
فيما هو الافضل ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح
جميعا ولكن يشترط انه ان اختار الله تعالى الصلاح في غير
الافضل ان يكون راضيا بذلك **فان قيل** فلماذا كان للعبد
ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق
بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف
الصلاح من الفساد لتريبه بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان
يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له
ذلك ويقدر لا ان للعبد تحكما في شي من ذلك فاعلم فهذه جملة

من دقيق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا
لايراده لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة حتى اني اقتصرت على النكت
المقنعة في هذا الكتاب وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء
والمبتدئون ان شاء الله تعالى **العارض الثالث القضاء وورود**
انواعه وانما كفايته في الرضا فعليك ان ترضى بقضاء الله عز وجل
وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء
فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لما كان كذا ولماذا لا يكون
كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف تتفرغ للعبادة
اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملاته من الهموم وما كان وما يكون
من امر الدنيا فاي موضع فيه لذكر العبادة وفكر الاخرة **ولقد**
صدق شقيق رحمه الله ان حسرة الامور الماضية وتدبير الآتية
قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثاني من الامرين خطر ما في
السخط وغضب الله سبحانه **ولقد** روينا في الاخبار ان نبيا من
الانبياء شكى بعض ما ناله من المكروه الى الله سبحانه وتعالى فاوحى
الله تعالى اليه تشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هذا بدو شانك
في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا من
لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون
ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت لئن
تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولا ابالي
قلت فليسمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل
مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول لئن
تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في حديث النفس وتردد
القلب فكيف بمن يصرح ويستغيث ويشكو وينادي بالويل

والصراخ

والصراخ من ربه على رؤوس الملأ ويتخذ له اعوانا واصحابا
وهذا لمن سخط مرة فكيف بمن هو في السخط على الله تعالى جميع
عمره وهذا لمن شكى اليه فكيف بمن شكى الى غيره نعوذ بالله
من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا
ويغفر لنا سوء ادابنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين
فان قيل فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه
فاعلم ان علماءنا قالوا الرضا ترك السخط والسخط ذكر
غير ما قضى الله بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن فساده
وصلاحه هذا شرط فيه فاعلم ذلك **فان قلت** اليس الشرور
والمعاصي بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشر فلنا
ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضاء وقضاء السوء ليس بشر
وانما الشر هو المقضي فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا
رحمهم الله المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة
يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضي وعليه الشكر من حيث
انه نعمة والشدة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه
الصبر من حيث انه شدة والخير يجب فيه الرضا بالقاضي والقضاء
والمقضي وعليه ذكر المنة من حيث انه خير وفقه الله والشر
يجب عليه فيه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه
مقضي لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء
والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى مذهب المخالف ان
يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم لكونه معلوما لك
يرجع الى العلم فالرضى والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم
بمذهب المخالف لا لمذهبه فكذلك هذا **فان قلت** فالراضي

هل يكون مستزيدًا قيل له نعم بشرط الخير والصلاح دون الحكم فلا
تخرجه ذلك عن الرضا بل انه يدل على الرضى فهو اولى لان من
اعجبه شيء ورضي ذلك استزاد منه **وكان** عليه السلام اذا حضر
اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول
وزدنا خيرًا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على انه غير
راضٍ بما قدر الله تعالى له من ذلك **فان قلت** فلم يذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم الاستثنا وشرط الخير والصلاح فاعلم
ان هذه الامور انما تكون بالقلب وانما تقال باللسان عبارة عن
ذلك فلا تعتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب فاعلم ذلك ٥

العارض الرابع الشدايد والمصايب وانما كفايتها ٥
بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما
الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر
العبادة كله على الصبر واحتمال المشقاة فمن لم يكن صبورًا
لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك ان من قصد عبادة من
الله تعالى وتجرد لها استقبلته شدايد ومحن ومصايب
وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك كان هذا
الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يتأتى فعل العبادة الا
بمنع النفس اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس
من اشد الامور على الانسان فلا جرم وجب على العبد اذا فعل
الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا يفسده عليه والاتقا
على العمل اشد من العمل وثانيها ان الدار دار محنة فمن كان
فيها فلا بد له من الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك اقسام فمنها
المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد

الهوى

والفراق

والفراق بانواع الاوجاع والامراض وفي العرض بقتال الناس
اياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه وفي المال
بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه المصايب لدغة وحرقة
من نوع اخر فتحتاج الى الصبر عليها كلها والا فمنعه الجزع
والثاني المنع من التفرغ للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد
ابتلاء واكثر محنة ابدًا ومن كان الى الله تعالى اقرب فالمصايب
له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد فاشد الناس بلاء الانبياء
ثم العلماء ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق
الاخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون
بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة
فلا يصل الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله سبحانه بالتقاء المحن
والمصايب وابتلائنا بها وحقق ذلك واكده فقال تعالى لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرًا ثم قال وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على انه
لا بد لكم من انواع البلاء فان تصبروا فانتم الرجال وعزا
عزايم الرجال فاذن من عزم على عبادة الله تعالى يجب اولا
ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق
العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير اهله واتاه
من غير وجهه **ولقد** ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من
عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من
الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض الجوع
والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر الوقايع

ابن عياض

بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا
والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا معناه من يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا من
الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب
عليهما السلام ان اباءك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى انشد ::
لا تياسن وان طالت مطالبة . اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا .
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته . ومدمن القرع للابواب ان يلجا .
ومنها التقدم على الناس والامامة قوله تعالى وجعلنا منهم
ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قوله
انا وجدناه صابرا نعم العبد ومنها البشارة والصلاة والرحمة
قال الله تعالى وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة ومنها المحبة من الله تعالى ان الله يحب
الصابرين ومنها الدرجات العلى في الجنة قال الله تعالى ٥
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قال
الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية
خارجا عن اوهام الخلق واعدادهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ما اجله وما اكرمه
يعطي كل هذه الكرامات في الدنيا والاخرة عبده على صبر ساعة
فبان لك ان خير الدنيا والاخرة في الصبر قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن

عمر رضي الله عنه جميع خير المومنين في صبر ساعة واحدة ولقد
احسن القايل ::
الصبر مفتاح ما يرجى . وكل خير به يكون .
اصبر وان طالت الليالي . فربما امكن الحرون .
وربما نيل باصطبار . ما قيل هيهات لا يكون .
ولقايل ::
صبرت وكان الصبر مني سجية . وحسبك ان الله اثنى على الصبر .
فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها لتكون
من الفايزين والله ولي التوفيق فان قلت فما حقيقة الصبر
وحكمه فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله
تعالى واصبر نفسك اي احبس نفسك وانما يوصف الله تعالى
بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين ولا يعجلهم ثم المعنى
الذي هو من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن
الجزع والجزع فيما قاله العلما ذكر اضطرابك في الشدة وقيل
بل ارادة الخروج عن الشدة بالجملة والصبر تركه وحسن الصبر
ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم
ولا تتاخر ولا فايدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحسن
هذا الحسن حسن عوض الله عليه وكريم الاجر في ذلك لديه
فصل فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة برفع هذه
العوارض الاربع وازاحة عللها والا فلا يدعك تذكر مقصودك
من العبادة وتتفكر فيها فضلا عن ان تدركها وتحصلها فان
لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا ثم ان اعظمها واعضلها
امر هذا الرزق وتدبيره وانه البلية الكبرى لعامة الخلق ٥

اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وضيعت
اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم وعطلتهم عن باب الله تعالى
وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا
في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الاخرة
فالتبس بين ايديهم الحساب والعذاب الا من يرحم الله بفضله
فانظر كم اية انزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه
وقسمه على ذلك ولم يزل العلماء والانبياء يعظون الناس
ويبينون لهم طريق الخلاص ويصنفون لهم الكتب ويضربون
لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لا يهتدون
ولا يثقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون يخافون
ان يفوتهم غداء وعشاء واصل ذلك كله قلة التدبر لايات
الله تعالى وقلة التفكر في صنايع الله تعالى وترك التذكر لكلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التامل لاقوال الصالحين مع
الاسترسال لوساوس الشيطان والاصغاء لكلام الجاهلين
والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت
العادات في قلوبهم فتمادى بهم ذلك الى ضعف القلوب ورقة
اليقين واما الاخيار الذين هم اولوا الابصار وارباب الجد والاجتهاد
ابصروا طريق السماء فلم يعبؤا باسباب الارض واعتصموا بحبل الله
فلم يكترثوا بعلايق الخلق وتيقنوا بايات الله والبصر واطريقه
فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس فاذا
وسوس لهم شيطان او نفس او انسان لشيء قاموا بالمنافقة
والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل عنهم الشيطان
وانقادت لهم النفوس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما

ذكر

اي يعتبروا — اي المخالفة

ذكر عن ابراهيم ابن ادهم رحمه الله انه لما اراد ان يدخل البادية
اتاه الشيطان فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب
فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها
حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بها وعزم عليه
وبقي في البادية اثني عشر سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك
السنين فراه تحت ميل يصلي فقيل له هذا ابراهيم بن ادهم رحمه
الله يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحاق فانشأ ابراهيم
يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا • فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد اثر الله ربه • وجاد بدنياه لما يتوقع

وعن بعض الصالحين رحمه الله انه كان في بعض البوادي فوسوس
له الشيطان انك متجرد وهذه بادية لا عمارة فيها ولا ناس فعزم
على نفسه ان يمضي على تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع بالمرء من
الناس ولا ياكل شيئا حتى يجعل في فيه اللحم والعسل ثم عدل
عن الشارع ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله فاذا
بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم رميت نفسي
الى الارض لعلهم لا يبصروني فسيرهم الله تعالى حتى وقفوا علي فغمضت
عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع غشي عليه من الجوع والعطش
فهاتوا سمنا وعسلا نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بسمن وعسل
فسددت فمي ولحيي فاتوا بسكين يعالجون فمي حتى يفتحوه فضحكت
وفتحت فاي فلما راوا ذلك قالوا امجنون انت قلت لا والحمد لله
واخبرتهم ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا
رحمه الله قال نزلت في اسفاري ايام التعلم مسجدا وكنت متجردا

فمي

على عادة أوليائنا فوسوس إليّ الشيطان بأن هذا المسجد بعيد
عن الناس لو صرت إلى مسجد بين الناس لكان أهله قاموا
بكفايتك فقلت لا أبيت إلا ههنا وعليّ عهد الله أن لا آكل
شيئاً إلا الحلوى ولا آكل حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت العتمة
وأغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل وإذا أنا بإنسان
يدق الباب ومعه سراج فلما أكثر الدق فتحت الباب فإذا
أنا بعجوز قد دخلت فوضعت بين يدي طبقاً من الخبيص
وقالت هذا الباب ولدي وجرى منا كلام فحلف أن لا يأكل حتى
يأكل معه رجل غريب أو قالت هذا الغريب الذي في المسجد
فكل رحمك الله وأخذت تضع اللقمة في فيّ وفي فم ولدها
لقمة لقمة وأشباه هذا من مجاهدات الصالحين ومما قصموا ظهر
الشيطان ولك في ذلك فوائد ثلاث أحدها أن تعلم أن الرزق
لا يفوت من قدر له بحال والثاني أن تعلم أن أمر الرزق والتوكل
مهم جداً وأن للشيطان فيه غوائل ووساوس عظيمة حتى أن
مثل أولئك الأئمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم ييأس عنهم
الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي
سبقت لهم حتى يحتاجوا إلى دفعه بهذه المنافذات ولعمري إن من
جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن أن يوسوس له
كما يوسوس إلى مبتدي في العبادة بل لغافل لم يجتهد ساعة
في العبادة والرياضة ولو ظفر به لفضحه وأهلكه هلاك
الغافلين المغترين ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار والثالثة
أن تعلم أن الأمر لا يتم إلا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فإنهم
كانوا لحماً ودماً وبدناً ونحو ما مثلك بل كانوا أخف أبداناً

واضعف

أي الزهاد

وأضعف أركاناً وأرق عظاماً منك ولكن كانت لهم قوة العلم
ونور اليقين وهمة أمر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والعبا
حتى تلك المقامات فانظر لنفسك رحمنا الله وإياك وداوها من هذا
المعضل لعلك تفلح إن شاء الله تعالى **فصل** ثم اعلم بعد هذه الجملة
إني مجرد لك نكتاً وجدتها بحيث تنكت في القلب إذا تذكرتها
وتكفيك مؤونة هذا الباب وتزعجك على واضح من الحق إن تأملتها
وعملت بها والله الموفق **الأول** أن تعلم أن الله تعالى ضمن رزقك
في كتابه وتكفل لك به وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا
أن يضيفك الليلة ويعشيك وأنت حسن الظن به أنه صادق
لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك سوقي أو يهودي أو
نصراني أو مجوسي عندكم مستور ظاهره عفيف في معاملته
ألست تثق بوعده وتطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة
اتكالاً عليه فما لك وقد وعدك الله وضمن لك رزقك وتكفل به وأقسم
عليه في عدة مواضع وأنت لا تطمئن بوعده ولا تتكل على قوله وضمانه
ولا تنظر الرقم بل تضطرب قلبك وتهتم فيا لها من فضيحة لو رأيت
ويا لها من مصيبة لو علمت **وعن** علي بن أبي طالب عليه ~~السلام~~
أتطلب رزق الله من عند غيره • وتصبح من خوف العواقب آمنا •
وترضى بصراف وإن كان مشركاً • ضميناً ولا ترضى بربك ضامناً
ولهذا المعنى يتجر هذا الأمر إلى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه
والعياذ بالله سلب المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وتعالى وعلى
الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون فحسب
المؤمن المهتم لأمر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة إلا با
الثانية أنك تعلم أن الرزق مقسوم صح ذلك من كتاب الله وأخبار

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتغير ولا تتبدل
فان انكرت القسمة او جوزت تقصيرها فذلك باب الكفر تترعه
نعوذ بالله وان علمت انه حق لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام
والطلب الا الذل والهوان في الدنيا والشدة والحساب في الاخرة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والنون رزق
فلان بن فلان فلا يزداد الحريص الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه
الله ان ما قدر لماضغيك ان تمضغه فلا يمضغه غيرك فكل
رزقك ويحك بالعز ولا تاكله بالذل هذه نكتة مقنعة للرجال
الثالثة ما سمعت شيخي الامام رحمه الله يحكي عن الاستاذ رحمه الله
انه كان يقول ان مما يقنعني في امر الرزق اني تذكرت وقلت
لنفسي اليس هذا الرزق للحياة والعيش اذ الميت لا حاجة له الى
الرزق فان كان حياة العبد في خزانة الله تعالى وبيده ان شاء يعطيني
وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف شاء
وانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق
النكتة الرابعة مما ذكرنا في هذا الفصل ان الله تعالى ضمن رزق
العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية
وفيه القوام والعلاج واما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد
اذا تجرد لعبادة الله تعالى وتوكل على الله فربما تحتبس عنه
الاسباب فلا يعبأ لذلك ولا يضجر لما علم ان حقيقة الامر ان
الضمان لقوام البنية والتوكل على الله تعالى انما هو في هذا المعنى
والمنتظر من الله تعالى هذا وانه تعالى لا محالة يمده بالقوة ليقوم
بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا
هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء ان يقيم بنيته عبده

بطعام



أو بطين وتراب ادم

بطعام وشراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بدون هذا كله
فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الاكل والشرب
وسد الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب ولهذا المعنى قدر
الزهاد والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لم ياكل عشرة
ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوته ومنهم من كان
يستف الرمل فيجعله الله تعالى له غذاء نحو ما ذكر عن الثوري رحمه
الله انه نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل
وقال ابو معاوية الاسود رايت ابراهيم بن ادهم رحمه الله ياكل
الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى
ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قلت ولا شهرين قال ولا شهرين
الا انسانا ارشدني على عنقود من عنب فاكلته فانا اشتكي بطني
قلت ولا تعجب من ذلك فان سر القدرة على ما يشاء وهذا
مريض تراه لا ياكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال
اضعف نفسا وارق طبعا من القوي واما الذي يموت جوعا
فذلك اجل حضره كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني
عن ابي سعيد الخراز رحمه الله انه قال كان حالي مع الله ان يطعمني
في كل ثلاثة ايام فدخلت البادية فمضت علي ثلاثة ايام ما طعمت
فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف
يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك سبب او قوة قلت لا القوة
فقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثني عشر يوما ما طعمت
ولا وجدت الما لذلك فان راي العبد احتباس الاسباب عنه
وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن ان يمده الله تعالى بالقوة
فلا يضطرب لذلك بل حقه ان يشكر الله تعالى على ذلك شكرا

كثيرا فان له المنة والصنع اللطيف اذ دفع عنه المؤنة واعطاه
المعونة وحصل له الاصل والمقصود ورفع عنه الثقل والواسطة
وخرق له علايق العادة واراه طريق القدرة وان شبه حاله
بحال الملايكة ورفعه عن حالة البهايم والعامة في تلك الكرامة ۝
فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الربح العظيم ان شا الله **قلت**
ولعلك تقول انك اطنبت في هذا الفصل بخلاف شرط الكتاب
فاقول لعمري والله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى
اذ هو اهم شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا
والعبودية فمن له همة في هذا الشان فليستمسك بذلك وليراعه
حق رعايته والا فهو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء
الاخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ
لعبادة الله وقطع العلايق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا
بوصية وقيض الله لهم اعوانا من السادة واصحابا يتمنى لهم
من الخير المحض ما لا يتمنى لطايفة من طوايف الايمة الا زهاد الكرام
على احوال غير مستقيمة وما زلنا اعزة ما دمنا على منهاج ايمتنا
نخرج من مدارسنا ومعابدنا كل حين اماما في العلم كالاستاذ
ابي اسحاق وابي حامد الطبيب وابن فورك وشيخنا الامام
وامثالهم من السادة واما صديقا في العبادة كابي اسحاق ۝
الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن
فاق الايمة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا ۝
وتلطخنا بشيء من العلايق التي ضرها اكثر من نفعها فتراجعت
الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات ۝
والحلاوات فلا تكاد تصفوا لاحد عبادة او يحصل له علم وحقيقة

وان

وإن اللمعة التي تظهر منا الان ليست ممن بقي على منهاج اسلافنا
وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي
والمزني وحرملة وغيرهم من ايمة الدين رضي الله عنهم اجمعين
فما صحبوا الايام الا تعففا ۔ وما جروا من حب دنياهم ذيلا
افاضل مرعيين اهل ولاية ۔ الى السادة الادان قد جعلوا العقلا
تحلل عقال الصبر من كل صابر ۔ وما حلت الايام من عقدهم عقلا
وكنا في الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا
رجالة وليتنا لا ننقطع عن الطريق مرة والله المستعان على
المصايب والمسول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم منان
رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ۝ واما التفويض فلنا
فيه اصلان احدهما انك تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان
عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والا
فلا تامن ان تختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح الا
ترى انك لو قلت لبدوي او قروي انتقد لي هذه الدراهم ۝
وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي
غير خبير في النقد فربما يغتر ايضا فلا تامن اذن الا ان تعرضها
على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة وما فيها من الخواص والاسرار
وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لله رب العالمين
ولا يستحق اذا احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده
لا شريك له ولذلك يقول عز من قايل وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال تعالى وربك يعلم الاية **وحكي**
عن بعض الصالحين انه قيل له ادع الله تعالى وكان ۝
موفقا فقال ان الله عالم بجميع الوجوه يقول لجاهل من جميع الوجوه

سل تعط ايش اعلم ماذا يصلح لي فاساله ولكن اخترات لي فهذه
هذه الاصل الثاني ما تقول لو ان رجلاً قال لك اني اقوم
بجميع امورك وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك فوض لي امرك كله
الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك وهو عندك اعلم
اهل زمانك واقواهم واحلمهم وارحمهم واتقاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتمنن بر البر
منة وتقدمه اوفر شكر واجمل ثناء ثم اذا اختار لك شيا لا
تعرف وجه الصلاح فيه فلا تتهم لذلك بل تثق وتطمئن الى
تدبيره وتعلم انه لا يختار لك الا ما هو الخير وما ينظر لك الا
الصلاح كيف ما كان الامر بعدما وكلت اليه الامر وصنى فلك
فما لك اذن لا تفوض الامور الى رب العالمين سبحانه وهو الذي يدبر
الامر من السماء الى الارض اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم
واغنى كل غني فيختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا
يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل انت بشانك الذي يعنيك
في عاقبتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك
واطمانت اليه كيف ما كان هو الصلاح والخير فتامل راشدا ان شا الله
وبالله التوفيق واما الرضى بالقضى فتامل فيه اصلين مقنعين
لا مزيد عليهما احدهما ما في الرضا من الفوايد في الحال والمال
اما الفوايد الحالية ففراغ القلب وقلة الهم عن غير فايدة
ولذلك قال بعض الزهاد رحمه الله اذا كان القدر حقا
فالهم فضلة واصله الخبر الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ليقل همك ما قدر يكن وما
لم ترزق لم ياتك وما لم يقدر لم ياتك هذا هو الكلام الجامع النبوي

البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى ۞ واما الفوايد في المال
فثواب الله تعالى ورضوانه قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
وفي السخط من الهم والضجر في الحال والوزر والعقوبة في الاخرة
بلا فايدة اذ القضا نافذ فلا ينصرف بهمك وبحظك كما قيل
• ما قد قضي يا نفس فاصطبري له • ولك الامان من الذي لم يقدر •
والعاقل لا يختار الهم بغير فايدة مع الوزر والعقوبة على راحة
القلب وثواب الجنة الاصل الثاني ما في السخط من الخطر العظيم
والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله برحمته وتامل قوله
تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فنفى الايمان واقسم عن من
سخط قضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضا
الله تعالى وروينا ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضاي
ولم يصبر على بلاي ولم يشكر لنعماي فليتخذ لها سواي قيل كانه
يقول هذا لا يرضانا ربا حتى يسخط فليلتمس ربا اخر يرضاه ۞
وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض السلف
وقد سئل ما العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد
يرضى فاذا اقضى الرب ولم يرض العبد فها هنا لا ربوبية ولا
عبودية فتامل هذا الاصل وانظر لنفسك لعلك تنتبه بعون
الله تعالى واما الصبر فانه دوا مر وشربة مباركة تجلب كل ۞
منفعة وتدفع عنك كل مضرة واذا كان الدوا بهذه الصفة ۞
فالانسان العاقل يكره النفس على شربه وتجرعه ويغض على مرارته
وحدته ويقول مرارة ساعة وراحة سنة واما المنافع التي تجلبها
فاعلم ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر على المعصية وصبر

عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة
الصبر فيصبر في هذه المواطن الاربعة حصلت له الطاعات
ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع
في المعاصي وبليتها في الدنيا وتبعاتها في الاخرة ثم لا يبتلي
بطلب الدنيا وما لها من الشغل في الحال والتبعة في المال ثم
لا يحبط اجره على ما ابتلي به وذهب فيحمل اذن بسبب
الصبر الطاعة ومنازلها التشريف وثوابها والتقوى والزهد
والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر
لا يعلمه الا الله واما دفع المضار فيريحه اولا من مؤنة الجزع ومعا
في الدنيا ثم وزره في الاخرة وعقوبته واما ان ضعف عن الصبر
وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقه كل مضرة اذ لا يصبر
على مشقة الطاعة فلا يفعل بالطاعة او لا يصبر على حفظها ان
فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى المنزلة الرفيعة
فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر على معصية فيقع فيها
او فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب الصبر
وربما يكثر الجزع فيفوت العوض بسبب ذلك فيكون له مصيبتان
فوت الشيء وفوت الاخرة والعوض وحلول المكروه وحرمان
الصبر ولهذا قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة
فاي فائدة في شيء يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك
الذاهب المفقود واذا فاتك احدهما فلا يفوتنك الاخر ومن
الكلام الجامع ما ذكر ان عليا عليه السلام عزى رجلا
فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت
جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول فجملة الامران

قطع القلب عن العلايق المالوفة وقلع النفس عن العادات
الراسخة بالتوكل المحض على الله سبحانه وتعالى وترك التدبير في
الامور وتفويضها الى الله عز وجل من غير علم بما هو الرشد فيها
وكبح النفس عن السخط والجزع مع تسارع النفس اليهما واكرا
على لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر مر
وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم
وله عاقبة محمودة واحوال شديدة مسعودة وما مثلها في الوالد
المشفق الغني اذا منع ولده العزيز رطبة او تفاحة يا كلهما
وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ السائر ويجلسه طول النهار
عنده ويضجره ويحمله الى الحجام للحجامة فيوجعه ويقلقه اترى
منع ذلك عن بخل فيه كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم
او هوان بهذا الولد كيف وهو يكتب له جميع ما في يديه او
قصد بذلك اتعابه وايذاه لبغض له كيف وهو قرة عينه
وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان
صلاحه في ذلك وان هذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع
عظيم وما مثله في الطبيب الناصح المحب اذا منع المريض الدنف
شربة ماء وهو ظمآن لتقلل كبده ويسقيه شربة اهليلج كريهة
تجزع عن ذلك نفسه وطبعه اترى ان ذلك منه معاداة وايذا
كلا بل نصح واحسان لما علم يقينا ان في اعطايه شهوته هلكته
وعطبه رانيا وفي منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فتامل ايها الرجل
اذا حبس الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك
ما شاء ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم
حالك ولا يخفى عليه شيء فلا عدم ولا عجز ولا جفاء تعالى عن ذلك

وتقدس فانه أغنى الأغنياء واقدر القادرين واعلم العلماء واجود
الاجودين فتعلم اذن بالحقيقة انه لم يمنعك الا لاصلاح واختيار
كيف وهو الذي يقول خلق لكم ما في الارض جميعا وكيف وهو
الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي تتلاشى في جنبها الدنيا بأسرها
وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه يقول اني لاذود اوليائي عن
نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة
واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك
عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله
صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لك
جهلته انت وهو عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه
واصفيائه الذين هم اعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء الانبياء ثم
الشهداء ثم الامثل فالامثل واذا رايت الله يحبس عنك الدنيا
او يكثر عليك الشدايد والبلوى فاعلم انك عزيز وانك عنده
بمكان فانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج اليك
اما تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف
منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك
وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من
عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولي التوفيق بمنه وفضله
فصل وفي الجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى المتكفل بضمان رزقك
الذي لا بد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته وانه القادر على
ما يشاء وهو البصير بحاجاتك حالا فحالا ساعة فساعة اتكلت

على

٦٦

على ضمانه الحق ووعده الصدق ولكن قلبك اليه واضربت
عن ذكر العلايق والاسباب وتعلق قلبك بها لا تغنيك ولا
تكفيك دون الله عز وجل فان الله تعالى يسهل اكلها وشربها ثم
هو الذي يمريها ويهنيها ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها
ويدفع عنك ثقلها وضرها وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها
اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غيره وكذلك
تترك التدبير في امورك على من يدبر السماء والارض وتريح
نفسك عن كل شي لا يبلغه علمك ويبصرك من امر يكون غدا او لا
يكون فانه كيف يكون وتكلف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا اشغال
القلب وتضييع الوقت ولعله تكون امور لم يخطر ببالك فيكون
ما سبق من فكرك وتدبيرك وجعلك الوقت العزيز فيه لغوا
بلا فايدة بل خسرانا تندم عليه وتغبن فيه لمكان شغل القلب
وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد رضي الله
عنه • سبقت مقادير الاله وحكمه • فارح فوادك من لعل ومن
وقال آخر •

فلعل ما تخشاه ليس بكاين • ولعل ما ترجوه ليس يكون •
سيكون ما هو كاين في وقته • واخو الجهالة متعب محزون •

وتقول النفس في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
هو مولانا وعلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا
نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان
بهذه الصفة لحقيق ان يتوكل عليه ويفوض الامر كله اليه
فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضي الله
فهو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره

وتقول يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والخير
فيما يصنع الله ولا وجه للسخط الست تقولين رضيت بالله
ربا فكيف لا ترضى بقضائه والقضاء من شأن الربوبية وحقها
فعليك بالرضى وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه
فراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منه
شكاية ولا قلق سيما عند الصدمة الاولى فان الشأن هناك
والنفس متسارعة جدا الى عادة الجزع وعند ذلك تقول
يا نفس هذا قد وقع ولا حيلة لرفعها وقد دفع الله تعالى ما هو
اكثر منها فان انواع البلاء في خزائنه لكثيرة وان هذه
ستنقضي ولا تبقى وان امتحانه سينقشع فتجلدي يا نفس
قليلا تجدي لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع
للنازل ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع العزاء
والصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل
لك عند الله تعالى من الاجر وتتذكر صبر اولي العزم على المصائب
العظام من الانبياء والاولياء الاعزة على الله تعالى واذا
حبس عنك الدنيا في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال
وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم
الكافر في عداوته وانا عبده العارف الموحد اساوي عنده
رغيفا ايضا فاعلمي بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع
عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا
فاصبر ترى العجب من لطيف صنعه اما سمعت القائل حيث يقول

توقع صنع ربك سوف يأتي • بما تهواه من فرج قريب •
ولا تيأس اذا ما ناب خطب • فكم في الغيب من عجب عجيب •

وامتحانه

قليلا

فكم لله من لطف عجيب

وقال

وقال اخر • الا ايها المرء الذي الهم به برح

اذا اشتدت بك العسرى • ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا • ذكرته فافرح

فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرير والتمرين
فان ذلك يهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد زمانا غير
طويل ولقد دفعت هذه الاربع عوارض عن نفسك وكفيت
مؤنتها وصرت عند الله من المتوكلين المفوضين بقضائه
الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن
في الدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبى وجليل القدر والمحبة
عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم لك العبادة
اذ لا عائق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة
العسرة والله سبحانه المسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه فان
الامر كله بيده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الخامس في العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث

ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق وسهلت السبل
وارتفعت العوائق وزالت العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم
الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما حقهما على حدهما اما
الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما للزجر عن المعاصي فان
هذه النفس الامارة بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة ولا
تنتهي ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليست في طبعها حرة
يلزمها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء وانما هي كما قال القائل •
• العبد تقرعه العصا والحر تكفيه الملامة •
والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وذكرا

والتمييز

الراجين

طريق

وهو ارحم الراحمين

اي مراقب

نحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق
ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي فنار
جهنم احر من هذا اي جيفة بالليل وبطالة بالنهار والثاني لئلا
تعجب بالطاعات فتهلك بل يقمعها بالذم والعيب والنقص من الاسواء
والاوزار التي فيها من ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو اخذني انا وعيسى ابن مريم بما كسبت هاتان
لعذبنا عذابا لم يعذب به احدا واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان
يقول ما يؤمن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق باب المغفرة
دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تقولين
قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات
ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه وامثالها مما
يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعته
او تقع في معصية وبالله التوفيق ۞ واما الرجاء فانما يلزمك
استشعاره ثم من بين احدهما للبعث على الطاعات وذلك ان الخير
ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال
اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع مشاهد والثواب
الذي يطلب به عن العين غائب والامد الوصول اليه فيما يحسبه بعيد
واذا كان الحال هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه ولا
توفيه قدره ولا تتحمل الايام تقابل كل هذه الموانع ويداويها
بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوي في رحمة الله والترغيب
البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله
الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع من الذنوب والرجاء يقوي الطا
وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال الشدايد

والمشقات

والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب
لشيء ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلحق من
مؤنته ومن احب احدا لطف محبته احب ايضا احتمال محنته حتى
انه ليجد من تلك المحنة ضروبا من اللذة الا ترى مشتار العسل
لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبأ
بارتقاء السلم الطويل مع احمال الثقيل طول النهار الصائف المديد
لما يتذكر اخذ درهمين بالعشاء وان الفلاح لا يفكر بمقاسات الحر
والبرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر البيدر
اوان الغلة فلذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكر
الجنة في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعا
وشرابها وحليها وحللها وساير ما اعد الله تعالى لاهلها هان
عليهم ما احتملوه من تعب في عبادة اوقاتهم في الدنيا من ذلة
وبغية اونا لهم من ضر ونفقة ولقد حكي عن اصحاب سفيان
الثوري رحمهم الله تعالى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده
ورثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك
ايضا ان شاء الله فقال سفيان رحمه الله كيف لا اجتهد وقد بلغني ان
اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور يضيء له الجنان الثمانية
فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينودوا
ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في
وجه زوجها ثم انشأ يقول

ما فر من كانت الفردوس مسكنه ... ماذا تحمل من بؤس واقتار
تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا ... الى المساجد يمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار ... قد حان ان تقبلي من بعد ادبار

قلت انا اذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد يقودها والى سابق يسوقها واذا اوقعت في مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمر الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وخوف من المعلم فلذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسايقها والرجا شعيرها وقايدها وانها الصبي العرم يحمل الى الكتاب العباده والتقوى فذكر النار والعقاب تخويف وذكر الجنة والثواب ترجية وترغيبه فلذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يتعهد النفس بالامرين اللذين هما الخوف والرجا والا فلا تساعده النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عليه فعليك اذن بالتزام هذين الامرين يحصل لك مرادك من العباده ويسهل عليك احتمال المشقة واسه ولي التوفيق بفضله **فان قلت** فما حقيقة الرجا والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجا عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر واما المقدور للعبد مقدماتهما فالخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه ولكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراة ولكن قد يقابل

بالامر

اي حفرة

بالامن يقال خايف وامن لان الامن الذي يجري على الله سبحانه والحقيقة ان الجراة تضاده ومقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب الكثيره التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجا فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله واسترواحه الى سعة رحمة الله وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد والرجا هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد يسمى ايضا ارادة للمخاطرة بالاستثناء رجاء والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محض وهذا الرجا فرض اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن اليأس الا به والا فهو تعب الى بعد اعتقاد الجملة من فضل الله تعالى وسعة رحمته ومقدمات الرجا اربعة ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شيء واصغره والثالث ذكر كثرة نعمه عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق او سوال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤف بعباده المومنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار افضي بك الى استشعار الخوف

والرجا بكل حال والله ولي التوفيق بمنه وفضله **فصل**
فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط
والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسالك خطرة
الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين
احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجا
والخوف وهو الطريق العدل بين الطريقين الجايرين
فان غلب عليك الرجا حتى فقدت الخوف البتة وقعت
في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وان
غلب الخوف حتى فقدت الرجا البتة وقعت في طريق الياس
ولا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فان انت ركبت
بين الرجا والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق العدل
المستقيم التي سبيل اوليا الله سبحانه واصفيايه الذين
وصفهم بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت لك هذه العقبة
طرق ثلاثة طريق الامن والجراة وطريق الياس والقنوط
وطريق الخوف والرجا ممتد بينهما فان ملت عنه تقدم الى
يمينك او يسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين
ثم ان الطريقين الجايرين المهلكين اوسع مجالا واكثر
دواعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت
من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله
وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك مرة
وتامن وان نظرت من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة
الله تعالى وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع

اوليايه

اوليايه واصفيايه ما لا يكاد يبقى معه رجا فتياس مرة وتقنط
فتحتاج اذن ان لا تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل وتامن
ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط وتياس بل
تنظر الى هذا والى هذا وتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا
فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لنا فان طريق
الرجا المحض سهل واسع وعاقبته تؤديك الى الامن والخسران
وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك الى الضلا ل
والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجا فان كان دقيقا
عسرا فانه سبيل سالم ومنهج بين يؤديك الى الغفران والا حسان
ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه اما تسمع
قوله تعالى في ابتداء هذا القبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم
قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا
يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتسمو وتنبه للامور فانه لا
يجي بالهوينا والله الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذه
الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة على الخير باجتناب
المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ
لثلاثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا
غفلة احدها ذكر اقواله سبحانه وتعالى في الترغيب والترهيب
والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث ذكر
جزايه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل
اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة لاجلها صنفنا كتاب تنبيه
الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلام توقفك
على المقصود ان شا الله تعالى **الاصل الاول** اقواله سبحانه

فتدبر أيها الرجل في الكتاب العزيز من آيات الترغيب والترهيب
والترجية والتخويف فمن آيات الرجا قوله تعالى لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا • ومن يغفر
الذنوب إلا الله • غافر الذنب وقابل التوب • وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات • كتب
ربكم على نفسه الرحمة • ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين
يتقون • إن الله بالناس لرؤوف رحيم • وكان بالمؤمنين
رحيما • ومثله ونحوها آيات الرجا ومن آيات الخوف والسياسة
قوله تعالى يا عبادي فاتقون • أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا
أيحسب الإنسان أن يترك سدى • ليس بأمانيكم ولا بأماني
أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به • وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا • وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقدمنا
إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فنسأل الله
تعالى أن يشملنا برحمته ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الخوف
والرجا قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ثم
قال في عقبه وأن عذابي هو العذاب الأليم لئلا يستولي
عليه الرجا بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقبه ذي
الطول كي لا يستولي عليك الخوف بمرة وأعجب من ذلك — لا إله إلا هو
قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبه والله رؤوف
بالعباد وأعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق
الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه
لتكون الخشية مع ذكر الرحمة ولا تكون الخشية تطير قلبك بمرة
فيكون تخويفا في تلطف وتحريكا في تسكين كما تقول أما

تخشى

تخشى الوالدة الرحيمة أما تخاف الوالد الشفيق أما تحذر الأمير
الكريم والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلا لا تذهب إلى أمن
ولا قنوط جعلنا الله وإياكم من المتدبرين لهذا الذكر برحمته
العاملين بما فيه إنه الجواد الكريم **الأصل الثاني في أفعاله**
ومعاملاته أما جانب الخوف فإن إبليس عبد الله ثمانين ألف سنة فلم
يترك فيها قيد موضع قدم إلا وسجد لله تعالى ثم ترك أمرا واحدا
فطرده عن بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين ألف سنة ولعنه
إلى يوم الدين وأعد له عذابا أليما أبد الآبدين حتى يروى
أن الصادق الأمين صلوات الله عليه وسلامه رأى جبريل
متعلقا بأستار الكعبة وهو يصرخ إلهي لا تغير اسمي ولا تبدل
جسمي ثم آدم صفيه الذي خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله
على أعناقهم إلى جواره انبسط فأكل أكلة واحدة لم يؤذن
له فيها فنودي ألا لا يجاورني من عصاني وأمر الملائكة الذين
حملوا سريره يزجونه من سماء إلى سماء حتى أوقعوه إلى الأرض
ولم تقبل توبته فيما روي حتى بكى على ذلك مائتي سنة ولحقه
بد — من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك إلى الأبد
ثم إن نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين الذي احتمل
في أمر دينه ما احتمل لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها إذ
نودي ولا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من
الجاهلين حتى روي في بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه إلى السماء
حياء من الله تعالى أربعين سنة ثم إبراهيم الخليل لم يكن منه
إلا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي أطمع أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين حتى روي أنه كان يبكي من شدة الخوف فيرسل

الله تعالى الامين جبريل عليه السلام فيقول يا ابراهيم هل رايت
خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبريل اذا ذكرت ٥
خطيئتي نسيت خلته ثم موسى بن عمران عليه السلام لم يكن
منه الا لطمة عن جاه ثم خاف واستغفر وقال اني ظلمت نفسي
فاغفر لي ثم زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث اذا نظر العرش
وهو الصبي بقوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
ولم يعمل اية واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك
لولي من اوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة
الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث فاوقع في بحر الضلال والهلاك الى الابد حتى سمعت
بعض العلماء يقول انه كان في اول امره بحيث يكون في
مجلسه اثني عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار
بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ
بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وقطيعه خذلانه
الذي لا طاقة لنا به فاطرحت الدنيا وشؤمها ماذا يجلب
للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير والناقد
بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقوالنا عند انتهائنا فذلك على الله
بعزيز ثم ان داود عليه السلام خليفة الله في ارضه اذنب
ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه
وقال الهي ما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت
ذنبك وذكرت بكائك فلم تقبل توبته اربعين يوما وقيل
اربعين سنة ثم يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة
في غير موضعها فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما

وهو

وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وسمعت
الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف في موضع
مجهول قال الله تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة
ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون فنسبه الى سجنه
ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمته ومنته فقال
لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ن
فانظر الى هذه ايها المسكين وكذلك هكذا جرى الى سيد
المرسلين الكريم خلعة عليه يقول فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان يقول صلى الله
عليه وسلم شيبتني هود واخواتها قيل يعني هذه الاية واشكالها
في القران وقال الله تعالى واستغفر لذنبك الا ان من الله
عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقال ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر وكان
بعد ذلك عليه السلام يصلي الليل حتى تورمت قدماه ٥
فيقولون اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان عليه
الصلاة والسلام لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا
عذابا لم يعذبه احدا من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول
اللهم اني اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
ثم الصحابة الذين هم خير قرن من خير امة كان بدا
منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع

قلوبهم لذكر الله الاية ثم وضع في هذه الامة لكونها مرحومة
الحدود والسياسات العظيمة والاداب حتى كان يونس بن عبيد
يقول لا تامن من قطع يد في خمسة دراهم خير عضو منك ان
يكون عذابه هكذا غدا نسال الله الكريم الرحيم سبحانه ان لا
يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين ○ واما جانب
الرجا فحدث عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف
غايتها او يحسن وصفها فان الله الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان
ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف اما ترى في امر سحرة فرعون الذين جاووا لحربه تعالى
وحلفوا بعزة فرعون عدوه فلما قالوا امنا عن صدق القلوب
كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم روس الشهداء
في الجنة ابد الابدين فهذا من عفو ووجد ساعة بعد ذلك الكفر
والضلال والفساد فكيف حال من افنى في توحيده عمره لا يرى
لذلك اهلا في الدارين غيره اما ترى اصحاب الكهف وما كانوا
عليه من الكفر طول المراد قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال ونقلبهم
ذات اليمين وذات الشمال وكيف اعطى لهم الحرمة والهيبة
المهابة والحشمة حتى يقول لاكرم الخلق عليه لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا بل كيف اكرم كلبا تبعهم
حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا محبوبا
ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله مع كلب خطا خطوات
مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة من غير عبادة او
خدمة فكيف فضله مع عبده المومن الذي خدمه ووحده وعبده

بسبعين

اي زال

سبعين سنة فلو عاش سبعين الف سنة كان قاصرا للعبودية
اما سمعت كيف عاتب ابراهيم عليه السلام في دعائه على المجرمين ○
بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك
قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه
وكيف عاتب يونس عليه السلام في شان قومه بانك تحزن على شجرة
يقطين انبتها في ساعة وايبستها في ساعة ولا تحزن على مائة الف
او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذاب الغيظ عنهم ○
بعدما اضلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي انه
دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال الم تضحكون
لا اراكم حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى وقال جائني
جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول ما لك تقنط عبادي من
رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها
وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة
رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فيها
يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين لنفسه
يرحم بها عباده يوم القيامة وقد اعطاك من الرحمة الواحدة
كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون
من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى سائر ما لا يعد
من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله الكريم ان يتم
ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل من تسعة وتسعين
رحمة لك الحظ الوافر نسال الله سبحانه ان لا يخيب امالنا في
فضله العظيم انه السيد الكريم الجواد الرحيم ○ واما الامثال

الثالث في ذكر ما وعد ولوعد في المعاد فنذكر في ذلك الاحوال
الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار وما في كل مقام
منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين
اما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن ابن شبرمة
انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به وعنده
رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض
وقال ان تلقني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا
والاخر ما حكي ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاه
فدخل عليه الفضيل وجلس عند راسه وقرا سورة يس فقال
يا استاذ لا تقرا هذه فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله
فقال لا اقولها لاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راه في النوم
وهو يسحب الى جهنم فقال باي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت
اعلم تلاميذي فقال بثلاثة اشياء اولها النميمة فاني قلت لاصحابي
بخلاف ما قلت لك والثاني الحسد حسدت اصحابي والثالث
كان بي علة فجئت الى الطبيب فسالته عنها فقال تشرب في كل سنة
قدحا من خمر فان لم تفعل فتبقى بك العلة فكنت اشربه نعوذ
بالله من سخط الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حالة رجلين احدهما
ما حكي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله انه لما احتضر نظر الى السماء
فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين
يحكي عن الاستاذ ابي بكر رحمه الله انه قال كان لي صاحب ايام
التعليم وكان مبتديا كثير الجهد في التعليم تقيا متعبدا وكان

لا يحصل

لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم
مكانه بين الاولياء في الرباط فلم يدخل الى بيت المرضى وكان يجتهد
مع مرضه فاشتد به الحال وانا جانبه فبينا هو كذلك اذ شخص
بصره الى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون
وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الاخر نحو ما روي عن مالك
ابن دينار رحمه الله انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك
جبلان من نار بين يدي اكلف بالصعود عليهما فسالت اهله
فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت
بهما فضربت احدهما بالاخر ثم سالت الرجل فقال ما يزداد
الامر علي الا عظما واما القبر والحال بعد الموت فاذكر فيه حال
رجلين احدهما ذكر عن بعض الصالحين رحمهم الله
انه قال رايت سفيان الثوري رحمه الله بعد الموت فقلت
كيف حالك يا ابا عبد الله وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف
حالك يا سفيان فانشا يقول

نظرت الى ربي عيانا فقال لي ... هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده ... وزرني فاني عنك غير بعيد

والرجل الثاني ما ذكره بعضهم رؤي في المنام شاحب
اللون مغلولة يداه الى عنقه فقيل ما فعل الله بك فانشا
يقول

تولى زمان لعبنا به ... وهذا زمان بنا يلعب

وحال اخرين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان
لي ابن استشهد ولم اره في المنام الا ليلة توفي عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه اذ تراءى لي تلك الليلة فقلت يا بني

الم تك ميتا فقال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله تعالى
ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء الا يبقى نبي
ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت
لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الاخر ما روي عن
هشام بن حسان انه قال مات لي ابن حدث فرايته في النوم
فاذا هو قد شيب راسه فقلت يا بني ما هذا الشيب فقال لما
قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه لم يبق احد منا الا شاب
نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم واما القيامة فتامل فيها
قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره فاذا البراق والتاج
والحلل فيلبس ويركب الى الجنان النعيم لا يخلو من عزة ان [illegible]
الى الجنة برجله واخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والانكال
لا يخلون الشقي ان يجر الى النار برجله يسحب الى الجحيم نعوذ
بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة تخرج
قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر فتطير
بهم في عرصات القيامة حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا
راتهم الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما ندري
لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فياتيهم بعض الملائكة
فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة
محمد صلى الله عليه وسلم فتقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا
فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قراتم كتبكم
فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون

هل

هل اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفي خبر اخر ما ملكنا ○
فنعدل ولا نجور ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه ○
فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير
امن ياتي امنا يوم القيامة فاعظم برجل يشاهد تلك الاهوال
والزلازل والوقايع وهو امن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على
قلبه ثقل نسال الله تعالى ان يجعلنا من اولئك الصلحاء
وما ذلك عليه جل جلاله بعزيز واما الجنة والنار فتامل
فيهما ايتين من كتاب الله عز وجل احدهما قوله تعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا
وقال حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ويك انهم يصيرون
عند ذلك كلابا يتعاوون في النار نعوذ بالله الرؤوف الرحيم
من عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ لا ندري
اي المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة
فلا صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت
النعيم ايسر من مقاساة الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة
العظمى الخلود اذ لو كان على حال منقطعا لكان الامر هينا
ولكن الشان في ابد لا اخر له فاي قلب يحمل ذلك واي نفس
تصبر على ذلك ولذلك قال علي عليه السلام ذكر الخلود
يقطع قلوب الخائفين وذكر عن الحسن رحمه الله ان اخر
من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام
ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال يا ليتني كنت

هناد فتعجبوا منه فقال وعلم الله لو علمنا انا نخرج منها ولا نخلد فيها
قلت فرجع الامر كله اذن الى اصل وهي النكتة التي تقصم
الظهور وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي
العيون وهي خوف نزع المعرفة وهذه الغاية التي ينتهي
اليها خوف الخائفين ويبكي عليها اعين الباكين ولهذا قال
بعضهم ان الغموم ثلاثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم
المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال المخلصون
بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة وكل غم
سواه فهو هين اذ له انقضاء **ولقد** بلغنا عن يوسف
ابن اسباط رحمه الله انه قال دخلت على سفيان فبكى
ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا
وقال الذنوب على الله من هذا انما اخشى ان يسلبني الله
الاسلام نسال الله ربنا المنان سبحانه ان لا يبتلينا بمصيبة
وان يتم علينا كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام
انه ارحم الراحمين **وقد** ذكرنا سبب سوء الخاتمة
ومعناها في كتاب احياء علوم الدين فتامل هناك فان
الخوض فيه هاهنا خروج الى الاكثار فتامل هذه الجملة
فان التفصيل الكثير ان ياتي عليه الوهم والذكر
لعلك تفلح بعون الله تعالى وحسن توفيقه **فان قلت**
فاي الطريقين اسلك طريق الخوف او طريق الرجا **قلت**
بل المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجا صار مرجئا
بل ربما يخاف عليه ان يصير خرميا ومن غلب عليه الخوف
صار حروريا والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون الاخر فان

بالحقيقة

بالحقيقة الرجا الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي
لا ينفك عن الرجا ولذلك قيل الرجا كله لاهل الخوف الا
الامن والخوف كله لاهل الرجا الا الياس **فان قلت**
فهل يكون احدهما ارجح او اكثر ذكرا بحال فاعلم ان العبد
اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى واذا مرض وضعف
لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجا اولى كذا سمعت العلما
يقولون **قلت** وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند
المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك
الوقت لانكسار قلبه وخوف المتقدم زمان الصحة والقوة
والامكان ولذلك يقال لهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا **فان
قلت** اليس قد جات الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله
والترغيب في ذلك فاعلم ان من حسن الظن بالله الحذر
عن معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم
ان هاهنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير
من الناس وهو ان الفرق بين الرجا والامنية ان الرجا
يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله من زرع
واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه ماية
قفيز فذلك منه رجا واخر لا يزرع شيا ولا يعمل يوما
فذهب ونام واغفل سنته فلما جا وقت البيادر قال
ارجو ان يحصل لي منه ماية قفيز فيقول له من اين لك
هذا الرجا وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا
اجتهد في عبادة الله وانتهى عن معصيته ثم يقول
ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم

الثواب ويعفوا عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجآء ولما
اذا اغفل ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال
بسخط الله ورضايه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول ارجوا
من الله تعالى الجنه والنجاه من النار فذلك منه امنية ٥
لا حاصل تحتها سماها رجآ وحسن ظن وذلك خطاء وضلال ٣
قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وفي
ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم اماني
المغفره حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني
لحسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل
له ثم تلى قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ٥
فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي رحمه الله قال
رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد ٥
قلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رايت
مني ما يدل على القنوط ان رحمت الله قريب من المحسنين قال
جعفر فابكاني قوله واذا كان الرسل والابدال والاوليا مع كل
هذه الاجتهاد في الطاعه والحذر عن المعصية فاين تقول
ما كان لهم حسن ظن بالله عز وجل بل فانهم كانوا اعلم بسعة
الله واحسن ظناً بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون
الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم
وانتبه من رقدة الغافلين والله تعالى ولي التوفيق فصل
وجملة الامر اذا تذكرت سعة رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه

ووسعت

ووسعت كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى
ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه
اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة اياديه اليك ونعمه عليك
ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم سابقة لك وتذكرت من
جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة
غضبه الذي لا يقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة
ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته في احاطة
علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي
لا تبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه الذي لا
تحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر
الى نفسك في جفواتها وجناياتها تودي بك جميع ذلك الى
الخوف والرجا وكنت قد سلكت الطريق الشارع القصد ٥
وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والياس ولا تتيه مع
التايهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج
بالعدل فلا تهلك ببرودة الرجا والا بحرارة الخوف الصرف
فكاني بك وقد وصلت الى المقصود غانما وشفيت من العلتين
سالما ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة وذابت في الخدمة
ليلاً ونهاراً من غير فترة والاغفلة واجتنبت المعاصي والمحارم
وهجرتها بمرة كما قال نوف ان نوفاً اذا ذكر الجنة طال
شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء
الخواص الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في
الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين
ولنت قد جزت هذه العقبة الخطيرة باذن الله تعالى وحسن

توفيقه فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر
كريم واجر عظيم في العقبى والله سبحانه مسئول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الباب السادس**
في العقبة السادسة وهي عقبة القوادح ثم عليك
يا اخي ايدك الله وايانا بحسن توفيقه بعد ما استبان
لك السبيل واستقام لك المسير بتمييز سعيك وصيانته
عما يفسده ويضيعه عليك وانما ذلك باقامة الاخلاص
وذكر المنة والاجتناب عن ضده لامرين احدهما لما في فعله
من الفائدة وهي حسن القبول من الله تعالى وفوز الثواب
عليه ولا يكون مردوداً اذ ذاهب الثواب كلاً او بعضاً على ما
روي في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه
يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملاً فاشرك فيه
غيري فنصيبي له فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصاً وقيل
ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيامة اذا التمس ثواب
عمله الم يوسع لك في المجالس الم يلقب المرائي في الدنيا الم
ترخص بيعك وشراءك الم تكرم هذا واشباهه من الحظ
والضرر قلت من خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان
اما الفضيحتان فاحديهما فضيحة السر وهي اللوم على
روس الملائكة وذلك ما روي ان الملائكة تصعد بعمل
العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه
لم يردني به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة
العلانية وهي يوم القيامة ينادى باربعة اسماء يا كافر

يا فاجر

يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك ولا
خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل معه يا مخادع وروي
انه ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق اين الذين كانوا
يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني
لا اقبل عملاً خالطه شيء واما المصيبتان فاحديهما فوت
الجنة وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي
يوم القيامة ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي
والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل من يبخل باقبح
بخل وهو قول لا اله الا الله المراد منه المراد منه البخيل بكلمة
الاخلاص وهي قول لا اله الا الله محمد رسول وهذا المرائي من
يرائي باقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده
في هذا القول توحيده والمعنى الثاني ان من لم ينته عن البخل
والرياء لم يراع نفسه وفيه خطران تلحقه شوم ذلك فيقع
في الكفر فتفوته الجنة رأساً والعياذ بالله والمصيبة الثانية
دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان اول من يدعى يوم القيامة
رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير
المال فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على
رسولي فيقول بلى يا رب قال فما عملت فيما علمت فيقول يا رب
قمت به آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة
كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد
قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الم اوسع عليك
حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما

عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق قال الله
تعالى فيقول الله كذبت وتقول الملايكة كذبت ويقول الله
بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويوتى بالذي
قتل في سبيل الله فيقول ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في
سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جري فقد قيل
ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي وقال
يا ابا هريرة اوليك اول خلق تسعر بهم نار جهنم وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان النار واهلها يعجون من اهل الريا فقيل
يا رسول كيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبوا بها وفي
هذه الفضايح بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه وتعالى ولي
الهداية بفضله فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص
والريا وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص عند
علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر فاما
اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره
واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا
الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله تعالى وقال شيخنا
رحمه الله هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز
وجل وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها
واما الاخلاص في طلب الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله
يقول انه ارادة نفع الاخرة لم يرد ردا يتعذر خيره بحيث
ترجى به تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرايط وقال الحواريون

لعيسى

لعيسى

صلوات الله عليه ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله لا
يحب ان يحمده عليه احد وهذا تعرض لترك الدنيا وانما خصه
بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد
الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل رحمه
الله الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا
هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فايدة في
تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين
والاخرين صلوات الله عليه وسلامه اذا سيل عن الاخلاص
فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك
ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذا
اشارة الى قطع ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا وضد الاخلاص الريا وهو ارادة نفع الدنيا
بعمل الاخرة ثم الريا ضربان ريا محض وريا تخليط فالمحض
ان تريد نفع الدنيا لا غير والتخليط ان تريدهما جميعا
نفع الدنيا ونفع الاخرة هذا حدهما واما تاثيرهما فان
اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر
ان يجعله مقبولا وافر الاجر والتعظيم والنفاق يحبط العمل
ويخرج عن كونه قربة محتقا عليها الثواب بالفعل من الله تعالى
فالريا المحض لا يكون من المعارف عند بعض العلماء وان
كان ابطل نصف الثواب وعند اخرين قد يكون الريا
المحض من المعارف فانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط
يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الريا
المحض لا يكون من المعارف مع تذكر الاخره ويكون مع التهون

والمختار ان من تأثير الرياء رفع القبول والنقصان في الثواب
وان لا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل يطول
وقد شرحناها في كتاب الاحياء شرحاً مستقصى واشبعنا
القول في اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع الاخلاص
وفي اي طاعة يقع ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء
ثلاثة قسم يقع فيه الاخلاصان جميعاً وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منهما وهو العبادات الباطنة
الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل وهو المباحات الماخوذة للعدة قال شيخنا رحمه الله ان
كل عمل لا يحتمل الصرف الى غير الله من العبادات الاصلية يقع
فيها اخلاص العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها
اخلاص العمل واما اخلاص طلب الاجر قال شيخ الكرامية
لا يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله فامتنع
فيها دواعي الرياء فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا
رحمه الله يقول اذا اراد من الله عز وجل بالعبادة الباطنة
نفع الدنيا فهو ايضاً رياء قلت انا فلا يبعد اذن ان
يقع في كثير من العبادات الباطنة الاخلاصان وكذلك
النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعاً عند الشروع فيها واما
المباحات الماخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون
اخلاص العمل اذ هي لا تصلح ان تكون بنفسها قربة بل هي
عدة على القربة فان قلت فهذا موضعه فبين لنا وقته
من العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع الفعل يقارنه لا محالة
ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب الاجر بما يتاخر عنه وعند

بعض

بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على
اخلاص او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد
وعند عبدان من شيخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة
بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب
فقد فات قال بعض العلماء ان الفريضة يلحق الاخلاص
فيها الى الموت اما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق
بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة فمامول منه
التفضل والتيسير فيه واما النفل فالعبد هو الذي
ادخل فيه نفسه وتكلف فطولب بحق ما تكلف قلت وفي هذه
المسئلة فائدة وهي ان من سبق منه الرياء وترك الاخلاص في
عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا
والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقائق علمنا الان
بقلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذه الطريق والتو
على المبتدي في العبادة فان لم تجد لعلته دواء في هذا القول
وجدت في الاخر لاختلاف الاغراض وعلل الاعمال وافاتها فا
[illegible] فان قلت اكل عمل يحتاج الى اخلاص مفرد
ام لا فاعلم انه قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل
عمل اخلاص مفرد وقيل يجوز تناول اخلاص لجملة من العبادات
فالعمل ذو الاركان كالصلاة والوضوء يكفيهما اخلاص واحد
لان بعضها متعلق ببعض صلاحاً وفساداً فصارت كشيء
واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير نفعاً من الله تعالى ولا
يريد من الناس شيئاً من مدح او سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء
فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار في الآية

بالمراد بالذي تريد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا
دنيويا فانه رياء سواء اردته من الله او من الناس قال
الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب وليس الاعتبار بلفظ الرياء واشتقاقه من معنى
الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لان
الاكثر ما يقع يكون من قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان
قلت اذا كان القصد في الدنيا التي تريدها من الله
التعفف عن الناس والقوة على عبادة الله تعالى ايكون
ذلك رياء فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والحطام
انما هو في القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه واما القوة
على عبادة الله فاذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء ولذلك
ما يتصل بامور الآخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك فان
اريد بعمل الخير هذا النوع لا تكون تلك الارادة رياء لان
هذه الامور تصير بتلك النية خيرا وتصير في حكم اعمال الآخرة
فلا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم
عند الناس او محبة عند المشايخ والائمة ويكون قصدك من
ذلك التمكن من تاييد مذهب الحق او الرد على اهل البدع
والنشر للعلم وحض الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان
تقصد بذلك شرف نفسك من حيث هي او دنيا تنالها فان
هذه كلها ارادة سديدة ونية محمودة لا يدخل شيء منها في
باب الرياء اذ المقصود بها الآخرة بالحقيقة واعلم اني سألت
بعض مشايخنا رحمهم الله عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة
الواقعة في ايام العسرة الى المراد بذلك ان تدفع تلك الشدة

عنهم

عنهم ويوسع عليهم شيء من الدنيا على ما جرت العادة فكيف
تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة فقال في جوابه رحمه الله
كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله قناعة او قوتا يكون
لهم عونا على عبادة الله تعالى وقوة على درك العلم دون نزهة
ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني قراءة هذه
السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت
به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة حتى
كان ابن مسعود حين عوتب في امر ولده اذ لم يترك لهم الدنيا
قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في السنة
جرت هذه الخصلة في سير علمائنا رحمهم الله تعالى والاولياء الاولة
رحمهم الله تعالى بمسالة في امر الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون
ضيق الدنيا وعسرها ويتنفلون بذلك فيما بينهم ويعدونه
من الله تعالى نعمة عظيمة ويخافون اذا بدت لهم نعمة من الدنيا
التي لا يعدها اكثر الناس الا الاحسان والنعمة ان يكون ذلك
الضيق والشدة استدراجا من الله تعالى ومصيبة فكيف
بضاعتهم الاشغال والطلب في عموم الاحوال والمتقدمون منهم
يقولون الجوع راس مالنا فهذه وضع مذاهب اهل التصوف
وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك جرت سيرة سلفنا واما
تقصير بعض المتاخرين فلا معتبر به وانما ذكرنا هذا
الفصل لئلا يغتر فيه مخالف جهلا منه بمقاصد القوم باوهامهم
او يغلط فيه مبتدئ سليم الصدر لم ياخذ من العلم حقه
فان قيل كيف يليق هذا بحال اهل الزهد والتجرد وارباب
البصيرة والرياضة فاعلم ان هذا شيء ماخوذ من السنة

ثم المقصود حصول القناعة والقدرة لا اتباع الشره والنهمة
او الضعف عن احتمال العسرة والشدة والكثير ما يرى في
عقب ذلك قناعة في القلب وفقد كلب الجوع وضعفه
وسلوة عن الطعام وقد علم ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة
موفقا ان شاء الله تعالى القادح الثاني العجب وانما يلزمك
اجتنابه لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتأييد من
الله تعالى فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التأييد
والتوفيق فما اسرع ما يهلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
والثاني انه يفسد العمل ولذلك قال المسيح عليه السلام
يا معشر الحواريين كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من
عابد افسده العجب واذا كان المقصود والغاية العبادة
وهذه الخصلة تحرم العبادة حتى لا يحصل له خير فان حصل
قليل من ذلك يفسده حتى لا يبقى بيده شيء فحقيق ان يحذر
من ذلك ويحفظ والله تعالى ولي التوفيق فان قيل فما
حقيقة العجب ومعناه وتأثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم
ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفصيله عند
علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح لشيء
دون الله عز وجل او الناس او الشيء قالوا وقد يكون العجب
مثلثا بان يذكر ذلك في هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشيء
ومثنى بان يذكر ذلك من اثنين وموحدا بان يذكر من واحد
وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله عز وجل
وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض عند دواعي

العجب

العجب نفل في سائر الاوقات واما تأثير العجب في العمل قال
بعض العلماء ينتظر الاحباط فان تاب قبل موته سلم والا احبط
واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عنده
ان يذهب جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا
مدحا البتة وفي قول غيره هو ذهاب الاضعاف لا غير فان
قيل كيف يلتبس على العبد العاقل ان الله تعالى هو
الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه بفضله
ومنه فاعلم ان هاهنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو
ان الناس في العجب ثلاثة اصناف صنف هم المحجوبون بكل حال
وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة في
افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وذلك
لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال
وهم المستقيمون بكل حال لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك
لبصيرة اكرموا بها وتأييد خصوا به والثالث المخلطون
وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى
وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة
والفترة في الاجتهاد والنقص في البصيرة فان قلت كيف
حال القدرية والمعتزلة في افعالهم فاعلم ان في ذلك اختلافات
فقيل انها محبطة لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل باعتقاد
الجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد
اهل السنة لا يمنع العجب في كل عمل حتى تخصه بذكر منة فان
قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح في العمل فقيل ان
فيه لقوادح سواهما لكنا خصصناهما بالذكر لانهما الاصلان

اللذان يدور عليهما معظم الباب وقد قال المشايخ ان حق
العبد ان يتحفظ في العمل من عشرة اشياء النفاق والرياء
والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة
والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيخنا رحمه الله ضد
كل خصلة واضرارها بالعمل فضد النفاق الاخلاص في العمل وضد
التخليط التفريد وضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى
تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب
ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم
التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق
يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة
اصلا في الوقت وعن بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما
الندامة فانها تحبط العمل في قول الاكثرين والعجب يذهب
اضعاف العمل والحسرة والندامة والتهاون يخفف العمل
فيذهب رزانته قلت فالقبول والرد عند التحصيل يرجعان
الى ضربين من التعظيم والاستحقاق والاحباط ابطال منافع
يكون بالفعل وجنسه ثم تارة يكون ابطال الثواب واخرى
ابطال التضعيف والثواب منفعة يقتضيها الفعل بعينه
وقرائنه واحواله والتضعيف زيادة على هذا والرزانة زيادة
تحصل بمقتضى قرائن واحوال اخرى كالاحسان الى احد من اهل
الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء ففي الكل يكون
رزانة ولا يكون تضعيفا فهذا تهذيب ما تحققت في هذه
المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل فعليك بقطع
هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية التحرز

فان

فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات وتحمل
تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من العبادة عزيزة مزلفة
فانه لا يخاف على بضاعته تلك الا في هذه العقبة فان فيها مقاطع
يحذر ان يسلب فيها بضاعته ومتالف يحذر ان يتلف وانها
آفات تفسد عليه طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان
القاطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر في كل واحد منهما
اصولا مقنعة نحررها لك لعلك تكفى مونتهما باذن الله تعالى اما
الرياء فاذكر اولا قول الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان
الله سبحانه يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما من كل
هذه الصنائع والبدائع والكيفيات بنظرك لتعلم اني قادر عليم
وانت تصلي وتعبدني مع ما فيها من المعايب والتقصير فلا تكتفي
بنظري اليك وبعلمي وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان
تعلم الخلق ليمدحوك بذلك الا يكون ذلك وفاء او يكون ذلك
غدرا الرضاه احد لتقنع ويحك افلا تعقل الاصل الثاني ان
من كان له جوهر نفيس عليه ان ياخذ في ثمنه الف دينار او فوقه
فباعه بفلس اليس ذلك يكون خسرانا عظيما وغبنا قبيحا
ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الراي ورقة
العقل وما يتناوله العبد بعمله من الخلق من مدحهم وحطام
في الاضافة الى رضى رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه اقل
من فلس في جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها
والثرى والثريا الا يكون من الخسران المبين ان تفوت نفسك
تلك الكرامات العزيزة الرفيعة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان

كان ولا بدلك من هذه الخسيسة فاقصد انت الاخره تتبعك
الدنيا بل اطلب الرب وحده يعطيك الدارين اذ هو مالكهما
جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والاخره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا بعمل
الاخره ولا يعطي الاخره بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية
وجردت الهمة للاخرة حصلت لك الاخره والدنيا جميعا وان
اردت الدنيا ذهبت عنك الاخره في الوقت وربما تنال الدنيا
كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والاخره
فتامل ايها العاقل والاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله
تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لابغضك وتسخط
عليك واستهانك واستخف بك فكيف يعمل العاقل العمل لاجل من
لو علم بانه يطلب رضاه سخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين
لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبته بذلك
احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل
وكفاك فتفطن لهذه الجملة ان كنت تعقل والاصل الرابع ان من
حصل له بسعيه يمكن ان يكتسب رضا اعظم ملك في الدنيا لو انه
يطلب به رضا كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلا
على السفه ورداءة الراي عنده وسوء الخطر له ويقال لهما حاقا
الى رضى هذا الكناس مع امكانك من رضى الملك فكيف وقد سخط
الكناس عليك بسبب سخط الملك ففاتك الكل فهذا حال المرائي
فاي حاجة الى رضى مخلوق حقير ضعيف مهين وهو متمكن
من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل فان ضعفت
الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضى مخلوق لا محالة فسبيلك

ان

ان تجرد ارادتك وتخلص سعيك لله فان القلوب والنواصي بيده
فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس وتشحن من حبك
الصدور فتنال من ذلك ما تناله بجهدك وقصدك وان
لم تفعل وقصرت بعملك رضى المخلوقين دونه سبحانه فانه
يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط الخلق [عليك]
فيحصل لك في هذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا فيا له
من خسران وحرمان ولقد ذكر عن الحسن انه قال كان
رجل يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول
داخل للمسجد واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلاة الا قائما
يصلي وصائما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فلبث كذلك
سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي
وصنع فاقبل على نفسه وقال اراني في غير شيء لاجعلن [باللوم]
عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت
نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم
الله فلانا الان قد اقبل الى الخير ثم قرا ان الذين امنوا [الحسن]
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم
للمؤمنين ولقد صدق القائل

يا مبتغي الحمد والثواب في عمل يبتغي المحالا لقد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلالا
من كان يرجو القادر اخلص من خوف الفعالا الخلد والنار في يديه فانه يعطك النوالا
والناس لا يملكون شيئا فكيف راءيتهم ضلالا

واما العجب فلنذكر فيه اصولا احدها ان فعل العبد انما صارت
له قيمة لما وقع له من الله تعالى موقع الرضا والقبول والا فنزل
الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل

بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد يعمل في الليل
والنهار يكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت العمل الى
الله تعالى دضمت لله تعالى يوما قال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك
الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له هذه
القيمة بنا خير غداء الى العشاء ولو قمت ليلة لله تعالى فلا يعطيك
مما تعطيك من الثواب قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وهذا الذي قيمته دانقا
او درهمان صارت له كل هذه القيمة والقدر بل لو جعلت لله
ساعة رقيطك فيها ولعنتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله
قال الله تعالى ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه ساعة
انفاسك التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك فكم
تضيعها في لا شيء وكم تمر عليك بلا فايدة وقد صار لها هذا
القدر العظيم وكل ذلك لوقوعه مرضيا لله تعالى فعظم قدره
وكبر قيمته بفضله فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله
وقلة مقداره من حيث هو وان لا يرى الامنة الله تعالى عليه
فيما شرفه من قدر عمله واعظم من جزائه وان يحذر على فعله
من ان يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضا
فتذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل
من الثمن الحقير من دراهم ودوانيق واحقر واخس من ذلك
ومثاله ان العنقود من العنب والصلادة من الدنجان يكون ثمنه

في السوق دانقا فان اهدى واحد الى ملك دستجة بنفسه فوقعت
منه موقع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع من الملك
موقع الرضا فصار ما قيمته حبة الف دينار فاذا لم يرض الملك
ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك
ما نحن فيه فتنبه وابصر وصن فعلك عما يشينه عند الله
عز وجل والثاني ما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على واحد
جراية من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانه
فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل والنهار مع ما في ذلك
من الذل والصغار ويقوم على راسه حتى تخدر رجلاه
ويسعى بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول
الليل حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه
فيبذل روحه التي لا خلف عنها لاجل كل هذه الخدمة والكلفة
والخطر والضرر والغرر لاجل تلك المنفعة النزلة الحقيرة
مع انها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك
فربك الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك واحسن التربية
ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك
ودنياك ما لا يبلغ كنهه فهمك ووهمك قال عز من قائل
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيها
من المعايب والآفات ومع ما وعد عليها من المتقبل من
حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتعجب فليس
هذا من شان عاقل اذا نظرت فيه هذه **والاصل الثالث**
ان الملك من شانه ان تخدمه الملوك والامراء ويقوم على راسه
السادات والعظماء ويتولى خدمته الانبياء والحكماء ويطلب خدمته

العلماء والعقلاء ويمشي بين يدي الاكابر والرؤسا اذا اذن
لسوقي او قروي بمقتضى رافة وعناية له في بابه حتى زاحم
اولئك الملوك والسادات والاكابر والافاضل في خدمته ومدحته
ويجعل له مقاما من حضرته معلوما وينظر اليه نظرة بعين
الرضا وان كانت مشوشة معيبة كالبس بقال قد كثرت على
الحقير المنة من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ يمن على الملك
بتلك الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به الاتفاق ان
ذلك لسفيه جدا ومجنون لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان
الله سبحانه هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده والمعبود الذي يسجد له من في
السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم على بابه جبريل الامين
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش الكروبيون
والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصى عددهم الا
رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم
العظيمة ثم من خدمة الاكابر على بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله
عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة
ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء والائمة
الابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية
الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على
بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين
يعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه
باكين ضارعين ويعترفون له بالعبودية والنفس ساجدين

ضارعين

ضارعين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة او
يتجاوز لهم بكرمه زلة مع هذه العظمة والجلال والملك والكمال
قد اذن لك في حقارتك وعيوبك وانت الذي لو استاذنت على
رئيس بلدك فربما لا ياذن لك وان كلمت اميرنا حيث كذا فربما
لا يكلمك وان سجدت لسلطان بلادك بالارض فربما لا يلتفت اليك
اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه بل تدل
عليه بالمسألة وتنبسط في قضاء حاجاتك وتستكفيه مهماتك
ثم انه يرضى بركعتيك في معايبهما بل يعطي من الثواب عليهما
ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بها ثم الرعونة
وتستكثر ذلك وتستعظمهما ولا ترى منة الله عليك في
ذلك فما اسوأك من عبد وما اجهلك من انسان والله
تعالى المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه
التكلان **فصل** وعلى وجه اخر الملك العظيم اذا اذن لاحد
الهدايا اليه فيدخل بحضرته الامراء والكبراء والدهاقين
والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة
والاموال الجليلة فان جاء بقال له بباقة او فروي ببلة
عنب تساوي دانقا او حبة فيدخل في حضرته ويزاحم
اولئك الاكابر والاغنياء بهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا
الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظرة
القبول والرضا ويامر له بانفس خلعة وكرامة الا يكون
ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير
يمن بذلك ويعجب ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك
الا يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه شيء

الادب عظيم الجهل وانت الان اذا قمت ليلة وصليت ركعتين فاذا
فرغت تفكرت كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدام في ٥
اقطار الارض برها وبحرها وبلادها وجبالها امناف
المتقيمين والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين
والمتضرعين وكم حضرت في هذه الساعة بباب الله سبحانه وتعالى
من عبادة صافية وخدمة خالصة عن النفس خاشعة والسن
طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية وصلاتك
ولو كنت بذلت المجهود في تحسينها واحكامها واخلاصها فلا تكاد
تصلح لهذا الملك العظيم ولا تبين في تلك العبادات التي تعرض هنالك
كيف وقد كانت منك عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب
وبدن نجس باقذار الذنوب وكان مختلط بانواع المعصية
والفضول وكيف يصلح هذا ان يحمل الى تلك الحضرة وكيف يستاهل
ان يهدا الى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر ايها الغافل هل
وجهت قط صلاة من صلاتك الى السماء كما يده يبعثها الى بيوت
الاغنياء فكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت من صلاة الا
استحييت حين فرغت منها اشد حيا من امراة فرغت من
الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم وفضل
هذين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب ما وعد وانت
عبده في خزائنه وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره ثم مع
ذلك فتعجب بذلك وتمنى منه الله عليك هذا واشد العجب
العجب لا يكاد يذهب مثله الا عن جاهل لا فكرة له او غافل
ذهن له او قلب ميت خلو خبو فيه نسال الله الكفاية بمنه
وفضله ورحمته هذه فصل ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ
من

من رفقاتك ايها الرجل في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين
فان هذه العقبة اشد واشق وامر واصعب عقبة استقبلتك
في هذه الطريق اذ اليها ينتهي ثمرة كل ما انتهى من العقبات
فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى فقد ضاع
السعي كله وخاب العمل وبطل العزم ثم الشان كله انه قد
يجتمع في هذه العقبة هاهنا ثلاثة امور الاول ان الامر
دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة الامر
فان مجاري الريا والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية
فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين وصير يقظان
القلب متحرز واني يطلع عليه الجاهل اللعوب والغافل
النوؤم ولقد سمعت بعض علماء نيسابور حكى عن
عطا السلمي رحمة الله عليه ورضوانه نسج ثوبا واحكمه واحسنه
جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز فقال
ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذ عطا وجلس يبكي بكاء
شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل
له في ثمنه ما يريد فقال عطا ليس ذلك ما ظننت انما
انا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في احكام هذا
الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض
على البصير بعيوبه اظهر عيوبا كنت عنها غافلا فكيف
اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على الله الخبير البصير كم يبدو فيه
فيها من العيوب والنقصان الذي نحن عنها غافلون اليوم
وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر
في غرفة لي على دعة اقرا سورة طه فلما ختمتها غفوت

غفوة فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها
بين يدي واذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات
مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محواً ولم ارى تحتها
شيئاً فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثواباً ولا
اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قراتها وكتبناها
الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها واسقطوا
ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي فقلت لم فعلتم ذلك
فقالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها
فمن هذه واما شره الغبن فان الرياء والعجب افة تقع في
لحظة وربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة **وحكي**
ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال لاهله هاتوا
الطبق التي اتيت به في الحجة الثانية لا التي اتيت به في الحجة
الاولى فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا
حجته ووجه اخر في الغبن ان اقل طاعة سلمت عن هذا
الرياء والعجب يكون لها من الله عز وجل من القيمة ما لا نهاية
لها والكثير طاعة اذا اصابتها هذه الافة بقيت لا قيمة لها
الا ان يتداركه الله تعالى عليها **روي** عن علي عليه
انه قال لا يقل عمل مقبول البتة وكيف يقل عمل مقبول
وسئل النخعي عن عمل كذا كذا ما ثوابه قال اذا قبل لا يحصى
ثوابه **وعن** وهب قال كان ممن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة
يفطر من سبت الى سبت وطلب من الله حاجة فلم يقضها فاقبل
على نفسه وقال من قبلك اتيت ولو كان عندك خير لقضيت حاجتك
فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي ازدريت بنفسك

خير من عبادتك التي مضت **قلت** فلينظر العاقل الى هذا
الكلام اليس الغبن ان واحدا يكدح ويتعب سبعين سنة
والاخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكرة ساعة افضل من عبادة
سبعين سنة وخيرا له اليس من الغبن العظيم انك متمكن
من ساعة خير من سبعين وتترك ذلك من غير حاجة بل
والله انه لاعظم غبن وان اغفاله لاشد خسرانا وان الغفلة
التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر منه ويجتنب ولمثل
هذا المعنى انما وقع نظر اولي الابصار من العباد في مثل
هذه الدقائق واهتموا بمثل هذه الاسرار لمعرفتها اولا ثم
رعايتها والتحفظ عليها ثانيا ولم تغرهم كثرة الاعمال بالظاهر
وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة
خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكلت في هذا الباب
نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب ○
واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك
عن الطعام والشراب ونحوه فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا
الى ما فيها من المخ والصفوة وما يغني عدد الجوز الا لب فيه
وما ينفع رفع السقوف ولم تحكم مبانيها وما يعقل هذه
الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون والله تعالى ولي الهداية
بفضله واما عظم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله
وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى وانك وبدن معيب
بعيوب خفية موقوف معرض لافات كثيرة وامر مخوف ان
يقع زلل مع تسارع النفس اليه فيحتاج ان تستخرج عملا صافيا
لائقا من بدن معيب ونفس مائلة الى الشر امارة بالسوء

قائمون

علي وجه يصلح لرب العالمين في جلالته وعظمته وكثرت اياديه
ومننه يقع منه موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح
العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما يصيبك فيه مصيبة
لا طاقة لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم
اما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار
قائمون له بالخدمة انا الليل والنهار حتى ان منهم من هو
منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم من
هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم
قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه
ما دام صوته الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة
العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا
سيد المرسلين وخير العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله
عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
لا اقدر ان اثني ثناء انت له اهل فضلا عن ان اعبدك كما
انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
واما النعم والالاء فكما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
روي انه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات
وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات بالنعم
فلا يوفي بحسنة الا اتي بنعمة حتى تفنى الحسنات وتبقى السيئات
والذنوب فلله تعالى فيها المشية واما عيوب النفس وآفاتها
فقل من نجا منها والامر المخوف ان العبد يكدح في دأب
سبعين سنة غافلا عن عيوبه وآفاته فربما لا يكون واحد منها

مقبولا

حسرج

مقبولا وربما يتعب اعواما فيفسده عليه واحدة واعظم
خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يرائي
الناس بعبادته وخدمته قد جعل ظاهره لله وباطنه للخلق
فيطرده طردا لا امد له والعياذ بالله تعالى ولقد سمعت
بعض العلماء رحمه الله تعالى يحكي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى
انه روي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله
بين يديه وقال يا بصري اتذكر يوما كنت تصلي في المسجد
اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا لصلاتك فلولا
ان اول صلاتك كان خالصا لي لطردتك اليوم عن بابي
واقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة من الرقة
والصعوبة الى هذا الحد فنظر اولو الابصار فيه فخافوا على
انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما ظهر للناس من
اعماله حتى حكي عن رابعة رحمها الله انها قالت ما ظهر من
اعمالي لا اعده شيئا وقال آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك
وآخر يقول ان امكنك ان تجعل خبيئا من الخير فافعل ولقد
حكي انه قيل لرابعة رحمها الله بما ترتجين اكثر ما ترتجين
قالت باياسي عن جل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك
ابن دينار فقال مالك اما الطاعة او النار فقال محمد بن واسع
اما رحمة الله او النار فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك
وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله قال كابدت العبادة ثلاثين
سنة فرأيت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة
ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت
الاستاذ ابا الحسن رحمه الله يحكي عن الاستاذ ابي الفضل

رحمه الله انه كان يقول اني اعلم ما اعمله من الطاعات غير مقبولة
عند الله فقيل له في ذلك فاجاب باني اعلم ما يحتاج اليه الفعل
حتى يكون مقبولا واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير
مقبولة قيل له فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني الله تعالى
يوما فتكون النفس معودة لعمل الخير فلا احتاج ان
اعودها ذلك من الناس فهذا قال هولاي الاعلام وذوي
المجاهدات والاقدار ∴
فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم • وقع الاياس وخابت الامال •
هيهات تدرك بالتواني سادة • كدوا النفوس وساعد الاقبال •
ثم رايت ان اثبت هاهنا الخبر الماثور عن الصادق المصدوق
صلوات الله عليه وسلم وعلى اله وقد ذكرناه في غير كتاب •
وروي عن ابن المبارك عن خالد بن معدان انه قال
لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم
ثم بكى بكاء شديدا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال
الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك
يا رسول الله قال احدثك بحديث ان انت حفظته نفعك
وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ
ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سما
ملكا وجعل على كل باب من ابواب السماء ملكا بوابا على قدر
الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع

كالشمس

اعمله
الناس
بلغ
رجل هو ح
بن جبل ح
طويلا

والحفظة

كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا والملايكة تستكثر عمله وتزكيه
فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب
الناس يتجاوزني الى غيري ثم تجي الحفظة من الغد معهم عمل
صالح له نور فتستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا الى السماء
الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه
اراد به عرض الدنيا وامرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني
الى غيري فتلعنه الملايكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد
مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير من البر تستكثره وتزكيه
فاذا انتهوا الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا
ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما تزهر النجوم والكواكب
الدري له دوي وتسبيح وصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا
الى السماء الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه
وتصعد الملايكة بعمل العبد كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا
انتهوا الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء
كضوء الشمس فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اسخط ما ارضى الله امرني
ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الملايكة بعمل
العبد بوضوء تام وصلاة كثيرة وصيام وحج وعمرة فيجاوز به

قفوا و ح
به ح
غرض
الحفظة ح
من
تزف م
وضوء

الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم قط انسانا وان اصيب
عبد بمثيب امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد
الملايكة بعمل عبد بنفقة كثيرة وصوم وصلاة وجهاد وورع
له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا اليه
السماء السابعة يقول الملك الموكل بالسماء انا الذكر انا صاحب
هذا العمل اراد به الذكر في المجلس والرفعة عند القراء والجاه عند
الكبرا امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل
لم يكن لوجه الله تعالى خالصا فهو ريا ولا يقبل الله عز وجل عمل
المرائي وتصعد الملايكة بعمل العبد من صيام وصلاة وزكاة
وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه
ملايكة السبع سموات حتى تقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون
بين يدي الرب ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول
الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه انه
لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي
ومن غر الادميين وغيركم ولم يغررني وانا علام الغيوب المطلع
على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا تعزب عني عازبة علمي بما
كان وعلمي بما يكون وعلمي بالاولين كعلمي بالاخرين اعلم السر واخفى
فكيف يغرني عبدي بعلمه انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون
وانا علام الغيوب عليه لعنتي وتقول الملايكة السبعة والثلاثة
الالاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل
السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكى معاذ رحمه الله تعالى
وانتحب بكاء شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت فقال

يامعاذ

صاحب خ

السموات السبع خ

حتى جلاله خ

كعلمي بما يكون خ

يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ
ابن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في
عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك
من حملة القران وليردك عن الوقيعة في الناس بما تعلمه من عيوب
نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع
اخوانك ولا ترائي كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا تنسيك
الاخرة ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم الناس فتنقطع عنك
خيرات الدنيا والاخرة ولا تفحش في المجلس حتى يحذروك من سوء
خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى
والناشطات نشطا فيقول ينزع اللحم عن العظم قلت يا رسول
الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك
يسير على من يسره الله عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس
ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت
قال خالد بن معدان وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما
يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجلسه فلما سمعت ايها الرجل
هذا الحديث العظيم نبائه الكبير خطره الجليل اثره الذي تطير له
القلوب وتحير له العقول وتضيق من حمله الصدور وتجزع
من هوله النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب
بالتضرع والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين
والمتبتلين فانه لا نجاة من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من
هذا البحر الا بنظره وعنايته وتنبه من رقدة الغافلين واعط
الامر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك
مع الهالكين والمستعان بالله تعالى على كل حال فانه خير معين وهو

بعملك خ

على

فاذا خ

واعمر خ

تعالى ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥
فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر فرايت قدر
طاعة الله تعالى ورايت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا
تلتفت عليهم بقلبك ولكن زاهدا في ثنائهم ومدحتهم وتعظيمهم
الذي لا فايدة تحته ولا تريد بطاعتك شيئا من ذلك ورايت
خسة الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تريدها ايضا
بطاعتك من الله وتقول يا نفس اثناء رب العالمين وشكره
واعزازه خير ام ثناء المخلوقين العاجزين الى هولاء الذين
لا يعرفون قدر عملك الحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون
حقك فيما عملت وتحملت بل ربما يفضلون عليك من هو دون
حالك بالف درجة ويضيعونك في احوج الاوقات ويفوتك
فان لم يفعلوا ذلك فما عسى ان يكون بايديهم والى ماذا يبلغ
قدرتهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم كيف يشا والى ما يشا
فاعقلي ايها النفس ولا تضيعي طاعاتك العزيزة بهم ولا يفوتك
ثناء من ثناوه كل فخر وعطاء من عطاوه كل ذخر ولقد
صدق القايل ..
سهر العيون لغير وجهك باطل ٥ وبكاؤهن لغير فقدك ضايع
وقل يا نفس اجنة الخلد خير ام لطخة من حطام الدنيا وحطامها النكد
الفاني وانت متمكنة من ان تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم
فلا تكوني خسيسة الهمة دنية الارادة دنية الافعال اما ان
ترين الحمام اذا كان سماويا كيف تغلوا قيمته ويزداد قدره
فادفعي همتك كلها الى السماء وتجردي قلبك لله الواحد الذي
بيده الامر كله ولا تضيعي ما طوقك به من طاعتك بلا [illegible]
اذا

اذا احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومننه الكرام عليك
في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الالات والاسباب ثم ازاح العوايق
حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق والتاييد
وحببها اليك وزينها في قلبك حتى علمتها ثالثة ثم مع جلالة
وعظمته واستغنايه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك
اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم ٥
الذي لا تستحقه رابعا فشكرك على ذلك واثنى عليك واحبك
بذلك خامسا فهذه كلها بفضله العظيم لا بغيره ولا فايده استحقاق
لك واي قدر لعملك الحقير المعيب فاذكري ايتها النفس منة
ربك الكريم الرحيم سبحانه وتعالى بان يتقبلها اما تسمعي قول
خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ من خدمته في بنا بيته
كيف ابتهل الى الله تعالى في ان يتفضل عليه بالقبول فقال
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعايه
قال ربنا وتقبل دعاي فليمن من الله عليك بقبول هذه
الطاعة المزجاة فلقد اجل المنة واعظم النعمة ويا لك
من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم ترى لذلك من
خلعة ونعمة وذخر وكرامة وان لم الاخرى فيا لك
من خسران وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي
بهذا الشان واذا واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك
عند الفراغ من طاعتك واشتغلت بالله عز وجل ٥
صرفك عن الالتفات الى النفس والخلق وشغلك عن
مراياة واعجاب وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في
الطاعات والتمسك لذكر منة الله تعالى في جميع الحالات تحصل

لكل طاعات ظاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب
فيها وعبادات مقبولة لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعة وان
حصلت في العمر الا مرة واحدة لا غير فانها بالحقيقة لكثيرة
لعمري انها وان قل عددها لقد كثر معناها وعظم قدرها
وكبر نفعها وطاب عقباها وان التوفيق لمثلها عزيز
والفضل بر الله تعالى على العبد لكثير واي هدية اجل من
هدية يقبلها رب العالمين واي سعي اكرم من سعي
يشكره ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من
بضاعة اختارها رب العالمين فتامل ايها المسكين واياك
ان تكون من المغبونين واذا جرى الامر على مثل هذه الجملة
كنت من المخلصين بعون الله سبحانه الخالصين الذاكرين المنتهين
المرضيين ولكنت قد خلفت هذه العقبة المخوفة وحصلت
من افاتها وسبقت من خيراتها وثمراتها فايزا على الابد
بكراماتها وسعاداتها والله سبحانه ولي التوفيق والعصمة
بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السابع في العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر

عليك وفقك الله واياك بحسن توفيقه بعد قطع هذه
العقبات والظفر بالمقصود من العبادة والسلامة من الافات بالحمد
والشكر على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك
ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة
فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى
وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وقال جل من قائل سبحانه ما يفعل

الله

الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان
للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول
الزيادة فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو ثمن الزيادة
قال سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا زادهم
هدى واتاهم تقواهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
قال السيد الحكيم اذا ادى العبد لقد قام بحق نعمة من عليه باخرى
ويراه اهلا لها فينقطع عنه ذلك ثم النعم قسمان دنيوية
ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة
النفع اذا اعطاك الله المصالح والمنافع وهي ضربان الخلقة
الشريفة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من
المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة
الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما
في النفس بان سلمك من زماناتها وافاتها وعللها والثاني
دفع ما يلحقك من مرض ومن انواع العوائق او ان يقصدك
بسوء من انس او جن او سباع وهوام ونحوها واما النعم
الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة اي وفقك اولا
للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن
الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن سائر المعاصي
وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي انعم عليك
كما قال جل وعز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام
هذه النعم كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من كل بابها
منها لا يبلغه وهي لا كلها تتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله
تعالى وان خصلة يكون لها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه

الغاية لحقيق ان تتمسك بها من غير اغفال بحال فانه جوهر
ثمين وكيمياء عزيز والله ولي التوفيق بفضله **فان قيل**
فما حقيقة الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فاعلم ان العلماء
فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد من اشكال
التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من
اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولان
الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم والشكر
والشكر اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد
بالفعل الحسن هذا مقتضى كلام شيخنا رحمه الله واما الشكر
فقد تكلموا في معناه واكثروا **فعن ابن عباس** انه قال
ان الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب العالمين في السر
والعلانية والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو
اداء الطاعات في الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب
المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس عن اختيار
معاصي الله تحرس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي
الله عز وجل في شيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق
بين قوله وقول الشيخ الاول انه رحمه الله جعل الاحتراس معنى
متثبتا زائدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعصية
فعبارة عن امتناعه عن فعل المعصية عند دواعيها والاحتراس
في نفسه معنى محصلا يكون العبد به متغلا وعن الكفران معتقا
وقال شيخنا رحمه الله ان الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمة على
حد يمنعه عن جفاء المنعم ولكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن الحقيق على

مقابلة

٩٤

مقابلة احسانه لكان اصح ان يكون من الله شكر العبد ففي هذا وفيه
تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره
ولكن التحصيل ان الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء
من احسن اليه وذلك بذكر احسانه وهو حال الشاكرين
في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه **قلت** ان قليل ما
استوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى المعصية وما
اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى
العبد اذن من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من
تعظيم الله سبحانه وتعالى ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب
تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم
يقابل ذلك بجده في الطاعة وجهده في القيام بالحمد اذ
هو من حقوق النعمة فلابد من الاحتراس عن المعصية
وبالله التوفيق **فان قلت** فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه
النعم دنيوية ودينية على اقدارهما فاما الشدائد
والمصائب في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك
هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد عليها
شكر من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فعلى
النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعمة لله تعالى
فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة
وتلك النعم ما قاله ابن عمر رحمه الله ما ابتليت ببلية الا كان
لله علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم
منها واذ لم احرم الرضا واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل
ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زايلة غير دائمة وانها من الله

عزوجل دون غير الله تعالى وان كانت بسبب مخلوق فانه الكافي عليه
لا له عليك فاذا يلزم العباد الشكر على النعم المقترنة بالشدة
وقال اخرون وهو الاولى عندنا يجب حمد الله على شدايد
الدنيا بما يلزم الشكر عليها لان تلك الشدايد نعم بالحقيقة
بدليل انها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة
واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدايد
واي نعمة تكون اكبر من هذه ومثال ذلك من ان يسقيك دواء
كريها مر المذاق لداء ويفصدك ويحجمك لعلة عظيمة تخوفة
فيودي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش
فيكون ايلامه اياك بمرارة الدوا وجراحة العضد والحجامة نعمة
بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورته مكروها تنفر
عنه الطبع وتستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك
هذا بل تحسن اليه ما امكنك فذلك حكم هذه الشدايد اما ترى
الى النبي صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدايد شكره على
المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء وسر اما ترى كيف قال
جل جلاله وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما
سماه الله خيرا فهو اكثر مما يبلغه وهم ويؤكد هذا القول ان
النعمة ليست خيرا عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع
وانما هو ما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك سمي نعمة من معنى
الزيادة واذا كانت الشدة مما تصير سببا في زيادة شرف العبد
ورفعة درجته فيكون نعما بالحقيقة وان كانت تعادل في الشدايد
والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا **فان قلت** الشاكر افضل
ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل

من

من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح انه
كان عبدا شكورا وقال في النحل شاكرا لانعمه ولا نزيع منزلة
الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب الي من
ان ابتلى فاصبر وقيل بل الصبر افضل لانه اعظم مشقة
فيكون اعظم ثوابا وارفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا
نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقال تعالى والله يحب الصابرين **قلت** ان الشاكر بالحقيقة
لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر
في دار المحنة لا يخلو من محنة عليها لا محالة والجزع يكسب
ترك الحمد والاجر والثواب وفيه تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه
والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا ان الشدايد
نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم فانه شاكر بالحقيقة اذ صبره انه
حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه اذ هو
تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران
فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة وصار
صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع
فيما اصابه وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى وصار شاكرا
بالحقيقة ولان حبس النفس لها شدة يصبر عليها الشاكرون
وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما
لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي
بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا ممن هذه الوجوه
قلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه العقبة الجملة
وبالله التوفيق **فصل** فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع

ابراهيم

يصبر

وان الشكر

فهذا النقص مع الكفران

بلغ

هذه العجيبة الكبيرة المودعة البديعة الجدوى العزيزة العنصر
العظيمة القدر وتامل احد امرين احدهما ان النعمة انما تعطى من
يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلناه قوله
سبحانه حكاية عن الكفار وردا عليهم اهؤلاء منّ الله عليهم من
بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك الجهال ان النعمة
العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم
حسبا ونسبا فقالوا اما بال هؤلاء الفقراء بزعمكم من العبيد
والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم دوننا فقالوا على
طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء اهؤلاء منّ الله عليهم من
بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه الكلمة الزاهرة فقال اليس الله
باعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الكريم انما يعطي نعمته
من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل بنفسه وقلبه
واختارها على غيرها لا يعبا بما يحمل من اعباء المؤنة في تحصيلها
ثم لا يزال قائما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق
ان هؤلاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة ويقومون بشكرها
وكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم وجاهكم
وثروتكم ولا جاهكم في الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم في الانساب
والحسب انما تحبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب
والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته وانما يعطون ذلك
ويتفاخرون به اما ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين
والعلم والحق الا بمنة على ما اتاكم به وذلك لاستخفافكم ذلك
وقلة مبالاتكم وان هؤلاء الضعفاء يقتلون انفسهم
على ذلك ويبذلون مهجهم فيه لا يبالون بما فاتهم وبمن عاداهم

من دون الله وانى لملوك الدنيا بعشر معشار هذه المرتبة في اقل
ذلك واما ملك الاخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا
كبيرا واعظم بما يقول فيه رب العزة ملكا كبيرا وانت تعلم ان الدنيا باسرها
قليلة وان بقاها من اولها الى اخرها لقليل ولنصيب احدنا من هذا القليل
قليل ثم الواحد منا قد يبذل ماله وروحه حتى يظفر بقدر قليل من هذا
القليل في بقاء قليل ان حصل له ذلك فيعد ذلك بغبطة ولا يستكثر ما بذل
فيه المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس شعرا حيث يقول

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه … وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عيناك انما … نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم وانت تكثر مع ذلك
ان يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل كان له الف
الف نفس او الف الف روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك
كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعد بما طلب كان
ذلك غنما عظيما وفضلا من الذي اعطاه كثيرا فتنبه ايها المسكين من رقدة
الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله سبحانه وتعالى اذا اطاع العبد ولزم
خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجدتها على الجملة اربعين كرامة وخلعة
عشرون منها في الدنيا وعشرون في العقبى اما التي في الدنيا فالاول ان يذكره
الله تعالى ويثني عليه واكرم بعبد يكون رب العزة في ثنائه وذكره الثانية
ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لتشرفت
به فكيف باله الاولين والاخرين الثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير
بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف بمحبة رب العالمين
الرابعة ان يكون له وكيلا يدبر امره والخامسة ان يكون له رزقه كفيلا يوجهه
اليه من حال الى حال من غير تعب او بلاء السادسة ان يكون له نصيرا يكفيه كل

عدوٍّ ويدفع عنه كل قاصدٍ بسوءٍ السابعة ان يكون لو انيسًا لا يستوحش
بحالٍ ولا يخاف التغيّر والاستبدال والثامنة غنى النفس فلا يحتاج ذلّ خدمة
الدنيا واهلها بل لا يرضى ان تخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة
رفعة الهمة فيترفع عن التلطخ بقاذورات الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها
وملاهيها ترفع الرجال الالباء عن ملاعب الصبيان والنسوان العاشرة
غنى القلب فيكون اغنى من كل غنيٍّ في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر
لا ينزعه جذبٌ ولا يهمه عدم الحادي عشرة نور القلب فيهتدي بنور قلبه
الى علوم واسرارٍ وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهدٍ جهيدٍ وعمرٍ مديدٍ
الثانية عشرة شرح الصدر فلا يضيق ذرعًا لشيء من محن الدنيا ومصايبها
ومؤن الناس ومكايدهم الثالثة عشرة المهابة والموقع في النفوس فيحترمه
الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبارٍ الرابعة عشرة المحبة في القلوب
يجعل له الرحمن ودًّا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها
مطبوعة على تعظيمه والكرامه الخامسة عشرة البركة العامة في كلامه او نفعه او
فعله او ثوبه او مكانه فيتبرك بترابٍ وطئه وبمكانٍ جلس فيه وبانسانٍ
صحبه وراءه خيرًا السادسة عشرة تسخير الارضين من البر والبحر حتى ان شاء
سار في الهواء او مشى على الماء او قطع وجه الارض باقل من ساعة السابعة عشرة
تسخير الحيوان من السباع والوحوش وغيرها فتجيبه الوحوش وتبصبص له
الاسود الثامنة عشرة ملك مفاتيح الارض بحيث ما يضرب بيده فله كنز ان
اراد وحيث ما يضرب برجله فله عين ان احتاج واين ما نزل فله ما يليه
تحضره ان قصد التاسعة عشرة العبادة والوجاهة على باب رب العزة
فتبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته وتستنجح الحاجات من الله تعالى
بجاهه وبركته العشرون اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسال الله تعالى
شيئًا الا اعطاه ولا يشفع لاحدٍ الا شفع ولو اقسم على الله لابره بما شاء حتى ان

منهم

منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى السؤال باللسان ولو خطر بباله شيء لحصل
فلا يحتاج الى الاشارة باليد فهذه كرامات في الدنيا ، واما التي في العقبى فالحادي
والعشرون ان يهون عليه سكرات الموت وهي التي وجلت منها قلوب الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين منها حتى سألوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم من
يكون الموت عنده مثل شرب الماء الزلال للظمآن قال الله عز وجل الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين الثانية والعشرون التثبت على المعرفة والايمان وهو الذي
منه كل الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع قال عز من قائل يثبت الله الذين
امنوا في الحياة الدنيا وفي الاخرة الثالثة والعشرون ارسال الروح والريحان
بالبشرى والامان قوله سبحانه الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون فلا يخاف مما يتقدم عليه في العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا ٥
الرابعة والعشرون الخلود في الجنان الخامسة والعشرون الحياة في السر لروحه
عليه الملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه في العلانية بتعظيم
جنازته المزاحمة على الصلاة عليه والمبادرة الى تجهيزه يرجون بذلك اكبر الثواب
ويعدونه اعظم غنم السادسة والعشرون الامان من فتنة سؤال القبر
وتلقين الصواب فيأمن ذلك الهول السابعة والعشرون توسيع القبر وتنويره
فيكون في روضةٍ من رياض الجنة الى يوم القيامة الثامنة والعشرون
ايناس روحه ونسمته والكرامها فيجعل في اجواف طيرٍ خضرٍ مع الاخوان
فرحين مستبشرين بما اتاهم الله من فضله التاسعة والعشرون الحشر في
العز والكرامة من حللٍ وتاجٍ وبراقٍ الثلاثون بياض الوجه ونوره قال الله
تعالى وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة الحادية والثلاثون الامن
من اهوال القيامة قال الله تعالى ام من ياتي آمنا يوم القيامة الثانية والثلا[ثون]
الكتاب باليمين ومنهم من لم يعط الكتاب راسا الثالثة والثلاثون تيسير الحساب
ومنهم من لا يحاسب اصلا الرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف ٥

للمؤمن املاكاً الخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب شربةً
لا يظمأ بعدها ابداً السادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من
لا يسمع حسيسها وتخمد له النار السابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة القيامة نحواً من
شفاعة الانبياء والرسل عليهم افضل الصلاة والسلام الثامنة والثلاثون ملك الابد
في الجنة التاسعة والثلاثون الرضوان الاكبر الاربعون لقاء رب العالمين اله
الاولين والآخرين بلا كيف جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي
ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد اجملت واوجزت وذكرت
الاصول والجمل لو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى اني جعلت
ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت عن الاربعين خلعة من نوع
الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط
بها الا عالم الغيب والشهادة هو خالقها ومالكها واي مطمع لنا في معرفة ذلك
وربنا سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسر ليقول في قوله تعالى لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقولها الله تعالى لاهل
الجنة في الجنة باللطف والاكرام ما يكون حاله هذه فاني يبلغ جزءاً من الف الف
جزء منه وهم بشر ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه
العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل
العظيم وحسب الجواد الكريم الا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم
لهذا المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك لا قليل قليل في جنب ما هم اليه محتاجون
وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم والعمل
والاخلاص والخوف فليعلم اولاً الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو
محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر عليه من الآفات

إلى أن يجد الامان والا فهو مغرور ولقد صدق ذو النون رحمه الله حيث
قال الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون
كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم قلت انا ذو العجب
كل العجب من اربعة احدها من عاقل غير عالم اما يهتم لمعرفة ما بين يديه
اما يعرف ما هو مطلع عليه بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلائل والعبر
والاستماع الى هذه الآيات والتدبر والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس
في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم الثاني
من عالم غير عامل اما يتذكر بالعلم يقيناً ما بين يديه من الاهوال العظام
والعقبات الصعاب وهذا هو النبأ العظيم الذي انتم عنه معرضون الثالث
من عامل غير مخلص الا يتأمل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً الرابع من مخلص غير خائف
اما ينظر الى معاملته جل جلاله مع اصفيائه واوليائه حتى يقول لاكرم
الخلق عليه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك الآيات ونحوها حتى كان
عليه الصلاة والسلام يقول شيبتني هود واخواتها ثم جملة الامر وتفصيله
ما قاله رب العالمين في اربع آيات من الكتاب العزيز اولها قوله عز من قائل
افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه ولتنظر
نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال
عز من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الكل فقال
وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن
العالمين ٥ ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم وجرى به
القلم ونستغفره من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما
ادعيناه واظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير ونستغفره من

كل خطرة رد عتنا الى تصنيع وتزيين في كل كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم
اوردناه ونساله ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه
مريدين وان لا يجعله وبالا علينا ويضعه في ميزان الصالحات اذا ردت
الينا اعمالنا انه جواد كريم فهذا ما اردنا ان نذكره في شرح كيفية
سلوك الاخره وقد وفينا بالمقصود وصلى الله على سيدنا محمد خير مولود
دعا الى اجل معبود واله واصحابه وعترته وسلم تسليما الى يوم الدين

تم كتاب منهاج العابدين بعون الله وحسن توفيقه ووافق
الفراغ منه في سادس عشر شهر الله المحرم الحرام افتتاح
عام سنة ثمانين بعد الالف احسن
الله تقضيها على يد افقر عباده
واحوجهم لرفده وعفوه
ومغفرته علي بن [illegible]
غفر له

[illegible] من نسخة تاريخها سنة احد واربعين وسبعمائة [illegible]

كتاب

شرح المعرفة وبذل النصيحة تاليف الشيخ الامام العالم العلامة فريد عصره
ووحيد دهره ابي عبد الله الحرث بن اسد المحاسبي عفا الله عنه امين

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر

قال ابو عبد الله الحرث بن اسد بن عبد الله المحاسبي غفر الله له ما استعان
احد على نفسه واحرز دينه بمثل المراقبة لله عز وجل وبها نالوا الحياء من الله تعالى
وهي باب في المعرفة وهي اربع خصال هي فرض من الله عز وجل وقد فتقت
وهي موجودة في كتاب الله المنزل بها يبلغ العبد شرف الدنيا والاخرة وبها
يحظى عند الله تعالى وعند الخلق وهي اصول الطاعات كلها وفروعها واولها

واخرها

واخرها واصل الطاعات وفروعها مامورون بها المومنون كلهم الذكر والانثى العالم
والجاهل والخلق اجمعون فلو ان عبدا عبد الله تعالى الف سنة ثم الف سنة لم
يعرفها ولم يعمل عليها لم يزدد بعلمه من الله الا بعدا ولم يزدد قلبه الا قسوة
ودينه الا انتقاصا ولو ان عبدا عرفها ثم لزمها وعمل بها ليبلغ درجة
المخلصين الصادقين وسالك الخائفين الورعين ونال منازل اهل الحياء
من الله عز وجل ولا يكون العبد مخلصا ولا ورعا ولا وجلا ولا صادقا ولا خائفا
ولا زاهدا ولا ناسكا الا بعلمها والعمل بها ولا تثبت هذه الخصال في قلبه الا
بالنية الخيرة واليقين الراسخ والعقل الكامل والتمسك بها ولزومها في
المواطن كلها في كل طرفة عين بل في كل خطرة او لمحة او نظرة فانها راس مال
العارفين وطريق الصادقين ومسالك الخائفين وسبيل المحزونين وراحة
الزاهدين وعز المتقين ورفعة العاملين فاعمل بها ايها العبد فاني قد
نصحتك وهي غاية النصيحة فانها دين الله وتصديق كتابه وتمام حكمته
وملاك دينه ومعرفة فرائضه عز وجل اسمع رحمك الله واستعن بالله
عز وجل مع الصبر في الحالات كلها فان اولها معرفة الله عز وجل والثانية
معرفة عدو الله ابليس والثالثة معرفة نفسك الامارة بالسوء والرابعة
معرفة العمل لله تبارك وتعالى ولو ان عبدا عاش دهره مجتهدا في العبادة
ولم يعرفها ولم يعمل عليها ثم صار الى الله عز وجل على الجهل بها ولم ينتفع
بشيء من ذلك الا ان يتفضل الجليل جل ثناؤه فاما شرح معرفة الله عز
وجل فهو ان تلزم قلبك قربه منك وقيامه عليك وقدرته عليك وشهادته
وعلمه بك انه قريب حفيظ وانه واحد ماجد لا شريك له في ملكه وانه عند
ما وعد صادق وعند ما ضمن واف وعند ما دعي اليه وندب العباد اليه
ملي وله وعد منجزه ووعيد ينفذه على من يشا ومقام يصير اليه الخلائق
ومصدر ينصرفون عنه وثواب وعقاب ليس له شبه ولا مثل وانه الكافي

رحيمٌ ودودٌ سميعٌ بصيرٌ عليمٌ وانه كل يوم هو في شان لا يشغله شان عن شان يعلم الخفي
وفوق الخفي والضمير والخطرات والوساوس والهمة والارادة والحركة والطرفة والغمزة
واللمزة وما فوق ذلك وما دون ذلك مما دق فلا يعزب عنه عز وجل فلا يوصف بما كان
ويكون والله عزيز حكيم فاذا لزم هذا قلبك باليقين الراسخ والعلم النافذ ولزم ذلك
كل عضو منك وكل جارحة وكل مفصل وكل عرق وعصب وشعر وبشر واليقين
ان الله قايم على ذلك عالم به احاط به علما لا تعزب عنه عازبة خلقك فاحسن خلقك
وصورك فاحسن صورتك فاذا اثبت ذلك في قلبك وصح به عزمك وكمل عقلك
تثبتت فيك المحاسبة ووصلت اليك المعرفة وقامت عليك الحجة وكنت في مقام من
الله شريف والحذر يصحبك في ذلك كله فحفظت جوارحك وقلبك ولا تنال شيا
من هذا الا بقطع الاشغال كلها الا ما دلك على هذا فذكر الله لا يفارق قلبك حذرا من
سطواته لقدرته عليك لما قد سلف وبما يكون منك وحيا منه لقربه منك ولم تسقط
منك ارادة ولا تزل منك همة ولا خطرة الا له وفيه فانت العالم والقايم بما يجب
لله سبحانه منك والتارك له عما يكرهه منك ولا تكون منك خطرة ولا لحظة ولا وسوسة
ولا ارادة ولا حركة ظاهرة ولا باطنة ولا نظرة ولا شي يحل بك ظاهرا ولا باطنا الا
والله عند ذلك علمه قايم في قلبك قبل الحركات والخطرات والوساوس وهذا
مقام العلما بالله الخايفين العارفين الاتقيا الورعين وفقنا الله واياك لها
ولا حرمنا واياك نفعها بذنوبنا ● **واما معرفة عدو الله ابليس** فقد امرك الجليل
جل ثناوه وتقدست اسماوه محاربته ومجاهدته في السر والعلانية في الطاعة
والمعصية وتعلم انه قد عادا الله تعالى في عبده ادم وصار عدوه في ذريته تنام
ولا ينام وتغفل ولا يغفل وتسهو ولا يسهو دايبا مجتهدا في عطبك وهلاكك
في نومك ويقظتك وفي سرك وعلانيتك في الطاعة فيبطلها وفي المعصية
فيوبقك فيها ياتيك بكل حيلة وخديعة ومكيدة ومصايده الشبهة واللذة
في طاعتك ومعصيتك بما يجهله كثير من خلق الله العابدين المغرورين المخدوعين

وكثير

وكثير من خلقه الغافلين ليست راحته في ان يوقعك في المعصية ولا رياء ولا اعجاب
انما امنيته ان ترد معه حيث يرد جهنم فلتستعذ بالله من جهنم فاذا عرفته
بهذه الصفة والمنزلة فالزم قلبك معرفته والحذر منه في الحق والباطل بلا غفلة
ولا سهو منك فحاربه باشد المحاربة وجاهده باشد المجاهدة سرا وعلانية ظاهرا
وباطنا تقصد في ذلك حتى تبذل مجهودك في مجاهدته ومجاهدته الى محاربته في
كل ما دعى اليه من الخير والشر ولا تدع ان تفزع الى الله عز وجل في كل حركاتك
فتستعين به وتودي اليه من نفسك الفقر والفاقة والالتجا اليه فانه لا حيلة
لك ولا قوة الا به فاستعنت بالله بالبكاء والتضرع واسال الله النصر عليه
جاهدا متذللا ليلا ونهارا سرا وعلانية في الخلا والملا حتى يصغر في عينك
مجاهدة نفسه بمعرفتك بعداوتك بتوفيق الله تعالى اياك فانه عدو مولاك وهو
اول من عصى الله تعالى وعادا اولياء الله من النبيين والصديقين واصفياه
من خلقه اجمعين واعلم انك في جهاد عظيم وفي قربة من الرب جل ثناوه
ولا يوصف شرف مقامك وانما يزيد غاية المعرفة وان كان لا يبلغ لها غاية
فتثبت ولا تعجز فانك ان عجزت او مللت فقد عطبت واعطيت عدو الله
امنيته منك وقوي عليك وليس لارادته بك غاية الا الكفر بالله فانه يبلغك
من حال الى حال حتى يغضب الله عليك فيكلك الى نفسك فتعطب فتقع
في النار فالله الله فالزم ولا تنزل ولا تامنه ولا اخلق عليك اشر منه فالحذر منه
فانما هي مهجة اللوم والورود على العطب او النجاة بفضل الله ورحمته اعاذنا
الله واياك من ابليس وجنوده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **واما معرفة**
نفسك الامارة بالسوء فضعها حيث وضعها الله تعالى وصفها بما وصفها الله
وقم عليها بما امرك الله فانها اعدا لك من ابليس وانما يقوى عليك ابليس بها
وبقبولها عنه فتعرف اي شي طاعتها وما ارادتها والى ما تدعوا وبما تامر
فكيف خلقتها خلقة ضعيفة قوي طبعها شرهة مداهنة امنية مرعبة

خارجة من طاعة الله متماكة مختلفة متمنية خوفها امن ورجاوها اماني
وصدقها كذب ودعواها باطل وكل شي منها عزوف وليس لها فعل محمود ولا
دعوي حق فلا يغرنك ما يظهر لك ولا ترجو الها ما تومل ان خليت عنها وان
اعطيتها سولها هلكت وان غفلت عن محاسبتها ادبرت وان عجزت عن
مخالفتها غرقت وان اتبعت هواها تولت الى النار لعمرك ليس لها حقيقة ولا لها
رجوع الى خير وهي راس البلا ومعدن الفضيحة وخزانة ابليس وماوي
كل سو لا يعرفها احد غير خالقها وهي من الصفة التي وصفها الله عز وجل
كلما ادعت صدقا فهو كذب وكلما اظهرت خوفا فهو امن وكلما اظهرت اخلاصا
فهو رياء واعجاب عند الحقايق يتبين صدقها ويعرف كذبها وعند الامتحان
ترجع كل دعواها فليس بدا لها وقد دل بها فعليك بمحاسبتها ومعرفتها
ومخالفتها ومجاهدتها في جميع ما تدعوا اليه وتدخل فيه فليس لها دعوي حق
وانما تسعي في هلاكها ودمارها فلا توصف بشي من الاوصاف اكثر مما توصف
بي لكنز ابليس ومستراحه وموضع امورة ومحدثته وصديقته فاذا عرفتها هانت
عليك وقويت عليها فاذا اجتمعت فيك هذه الثلاث خصال فاثبت
واستعن بالله عليهن ولا تغفل فاذا قويت على ادب نفسك ومخالفتها
عما تهوي وتطلب قويت على الخصال كلها ان شا الله تعالى فعليك ببذل
المجهود في التقدم بالعزم لله وحده لا شريك له ولا تميلن في هذا كله الى
احد غير الله تعالى فانك ان فعلت ذلك لغير الله تعالى لا توفق لخير ويكلك
الله الى نفسك فبالله فاستعن في هذا كله واتبع مرضاته في جميع ما امرك
الله تعالى ولا تريدن به احدا الا الله تعالى فانك اذا فعلت ذلك وفقك
الى الله ان شا الله ووفقك واحبك وجنبك مكارهه وسلك بك سيرة الاصفياء
العلماء بالله وبلغنا الى العلم بالله ووفقنا الله واياك لما يحب ويرضي واعاذنا
واياك من سبيل العمى والمستعان بالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

واما معرفة العمل لله عز وجل ان يعلم ان الله عز وجل امرك بامر ونهاك عن امر
فالذي امرك به هو الطاعة والذي نهاك عنه هو المعصية له وامرك بالاخلاص
والقصد الى سبيل الهدي على سبيل الكتاب والسنة فلا يكن في ضميرك في فعلك
كله احد الا الله عز وجل ولا تكن ممن ترك المعاصي الظاهرة ولم يترك المعاصي الباطنة
فانه ليس على هذا وعد الله المغفرة ولا على هذا ضمن الثواب والجزا فلا تجتهدن
في العبادة في الظاهر بفساد النية وسقم الارادة فتعود طاعتك معاصي كلها
فتحل بك عقوبات الدنيا مع العذاب في الاخرة مع تعب البدن وقلة المونة
وترك الشهوة واللذة فتخسر الدنيا والاخرة وليكن زين طاعتك بالتقوى
والاخلاص والورع ونيتك بالصدق وحفظ ارادتك بالمحاسبة ولتكن همتك
طلب النية وليكن عزمك طلب الاخلاص في فعلك وقولك في جميع احوالك
في عملك الطاعة وترك المعصية حتى تثبت معرفة النية كما ثبتت معرفة
العمل واحذر لا يخدعك ابليس بغوايله ويصرعك بمصارعه ويوقعك في
نحوخه ويذهب بك بمكره وخدعه فان له مصايد ومصالح وغوايل شهية وطرق
لذيذة يحسبه الجاهل نورا وتعيينا وهو شرك وظلمة يفتح بدمامه بابا من الطاعة
لولك يريد بذلك ان يدخلك ادنى المنزلة ليستغرق عملك فاياك ثم اياك
والحذر الحذر فان قدرت ان تتعلم خدعه كما تتعلم حروف القران فافعل
فبهذا امرك الله جل ثناوه فاحذره في طاعتك كما تحذره في معصيتك
فاحذر اذا خطر ببالك امر وعندك تتقدك الى شي او تحركت بحركة فلا
تعجلن دون المعرفة والعلم وارفق بنفسك وتوسل العابد وسل
العلماء وجالس الفقها العاملين بالله عز وجل وبامره ونهيه حتى يدلوك
على الطريق طريق الله عز وجل فيعرفونك ذلك ويدلونك على دوايك ولا
تغترن بطول القيام وكثرة الصيام والنوافل الظاهرة فالمعرفة لك بعملك
فاذا كنت كذلك وزنت فعلك مع معرفتك بنفسك وبعدوك وبربك عز وجل

صح فعلك فبعدها تورث العلم والفقه فما كان من ذلك صادقًا من عمل
ظاهر او باطن نظرت نظرت ان كان لله خالصًا صحيحًا صادقًا فبله الله منك
وأثابك عليه وان كان غير ذلك رده عليك فلا تسقط لك عند ذلك فعل
ولا يخفى عليك امر فاذا كنت لذلك فقد اعطيت كل خلق حسن وصح
فعالك وثبت عملك وزاد حلمك وكنت من اولياء الله تعالى واصفيائه الذين
بالله ينظرون وبالله يتكلمون وبالله ياخذون وبالله يعطون **وهذه**
الخصال الاربع ذا عملت بها واطرح عنك ما سواها فانك اذا الزمتها فقد
ملات بحرك عبادة وانت الجامع الكامل واذا كنت هكذا اتهمت نفسك واتهمت
هواك على نفسك ودينك واتهمت مع ذلك معرفتك بنفسك على معرفتك بها
فاذا كنت لذلك فلا يعجبك امر ولا اغاظك شيء صحت النظر واطلت الفكر
وفتقت عن احكام الروية لتقع على حقيقة معرفتك بنفسك ودعواها
في غير مواطن الامتحان فاذا حصلت على المعرفة عند الموازنة لها بالدعوى
ان كنت تعني بها وتريد نجاتها وتحذرها تتكلم بكلام الخائفين ما لم تضطر
الى الخوف وتقول قول الابرار ما لم تمتحن بالتقوى وتصف وصف الصادق
ما لم تحتج الى الغاية وتدعي دعوى الموقنين ما لم تمتحن بالاخلاص وتزعم
انها من المتواضعين ما لم تحل بها خلاف هواها عند نفخ الغضب فلم
يكن يتوهم عنك وصفان الصدق واثبات قول الحق وطلاوة المنطق
بالاخلاص والدعوى الا انك لذلك فاذا امتحنت في المواطن عند الحق
مع محاسن الوصف منك وجدتك متزينًا مرائيًا معجبًا واذا احتجت
الى مواطن الصدق في العمل وجدتك كذابًا واذا احتجت في مواطن الخوف
وجدتك امنًا ولن احتجت في مواطن الاخلاص الى الاخلاص وجدتك
متزينًا واذا بليت بكل حق وصفته وادعيته ثم محضتك حقيقته فلك
ظهر لك منك في تلك المواطن خلاف دعواك فايقنت في مواطن الحق

من

من قبلك انه يحسن وصف الصدق والحق وانت بخلاف دعواك بالقول فلا تجد
حقيقة الصدق لا في عمل ولا في دعوى فاذا غلبت بذلك وفتشت ذلك ووزنته
ظهر لك فساد عملك وقبح عذر القول وسماجة الدعوى فرجعت ملتمسًا لمعرفته
بفساد عملك فعلمت وصح الان عندك فساد عملك وقبح عذرك ووصف القول
مع سقم قلبك ولو صح منك القول وصدق بالوصف لسانك لم تظهر لها التزين
للخلق عند الامتحان ولا تزينت عند من لا يملك لك ضرًا ولا نفعًا مخلوق
مثلك ولصحت منك اعمالك عند الامتحان ان كنت صادقًا في توبتك منك
وحذرًا من سطواته والويل لك ان هجمت عليك المنايا وهذا حالك فعند
ذلك اطلت الفكر وصحت النظر واستعنت بالعلم واسترشدت بالعقل
لتقع على العلة التي فرقت بين محاسن وصفك وقبح خبرك عند محنتك
ثم تدبرت ما قد ظهر من لسانك بعد ان صح عندك ان لسانك مترجم لقلبك
فوجدت اللسان يصف الخير فيحسن ويصف الصدق فيصيب وكذلك
جميع فعلك من العبادة فتجرب عند حسن الوصف وقبح الخبر فقلت
ان عقلت ان كان لسان مترجمًا عن قلبي عمارة الخوف فلولا اذا كذب
لترجم اللسان بخلاف ما ظهر منه من وصف البر والاحسان فاضطرتك
العناية ان كنت تعني بنفسك الى استرشاد العلم والمعرفة والاستعانة بدلالة
العقل فاسترشدتهم فدلوني على ان النفس هي المختارة لهواها من
علمها ومعرفتها ودلالة عقلها ان كان ما كان منها انما تقيم لها وجهها عند
المخلوقين ليعرفوا لها فضلها من عملها وحسن سيرتها في وصفها وتمتهها
وضبطها لتفقهها وازينها لكلامها وحفظها لسانها فاذا احتجت منها الى
الحقيقة قدمت هواها واذا وقع الامتحان بالعمل لزمت هواها
واجزت عملها ومعرفتها وشواهد عقلها وخفي حكمها فقطعت بهواها
وعملت بهواها وغضبت لهواها ورضيت لهواها فلذلك المعرفة وثبتت

والاستعانة

الا الحكمة انما هي المعبر عن نفسها بالصدق بالقول في غير مواطن الامتحان بالصدق
والمظهرة لنفسها الاخلاص وهي الخفية عن نفسها التزين في قولها والريا
في عملها باخفايها اكثر من ذلك منها على العارفين المدعين المعرفة لانفسهم فما
ظنك باهل الجهل بانفسهم وانما يصح وصفنا عند العاقلين عند حقايق
الامتحان بما يبدو الهم من صدق او كذب والا فلا يقبلن وصف محاسن
الانفس بالصدق فاذا احتجت الى صدقها كذبت ولا تطمئن الى وصفها التي
فاذا احتجت الى قيامها بالحق عدلت ولا تلتفتن الى محاسن وصفها للاظلام
فاذا احتجت الى اخلاصها رايت ولا تلتفتن الى محاسن وصفها للبر والتقوى
فاذا احتجت الى برها وتقواها غدرت وفجرت ولا تقبلن منها دعواها الخوف
واظهارها اياه فاذا افتقرت الى خوفها امنت وبطرت ولا تغتر باظهارها
التوكل والرضا فاذا عارضها خوف الفقر دون نزول الفقر يئست وقنطت
ولا تغتر بدعواها الصبر فاذا نزل بها سوء او بلاء جزعت وسخطت ولا تغتر ب
ما تظهر من تواضعها واسترخائها فاذا جرت فيها الهوى تكبرت وتجبرت
ولا تقبلن منها دعواها الحلم ولا تحالمها في مواطن التزين فاذا افتقرت الى
حلمها عند ما الاتجبة من قول حق فيها مما تسقط به تسفهت وغضبت وان
مدحت بباطل مع موافقتها هواها اهتزت وفرحت فلا تفرحن بامعرور
بظاهر اعمالها ومبادرتها مع مسارعتها في انواع البر واصطناع المعروف فان
لم تشكر على برها وتحمد على احسانها ومعروفها غضبت فان هي لم تظهر الغضب
اضمرته دلالة على دينها وزيادة في شرها فاحذر ان يقطع بك في اول
ما تحتاج فيه الى صبرها فتفرك وكذلك في اوان تحتاج فيه الى خوفها وتوكلها
في كل اوان تحتاج فيه الى رجايها وتوكلها وتقطع بك في كل اوان تحتاج
فيه الى شكرها النعم ان وافق هواها ومال في رضاها وداب في تعظيمها
فلا تلتفتن الى محاسن وصفها للتزين وكثرة عملها بلا صدق نية ولا

اخلاص

اخلاص ولا خوف عاقبة لكن انظر وتدبر ما بين فعلها وقولها وسوء ضميرها
في معتقدها كيف تطلب محاسن وصفها بقبح خبرها **واعلم** انه انما تستخرج محاسن
ما في القلوب من صدق او قبيح ما فيها من الكذب في مواطن الامتحان وكل
امر لا يختبر بالامتحان لا يعلم حقيقة ما فيه من خير او شر فعند ذلك تبدوا
لك فضايح ما تخفي ضماير الانفس من شر ان كان فيها او خير ان كان
عندها فزن بميزان عقلك في مواطن الامتحان محاسن دعواها التي كانت
تبديها فما صح من دعواها عند الامتحان فحققه وما كان باطلا فاردده
ولا تصل الى شيء مما وصفنا لك الا بالعزم الصحيح والنية الجيدة على
مخالفة الهوى **فاول مخالفة الهوى** ضبط البطن فان العبد اذا ضبط
بطنه ملك جوارحه وعرف قلبه وهانت عليه المحاسبة وساير مخالفة النفس
فيما تهوى باذن الله تعالى وان ضيعت بطنك صعب عليك الامر وشردت
جوارحك وضاع قلبك ولم تعرف حالك ولم تقدر على المحاسبة فاذا اردت
الطريق الى الله تعالى فاستعن بالله وخذ المعلوم من الطعام وصفه من
جميع الافات وليكن وردك معلوما وتحفظ لسانك الا مما يعنيك فيما لا بد
لك منه من امر او نهي ما كان قربة الى الله عز وجل فاحفظ مع ذلك سمعك
وبصرك ويديك واحفظ قدميك وانظر فيما تخطوا وتعاهد هذه الجوارح
كلها بحفظ القلب فانه بدو الاشيا كلها بالقلب حتى تراقب الله تعالى في
انفاسك وهمومك فلا جهاد اعظم من الجهاد الذي انت فيه **واصل**
هذه الاشيا كلها وبابها وفروعها وتمامها وملاكها باذن الله تعالى التواضع
فانك اذا تواضعت وصلت الى هذه الاشيا كلها وقويت عليها واكثر من
ذلك فعندها ينشرح صدرك باذن الله ويجلي نورا ويعلمك الله من
حكمة ما لم تكن تعلم قبل ذلك وزادك الرب في كل لحظة وطرفة ما لا يصفه
الواصفون من المواد والمعونة ومعرفة ما لم تعرف ولم تعقله قبل ذلك ان شاء الله

عز وجل **فائدة** ما تكون حذراً من الشيطان وجنوده من النفس وهواها في هذا
المقام فانما يريدون ابداً عطبك وهلاكك فانك ان غفلت طرفة عين اجترؤا
عليك فاهلكوك هلاك الابد وليست لك راحة ترحم النفس وهي لا ترحمك
وتبقي لك باقية ابداً تسعى فيما ترضي به الشيطان مما يكون فيه سخط مولاك فالحذر
الحذر لا تدع الصراخ والبكا والتضرع والاستكانة والاستغاثة ولتستغث
الى الله منها فانك في بحر عظيم ولو كان بحراً من ماء لكان غايته الموت ولكنه
بحر النار في جهنم التي ليس لها قعر ولا منتهى فالله الله في نفسك ولا يكن شي
اعز عليك من نفسك وكلما رايت من هذه الاشيا كلها اذا دخلت فيها فرايت
حايلا يقطعك عن الله سبحانه وتعالى فاعلم انه من ابليس وان كانت طاعة فاتهمه
ابداً واعط الله من نفسك المجهود في قطع الاشغال التي تقطعك عن الرب تعالى
فانما يريد بك عدوك ابليس ان يوقعك في جهنم وطوبى لمن الحكمة الصمت فانك اذا
صمت ملكت قلبك بقدرها وليكن صمتك تفكراً ونطقك عبرة وكلامك ذكراً
فلا تختار على الصمت شياً الا ان يلزمك فرض من فرايض الله تعالى وهذه
خصال مجربة قد جربها اهل المحاسبة لانفسهم وذوو العزم فلما ان اداموا
واحكموها باذن الله تعالى ووصلوا الى المنازل الشريفة وانما الاشيا بقوة
العزم ومخالفة الهوى فمن قوي عزمه هانت عليه مخالفة الهوى باذن
الله تعالى ومن قوي عزمه لم يلبث ان يتبين فضله في قلبه وما يأتيه من
عون الله تعالى وما يفتح الله له فيه فانها خصال مجربة قد تادب بها العباد
قبلك فوردوا بها موارد شريفة **فاول هذه الخصال** ان لا تحلف بالله صادقا
ولا كاذباً عامداً ولا ساهياً فانك اذا احكمت ذلك من نفسك وعودته لسانك
رفعك ذلك الى ان تترك الحلف صادقا ولا كاذبا ساهيا وغير ساه فاذا
تخلقت بذلك واعتدته فتح لك باباً من امورك تعرف به منفعة ذلك زيادة
في دينك ورفعة في درجتك عند ربك وقوة على عزمك وزيادة في بصرك

والثنا

الثنا عند الاخوان وكرامة عند الجيران حتى يأتم بك من عرفك ويهابك من لم يعرفك
الخصلة الثانية اياك والكذب في هزل ولا جد فانك اذا فعلته واحكمته من نفسك
وعودته لسانك شرح الله تعالى صدرك وصفا به عملك حتى كانك لا تعرف الكذب واذا
سمعته من غيرك عبت ذلك عليه وعيرته وذلك ثوابه **الخصلة الثالثة** احذر ان
تعد احداً شياً فتخلفه اياه وانت تقدر عليه فان وعدته فلا تخلفه الا من عذر بين
واقطع العدة البتة فانه اقوى لامرك واقصد لطريقك فان خلفك اياه طريق من
الكذب فاذا فعلت ذلك فتح الله لك باباً من السخا ودرجة الحيا واعطيت مودة
الصادقين ورفعة عند الله ان شا الله عز وجل **الخصلة الرابعة** اياك ان تلعن شياً
من الخلق او تؤذي ذرة فما فوقها فانها اخلاق الابرار الصادقين ولها عاقبة حسنة
في حفظ الله اياك في الدنيا مع ما يدخره لك عنده في الدرجات ويستنقذك من مصارع
الهلكة ويسلمك من الخلق ورزقك للعباد وحظوة عند الله وعند الخلق **الخصلة
الخامسة** اياك ان تدعو على احد من الخلق وان ظلمك ولا تقطعه بلسانك ولا تكافيه
بفعاله واعمل ذلك لله تبارك وتعالى ولا تكافيه بقول ولا بفعل فان هذه الخصال
ترفع صاحبها في الدرجات العلا اذا تادب بها ينال بها منزلة شريفة في الدنيا
والاخرة والحب والمودة في قلوب الخلق اجمعين من قريب وبعيد واجابة
الدعوة في الخير وعز في الدنيا في قلوب المؤمنين من الله علينا وعليك بها بمنه وفضله
الخصلة السادسة اياك ان تقطع الشهادة على احد من اهل القبلة بشرك ولا بكفر
ولا بنفاق فانه اقرب الى الرحمة واعلى في السنة وهي تمام السنة وابعد من
الدخول في علم الله تعالى وابعد من مقت الله واقرب الى رضى الله ورحمته فانه
باب شريف كريم عند الله يورث العبد الرحمة للخلق اجمعين ولا تتالى على الله
نفعنا الله واياك بها ومن علينا وعليك باعتقادها ولا تخالف السنة طرفة عين
الخصلة السابعة اياك والنظر والغمز الى شي من معاصي الله تعالى ظاهراً او باطناً
وكف عن جوارحك فان ذلك من اسرع الاعمال ثواباً في القلب وفي الجوارح وفي

عاجل الدنيا مع ما يدّخره الله لكم من خير الآخرة نسال الله ان يمنّ علينا وعليك بالعم
بها وان يخرج شهوة الطمع من قلوبنا **الخصلة الثامنة** اياك ان تجعل على احدٍ منك
مؤنة صغيرة ولا كبيرة وارفع مؤنتك عن الخلق اجمعين مما احتجت اليه او استغنيت
عنه فانه تمام عز العابدين وشرف المتقين وبه تقوى على الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ويكون الخلق اجمعين عندك بمنزلةٍ واحدةٍ في الخلق سواء فاذا كنت
كذلك نقلك الله الى الغنا واليقين والثقة بالله عز وجل ولا ترفع احدًا بهواك ولا
تضع احدًا بهواك وليكن الناس في الحق عندك سوا واعلم ان هذا الباب عمل
المومنين وشرف المتقين وهو اقرب بابًا الى الاخلاص منّ الله علينا وعليك به
ولا حرمناه بذنوبنا فانه وليّ ذلك والقادر عليه **الخصلة التاسعة** ان تقطع طمعك
من الآدميين لا تطمع نفسك بشيء مما في ايديهم فانه العز الاكبر والغنا الخالص
والملك العظيم والفخر الجليل واليقين الكافي الصافي والتوكل الثابت الصحيح وهو باب
من ابواب الزهادة وبه ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين الى
الله عز وجل **الخصلة العاشرة** منها يشتدّ مجد العابد وتعلو درجته ويركب
مطيّة التواضع ويستكمل العزّ والرفعة عند الله وعند الخلق ويقدر على
ما يريد من امر الدنيا والاخرة باذن الله تعالى الا تصل الى شيء مما ذكرنا لك حتى تكون
فيك هذه الخصلة فانها اصل الطاعات كلها وفرعها وكمالها وبها تدرك منازل الصالحين
والراضين عند الله تعالى في السرّا والضرّا والى كمال التقوى وهي ان لا تلقى احدًا من الناس
الا رايت له الفضل عليك وعسى ان يكون عند الله خيرٌ منك وارفع درجةً ان كان صغيرًا
قلت هذا لم يعص الله تعالى وانا قد عصيته فلا اشك انه خير مني وان كان كبيرًا
قلت هذا قد عبد الله تعالى قبلي وان كان عالمًا قلت هذا قد اعطي ما لم ابلغ ونال
ما لم انل فلا اشك انه خيرٌ مني وهو يعمل بعلم وان كان جاهلًا قلت هذا قد عصى الله
بجهل وانا عصيته بعلم وما ادري بما يختم لي او بما يختم له وان كان كافرًا قلت لا
ادري عسى ان يسلم هذا ويختم له بخير العمل وعسى ان اكفر انا ويختم لي بسوء العمل و

الله

الله الكريم الذي عصمك من كفره وضلالته وتقوم لله بما يجب عليك من البغض لله والمجانبة
متخوفًا مع ذلك على نفسك الخاتمة فكان عندك شغل بنفسك عن استصغار احد فعليك
وان كنت عارفًا بضلالته وكفره وان الله قد فضلك بان عصمك من كفره ومنّ عليك
بتوحيده ان تكون شاكًا في عاقبة امرك لا تدري على اي حالٍ تموت وعلى اي حالٍ يموت
هو فاذا كنت متخوفًا على نفسك الخاتمة والعاقبة لا يغلب على قلبك نجاتها البتّة
وانك لو الك مت على كفره فقد نفيت الكبر ولم تغتر ولم تامن على نفسك من التغيير
والزوال اللذين يورثانك العذاب والعقاب فكذلك اهل البدع وان كان يجب
عليك البغض لهم والمجانبة والعلم بان الله تعالى فضلك عليهم بما عصمك منه
من التدين بادبانهم الا ان قلبك لا ينبغي ما وقرت في قلبك من الذنوب وما
تقدم فيك من علم علام الغيوب بالشقا والسعادة وسوء الخاتمة غيرها فلا
تقطع انك خيرٌ منهم وفي الاخرة ترى انك ناجٍ وانهم هالكون وقد غيّب الله تعالى
عنك العلم منك ومنهم فاذا دنت لله ببغضهم ومخالفته وعلمت ما من الله به عليك
مما عصمك بما يتدينون به ولم يغفل قلبك حتى يغلب عليه انك ناجٍ وهو هالك
فقد نفيت الكبر وكان عندك شغل عن استصغاره والظن في نفسك انك
خير منه وهذا الباب باب الشفقة والوجل وهو اول ما يصحب واخر ما يبقى
عليهم فانه اول التواضع واخره فانك اذا كنت كذلك سلمت ان شاء الله من
الغوايل وبلغت منازل النصيحة لله وكنت من اصفياء الرحمن واحبابه
ولكنت من اعداء ابليس عدو الله وهو باب الرحمة وقطعت الطريق طريق
الكبر وحبائل العجب ورفضت درجة العلوّ وجانبت درجة التعزز في
نفسك في الدين والدنيا وهو ملح العبادة وغاية شرف الزاهدين وسيماء
الناسكين فلا شيء افضل منه ومع ذلك قطع لسانك عن الذكر للخلق اجمعين
ولا يتم لك عمل الا به واخرجت الغل والكبر والبغي من قلبك في جميع احوالك
وكان لسانك في السرّ والعلانية واحدًا والخلق عندك في النصيحة واحدًا ولا

تكون من الناصحين وانت تذكر احدا من خلق الله بسوء وتعييره بفعل او تحب ان لا يكون
عندك بخير او يرتاح قلبك اذا ذكر بشر وهذه افة العابدين وعطب النساك
وهلاك الزاهدين الا من اعانه الله على حفظ قلبه ولسانه وهذه العشرة خصال
فاعمل عليهن واحفظهن من جميع الافات وابشر بالزيادة من الله تعالى والفوز
والفضل نسأل الله العظيم ان يمن علينا ان نعمل بهن فانه من جانب هذه
العشرة خصال فقد عطب وهلك هلاك الابد واشد ما يكون احتراسا من
ابليس وجنوده الساعية فانه لا يدع بابا من الشر الا طالبك فيه ولا عملت بابا من
الخير الا داب في خبطه فهو يطالبك في الدين والدنيا جميعا فلو تبعته في جميع ما يجيئ
من قبل الدنيا والاخرة والدين فالحذر الحذر وعليك بالجد في مخالفته **واعلم**
رحمك الله ان اساس التقوى واصل ما بني عليه العابدون والذين قصدوا
الله النية في جميع ما ارادوا به الله في ترك معصية او عمل بطاعة فعليك
بصلاح نيتك فان بها صلاح اخرتك ودنياك جميعا وهو حبل لا غنى لك عنه
ولا تصل الى شيء من هذه الاشياء الا به وهو نجاة لك عند الهلاك كلها وهو
حبل الله المتين فافهم اول ما تقصد الى نيتك فانما العزم بالنية والنية
لك باب ولا تصل الى روح ولا شيء من معرفة الرب الا به فعليك بنيتك
فانه عمل خفي فيما بينك وبين الله تعالى وبه يدرك الاخلاص والصدق في
القلوب والفعل الى الكل فلا تعمل شيئا ولا تاكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تنظر
ولا يراك الله تعمل شيئا الا بنية **واعلم** رحمك الله انه اذا كانت النية
جيدة صحيحة كان معك الجند الذي لا يهزم والعين التي لا تنام والحارس الذي
لا يغفل وهي مال لا ينفذ وهي راس مالك ولك بكل خاتمة الكيس والله الله
فعليك بصلاح نيتك فان عامة الخلق قد اجتهدوا في انواع العبادة بلا نية
ولا تكون النية الا بالمعرفة ولا تكون المعرفة الا بالنية ولا يستغني احدهما عن الاخر
فجد واجتهد في صلاح نيتك فان بها تدرك الخلاص والاخلاص وهي موضع
مكن

مكن الهيبة والتعظيم والخوف والحذر والوجل والحياء من الله تعالى فافهم فقصد
النية ان تنقيها من جميع الافات وتعلمها بابا بابا من الله علينا وعليك بمعرفة النية
وصلاحها من جميع العيوب فلو كان عيبا واحدا لا هلك ابن الانسان وعليك بمعرفة
العيوب بابا بابا وجارحة جارحة وعيوب الطاعات والمعاصي كلها فانه باب عظيم
به تصل الى التقوى **واعلم** رحمك الله انك لا تصل الى الطهارة وجلاء القلوب وحسن
النية الا بالتوبة النصوح وترك المحارم والرفض للشهوات كلها والوقوف عند
الشبهات ولا ترى منه خلة الا سددتها ولا يكون منك فساد الا اصلحته واعرف
الامور لك على التقوى لزوم طريق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واياك والمحدثات من
الامور والرغبة عن طريقهم فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة واهلها
في النار اعاذنا الله واياك من النار فانك اذا اخذت طريق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فقد اخذت بغاية الصدق وافلحت حجتك ونلت بغيتك فلا تخالفهم في شيء من الاشياء
فانهم كانوا على الحق المبين والفوز الواضح واتبع سبيلهم ومنهاجهم ولا تعرج عنهم
فيعرج بك ولا تخالفهم فيخالف بك ولا تدع ان تفزع الى الله عز وجل في جميع احوالك
ان يعينك عليها ولو فقك لها فاذا اردت **الطريق الى الادب** واجد في العمل وان
تهون تزايد ما انت فيه فعليك بالقصد في مطعمك وملبسك والقصد في صلاتك
وصيامك وفي جميع تصرفك وفي جميع احوالك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وعليك بالرفق في نفسك فانها مطيتك فلا تتلفها ولا تجهدها ثم خذ منها لها فان لها
تلك طريقا صعب المدرجة مع قلة الاعوان وكثرة الاعداء فبالله فاستعن في
امورك كلها فانه المعين عليها كلها الذي بيده اعنة القلوب وانفاس العالمين
والهموم كلها يعلم السر واخفى وهو فتاح اقفال القلوب لما يحب ويرضاه فاستعن
بالله في امرك وامورك كلها ولا تبال من عاداك اذا كان الله معك وكفى بالله وليا
وحفيظا كان الله لنا ولك فانه القايد السايق الى كل خير والمجنب عن كل ما يكره
واعلم رحمك الله ان كل ما اردت الله به من العمل فليس بقليل ولا تكن همتك في كثرة

العمل ولتكن همومك اخلاص العمل من جميع الافات وخذ من الصلاة والصيام والزكاة
قصدا ودواما واذا فتح الله لك بابا من الخير فانتهزه وعليك بالتأني في جميع امورك كلها
الا في فرائض الله والمحارم ولا تؤخر شيئا لغد وأد كل شيء في وقته واما المحارم فان
قدرت ان تتركها في ساعة فافعل فالعون من الله تعالى واذا اخذت في طريق وحملت
عليه فاحمد الله واشكره ولا تكن متعسفا متثقلا دون ان ترى اعلام القوة في قلبك
والقوة علم في القلب وهو النشاط والحذر فاذا وجدت ذلك فاحمد الله على ما من به
عليك من دوام القوة في قلبك وشهوتها وارادته والحذر والشفقة يصحبانك
ابدا والحزن والاسف عليما فاتك من الله نادما على ما مضى من تقصيرك في عمرك لما
قد سلف ومضى فاذا وجدت هذه العلامة عطفت بالمحاسبة على قلبك فذكره وجدانك مع
الله تعالى عليك فانتبه لامرك من الفكر وعليك بدوام الحذر وبحفظ اللسان مع
ضبط البطن والعزلة ادام الله لنا ولك تمام النعمة وعرفنا واياك ما ينفعنا ثم الهمنا
وفتح الله اسماع قلوبنا حتى نعقل امر الله من امر عدو الله ونهي الله من نهي عدو الله
فاذا سارعت في ذلك وتخلفت بدا وصلك الى جلاء القلب من ظلمة الهوى فاذا انجلى
القلب نظرت الى ما دعاك الله اليه فاتبعته واصلحته وما دعاك اليه عدو الله ابليس
ونفسك فاجتنبته ولا تكن هكذا الا بجلاء القلب فاذا انجلا القلب صلح وصفا
واذا صفا وصلح صلح سائر الجسد باذن الله تعالى وولي الجوارح وبالله يدرك كل خير
وبالله يترك كل شيء فاعتصم بالله وحاسب نفسك محاسبة من يريد الفلح عليها ومن
يعمل ويعلم انه قادم على الله تبارك وتعالى ويعلم ان الله سائله عن جميع ما يكون منه
في السر والعلانية ومن يعلم انه لا ينجو من الله الا بالصدق والا تسامح مع العفو
وكرمه وجوده فقمت من النفس مقام الخصم فيما يدعوك اليه مما تهوى وما دعاك
الله اليه فاعمل دهرك في اماتة الهوى وادفن المنى واخذ الاماني والتسويف
وكر عليها بالندم والتقصير والمعاتبة حتى ينكسر طغيانها وتنقاد اعاننا الله واياك
عليها بلا عقوبة منه لنا فاذا عملت في اطفاء هذه الظلم والاخلاق الردية من قلبك

طهرت

١٠٧

طهرت عند ربك فلا تدنس نفسك بشيء واعلم انك لا تصل الى الطهارة وفيك افة من الافات ظاهرة
او باطنة ولا يكون فيك عيب واحد وخلق ردي او يكون فيك خصلة بخيلة وليس خصلة مما
وصفت لك اذا حصلت يوما فيما تظن يوما من الدهر وتومع عنك لا يكون هذا ابدا
غاية العبادة الى الموت هذا مقام الخائف الراجي المفوض امره الى الله تعالى المتلقي المعترف
لذنبه بسالف ما تقدم من اياديه فاذا علمت ذلك من قلبك فعليك بالتنبيه فانه باب
من ابواب الطهارة وهذا العبد اذا كان هكذا لا يامن قلبه ولا يسكن ذو عنه ولا يطمئن
من اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم فهو ابدا مكروب مهموم مغموم محزون قد انكسر
الحزن في قلبه فقد كسر فليست له راحة ولا فرح دون المعاينة اذا يأتيه خبر من السماء
واعلم رحمك الله انك لا تصل الى الطهارة ولا تنتفع بشيء من الادب ولا يصفو قلبك الا
بالتحويل والانتقال من جميع ما يكره الله تعالى الى ما يحب ويخرج من قلبك كل الذي يحبه
من الدنيا ويخرج من قلبك غموم الدنيا فانه لا تصل الى حلاوة العبادة وانت تعبا
بشيء من الدنيا او تحزن على شيء منها وكلما اخرجت من قلبك شيئا من ذلك ادخلت مكانه
علما من اعلام الاخرة وكلما ظهرت منزلة ورثت مكانها علما من اعلام الاخرة تخرج من
الدنيا وتسكن مكانها طايفة من الوقر والهدى والبصيرة فلا تزال كذلك في البحث
في مساوي نفسك كلما ظهر لك خلق سيء نفاه خلق حسن حتى تورث بذلك الطهارة
والالتجاء الى الله عز وجل واعلم ان املك الاشياء بالعبد الصمت وكثرة الفكر مع ادمان
الفكرة فذلك سبب الزيادة في الاخرة وتكرير الذم لنفسه يعرف نفسه وبتكرير النعم تعرف الاء
ربك في شدة عاقبة يعظم خوفك وبكثرة ذم العبد لنفسه في تقصير الشكر يستوجب
المزيد من الله تعالى واعلم رحمك الله ان العدو ومكايده فاول مكائده ان يكون العبد
مشتغلا بامر الله عز وجل فيدعوه الى اخذ الشهوات ويقول لا باس عليك خذ من الحلال
ما تتصدق به وتجاهد وتصل رحمك وتنفق في ابواب البر فان هو ظفر بك من هذا
الباب اوده لك فانهاك في ذلك فاستعن بالله واعلم رحمك الله ان الناس في العمل
ثلاثة فرجل سقوته نفسه مع معرفة الفضل حتى قدم على الله عز وجل فهذا الذي يجلس في الحبس

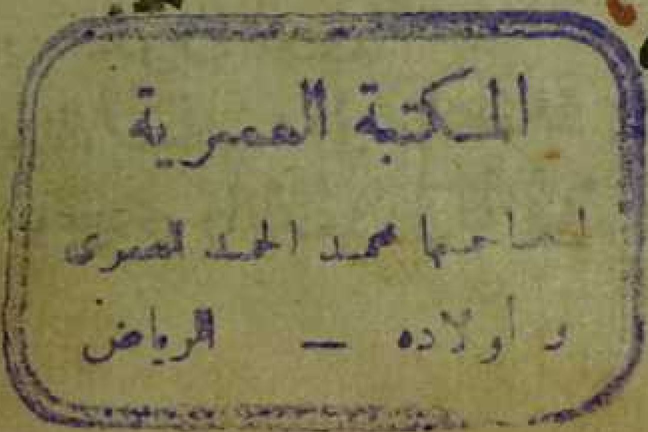
الطويل او يعفو الله ورجل عرف الفضل فاشتهاه بقلبه وتمنى منازل اهل الفضل فاتبعهم
وزعم انه لاحق بهم لحبه لهم فهذا مخدوع ورجل عرف الفضل واخذ في اهبة الرحيل الى الله
عز وجل فاحذر من تعز النفس فهذا يغتبط اذا قدم على الله عز وجل بتلك الآفة فاستعن بالله
قوة الا بالله العلي العظيم ولا يفارقن قلبك الفرق من الله تعالى في جميع احوالك فكلما كنت اشد
اجتهادا فكن اشد خوفا فانما ينتظر الشيطان زلتك ويريد عطبك واعلم رحمك الله انه
ليس مما يجل في قلب العبد من عمل الطاعات على ني مما يمني او يبقى او تقويم صفة شي من
العيب بعد ان يصغر العبد او يعود انه راى شيئا من احوال القيامة او شيئا من امر الله
تعالى او راى العرش او الكرسي او الله عز وجل فقد كذب وذهبت به المذاهب ولا امن ان
يعظم هذا في قلبه حتى يروح فيصير صاحب بدعة يدعو الناس اليها فمن زعم انه يعرج
به او ذكر الرب تعالى او يذهب الى الملائكة في ليلة او ادعى شيئا من اعلام النبوة فهذا
رجل كذاب ضال مضل فاتق هذا الباب فان صاحب هذا الطريق اما ان يكون
صديقا او يكون زنديقا ومن زعم انه يرى النور او يرى الملائكة او الحور فهو كذاب
وانما نور الله العلم والقرآن وللمعرفة وتمييز ما بين الحق والباطل فاحذر هذا الباب
رحمك الله واحذر اهله ومن يدعوا الى هذا الامر والزم الامر الاول وما كان عليه محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون ومن تبعهم ممن يثبت عليهم الروايات والا
تدخلن في شي مما احدث الناس من العبادة وغيرها فان الامر ليس الا الامر الاول
فاتق الله وعليك باليقين واحذر جهدك ما ابتدع الناس واحذر التباعد كدوا
تقع فتعطب واحذر جهدك الاحداث لا تعرفهم وباعدهم عن نفسك واحفظ كلامك
واحتوك من الخلق اجمع فانما هذه الايام ايام الهرب اذ ذهبت تطلب الفضل
وآمن عليك ان تضيع الفضل مع اهل زمانك فاستعن بالله وعليك بالهرب من
الناس والبكاء على نفسك فيما سلف من عمرك ولا تكتمن النصيحة لاهل القبلة ولا تدع
النصيحة للخلق برهم وفاجرهم ولا تخافن في الله لومة لائم تانك المعرفة من الله
الله وخالق الناس باخلاقهم وجانبهم بفعلك وعملك واطلب الجار الدار والرفيق

السفر

السفر واحذر ان تصحب الحسود فانه مضاد لله عز وجل في قضائه ولا تصحبن مغتاب او بهات
او يكذب او نمام او ذا وجهين او ذا لسانين او ذا قلبين فاتق هؤلاء كلهم فانهم شين
في الدنيا وعذاب في الآخرة ولا تصحب الا مؤمنا صادقا فالحذر الحذر من اهل زمانك
ومن نفسك خاصة فانها عدو خفي واحذر ابليس واعوانه وكن متيقظا في امورك
كلها واحذر فتور العزم فانك عنها يطلبك العدو فاذا فتر عزمك فلا تستريح واستعن
بالله فانه ليس من عابد الا وله فترة فاما الى بدعة واما الى سنة اعاذنا الله واياك
من البدع ما ظهر منها وما بطن واعلم انه لم ادع النصيحة واعطيت المجهود في طلب
النصيحة ولا خير في قوم لا يكونوا ناصحين ولا يحبون الناصحين وهذا كتابي اليك والى
من قراه وعمل به وود عالمه وضعه فلا يكتمن احد هذا الكتاب فانها نصيحة وفقه
من يعمل بها او يعرفها من الله علينا وعليكم بمعرفته والعمل بها والتوفيق والتسديد
لما يحبه ويرضاه واجعل هذا الكتاب مراة بين عينيك في احوالك فلم ادع
لك شيئا من النصيحة الا وقد بذلته لك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ووفقنا الله واياكم لغاية الرضى وكمال
الشرف في الدنيا والآخرة ولا
قوة الا بالله العلي
العظيم والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

تم كتاب
آداب المريد لمولانا شيخ الامام
العالم العامل وحيد
دهره وفريد عصره
السهروردي
رحمه الله تعالى
آمين



وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الامام الحافظ صفي الدين ابو الثنا محمود ابن أبي بكر بن محمد بن حامد الارموي
بقراته ونحن نسمع في نهار الثلاثا تاسع عشر صفر سنة اربعة عشر وسبعمية
بالأتابكية البرانية بحلب قال انا الامام مفتي المسلمين ظهير الدين ابو المحامد
محمود بن الامام ابي معاذ عبيد الله بن احمد الزنجاني بقراءة أخي وانا ابو حامد
ابن محمد عليه وانا اسمع في سنة اربع او خمس وستين وستمية بجامع دمشق قال
لنا اخبرك شيخك الامام شيخ الاسلام شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي
رحمه الله قال انا شيخي وعمي ضيا الدين المولف الحمد لله رب العالمين وصلواته
على خاتم النبيين سيدنا محمد النبي واله اجمعين اعلم ارشدك الله ان كل طالب
لشيء لا بد له ان يعلم ماهيته وحقيقته حتى تتكامل له الرغبة فيه ولا يصح
لاحد ان يسلك طريق الصوفية حتى يعلم عقايدهم وادابهم في ظاهرهم
وباطنهم ويفهم اطلاقاتهم في محاوراتهم واصطلاحاتهم في كلماتهم حتى يصح
له ان يحذوا حذوهم ويقتفوا اثرهم في افعالهم واقوالهم فانه من كثرة المدعين
جهل حال المحققين وفساد المفترين الذين يعود ولا يقدح في صلاح الصالحين
فنبدا اولا بذكر مذهبهم في اصل الاعتقاد اجمعوا على ان الله تعالى واحد
لا شريك له ولا ضد له ولا شبيه له ولا ند له موصوفا بما وصف به نفسه مسمى
بما تسمى به ليس بجسم فان الجسم ما كان مولفا والمولف يحتاج الى مولف ولا
هو بجوهر فان الجوهر ما كان متحيزا والرب تعالى ليس بمتحيز بل خالق كل
متحيز وحيز ولا هو بعرض فان العرض لا يبقى زمانين والرب سبحانه وتعالى
واجب البقاء لا اجتماع له ولا افتراق له ولا ابعاض له ولا اين يحده ذكر ولا
يلحقه فكر ولا تلحقه العبارات ولا تعينه الاشارات ولا تحيط به الافكار ولا
تدركه الابصار وكل شيء عنده بمقدار لا يقال كونه بل يقال وجوده لانه ليس
كل موجود كاينا وكل كاين فهو موجود فكل ما تصور في الوهم او حواه

الفهم

الفهم فالله تعالى بخلافه فان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف
فقد احتجب عن الوصف ذاته وان قلت اين فقد تقدم المكان وجوده علة كل
شيء صنعه ولا علة لصنعه ليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف احتجب عن
العقول كما احتجب عن الابصار ليست ذاته كالذوات ولا صفاته
كالصفات وليس معنى العلم في وصفه نفي الجهل ولا القدرة نفي العجز
واجمعوا على اثبات ما ذكره الله تعالى في كتابه وصح عن النبي صلى الله عليه
وسلم في اخباره من ذكر الوجه واليد والنفس والسمع والبصر من غير
تمثيل ولا تعطيل كما قال عز اسمه جل اسمه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وسيل بعضهم عن الله تعالى فقال ان سالت عن ذاته فليس كمثله
شيء وان سالت عن صفاته فهو احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد وان سالت عن اسمه فهو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم وان سالت عن فعله فكل يوم هو في شان وقولهم
في الاستواء ما قاله مالك بن انس حين سيل عن ذلك فقال الاستواء
معلوم والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة
وكذلك مذهبهم في النزول واجمعوا على ان القران كلام الله وانه غير
مخلوق مكتوب في مصاحفنا متلو بالسنتنا محفوظ في صدورنا
من غير تعرض للكتابة ولا للتلاوة لان السنة لم ترد بذلك واجمعوا
على جواز روية الله تعالى في الجنة بالابصار وانما نفى الله الادراك
بالابصار لان ذلك يوجب كيفية واحاطة كذلك والنبي صلى الله عليه وسلم
شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور اليه في قوله صلى الله عليه وسلم سترون
ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رويته
واجمعوا على الايمان والاقرار بجملة ما ذكره الله تعالى في كتابه وجاءت
به الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم من الجنة والنار واللوح والقلم

والحوض والشفاعة والصراط والميزان والصور وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير
واخراج قوم من النار بشفاعة الشافعين والبعث بعد الموت وان الجنة والنار
خلقتا للبقاء وان اهلها فيهما مخلدون ومنعمون ومعذبون غير اهل الكبائر
من المومنين فانهم في النار لا يخلدون • واجمعوا على ان الله تعالى خالق لافعال
عباده كما انه خالق لاعيانهم كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان الخلق
كلهم يموتون باجالهم وان الشرك والمعاصي كلها بقضائه وقدره من غير ان
يكون لاحد على الله حجة بل لله الحجة البالغة ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي والرضى
غير الارادة ويرون الصلاة خلف كل بر وفاجر ولا يشهدون لاحد من اهل
القبلة بجنة لخير اتى به ولا يشهدون عليه بالنار لكبيرة اتى بها ويرون الخلافة
في قريش ليس لاحد منازعتهم فيها ولا يرون الخروج على الولاة وان كانوا ظلمة
ويومنون بالكتب المنزلة والانبياء والمرسلين وانهم افضل البشر وان
محمدا افضلهم من بعدهم وان الله ختم به الانبياء وان افضل البشر من بعده ابو بكر
ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم تمام العشرة ثم الذين شهد لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجنة ثم القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
العلماء العاملون ثم انفعهم للناس • واجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة
واختلفوا في تفضيل الملائكة على المومنين وان بين الملائكة تفاضلا كما بين
المومنين • واجمعوا على ان طلب الحلال فريضة وان الارض لا تخلو من الحلال
لان الله تعالى طالب العباد بطلب الحلال ولم يطالبهم الا بما يمكن الا انه يكثر
في موضع ويقل في موضع فمن كان ظاهره جميلا فلا يتهم في ماله ومكسبه
واجمعوا على ان كمال الايمان الاقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل
بالاركان فمن ترك الاقرار فهو كافر ومن ترك التصديق فهو منافق ومن
ترك العمل فهو فاسق ومن ترك الاتباع فهو مبتدع وان الناس يتفاضلون
في الايمان وان المعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بكلمة الشهادة الا ان يكون له عذر

يثبت

يثبت بالشرع ويرون الاستثناء في الايمان من غير شك بل على سبيل التاكيد والمتابعة
لان الامر مغيب • سئل الحسن البصري اموم انت حقا قال ان اردت ما يحقن
به دمي ويحل به ذبيحتي ومناكحتي فانا مومن حقا وان اردت ما ادخل به الجنان
والنجاة به من النيران ويرضى به الرحمن فانا مومن ان شاء الله وقد استثنى الله
سبحانه وتعالى في كتابه في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وليس هناك
شك • سئل بعضهم عن هذا الاستثناء من الله سبحانه وتعالى فقال اراد بذلك
تاديبا لعباده وتنبيها لهم على ان الحق به استثناء مع كمال علمه فلا يجوز لاحد
الحكم من غير استثناء لقصور علمه ولذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم قوله في اهل
المقابر وانا ان شاء الله عن قريب بكم لاحقون ولم يكن شاكا في الموت
واللحوق بهم • واجمعوا على اباحة الكسب والتجارات والصناعات على سبيل
التعاون على البر والتقوى من غير ان يروا ذلك سببا لاجتلاب الرزق
وان اخر الكسب للموجع السؤال ولا تحل المسألة لغني ولا لذي مرة سوي
فصل واجمعوا على ان الفقراء افضل من الغني اذا كان مقرونا بالرضى وكذلك
اختاره النبي صلى الله عليه وسلم واشار به عليه جبريل بذلك حين عرضت عليه مفاتيح
خزاين الارض على ان لا ينقص له مما عند الله جناح بعوضة واشار اليه
جبريل ان تواضع فقال اريد ان اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت
واذا شبعت حمدتك وذكرتك وبذلك يحتج من يردها يعرض عليه من الدنيا
وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني
في زمرة المساكين فلو سال الله ان يحشر المساكين في زمرته لكان لهم الفخر العميم
والفضل العظيم فكيف وقد سال ان يحشره في زمرة المساكين وامره الله
تعالى بالصبر معهم فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه الاية فان احتج محتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا
خير من اليد السفلى • وقال اليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي السائلة

[illegible]

قيل له اليد العليا تنال الفضيلة باخراج ما فيها واليد السفلى تنال المنقصة
بحصول الشيء فيها وفي تفضيل السخاء والعطاء دليل على فضل الفقر لانه لو كان
ملك الشيء محمودا لكان تركه بالعطاء مذموما ففي فضل السخاء انما فضله للانفاق
والعطاء على الفقر وكان كمن فضل المعصية على الطاعة وانما فضل المعصية
لفضل التوبة وانما فضل التوبة لترك المعاصي المذمومة كذلك فضل الانفاق
انما هو لاخراج المال الملهي عن الله عز وجل فصل الفقر غير التصوف بل
نهايته بدايته وكذلك الزهد غير الفقر وليس الفقر عندهم الفاقة والعدم بل
بل الفقر المحمود الثقة بالله تعالى والرضى بما قسم والصوفي غير الملامتي فان
الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا والصوفي هو الذي لا يشتغل بالخلق
ولا يلتفت الى قولهم ولا الى ردهم • واجمعوا على ترك الاشتغال بالمكاسب والا
والتورع للطاعات اه او افضل لمن ترك الاهتمام بطلب الرزق واتكل على
مضمون الحق المالي يستوي فيه عنده الخلوه والجلوه والمخالطه والعزله
وقال بعضهم ولا تتكلوا بالرزق
ويصير معها هذا القدر في كل حال وقيل لبعضهم
متهمين فتكونوا للرازق متهمين ولضمانه غير واثقين وقيل لبعضهم
من اين تاكل فقال لو كان الرزق من اين لفني وقيل لآخر من اين
تاكل فقال سل من يطعمني من اين يطعمني • واجمعوا على ان افعال
العباد ليست سببا للسعادة ولا الشقاوة لقول النبي صلى الله عليه وسلم السعيد
من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وان الثواب فضله والعقاب
عدله والرضى والسخط نعتان قديمان لا يتغيران بافعال العباد فمن رضي
الله عنه استعمله بعمل اهل الجنة ومن سخط عليه استعمله بعمل اهل النار
ويكون الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء واجبا على كل
احد وان الخوف والرجاء زمامان للعبد يمنعانه عن سوء الادب وكل قلب خلا
منهما فهو خراب وان الامر والنهي واحكام العبودية لازمة للعبد ما دام
عاقلا

عاقلا غير انه اذا صفا قلبه مع الله تعالى تسقط عنه كلفة التكاليف لا نفس
وجوبها وان البشرية لا تزول عن احد ولو ترقى في القوى غير انها تضعف
تارة وتقوى اخرى والحرية من رق النفس جائزة في حق الصديقين
والصفات المذمومة تفنى من العارفين وتخمد في حق المريدين وان العبد
يتنقل في الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانيين فتطوى له الارض ويمشي
على الماء ويغيب عن الابصار وان الحب في الله والبغض في الله من
اوثق عرى الايمان وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من
امكنه • واجمعوا على اثبات كرامات الاولياء وجوزوها في عصر النبي صلى الله
عليه وسلم وفي غير عصره ونبوة الانبياء لم تثبت بالمعجزة ولكن بارسال الله
اياهم والفرق بين المعجزة والكرامة ان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه اظهار
المعجزة والتحدي بها والولي يجب عليه ان يكتم الكرامة الا ان يظهرها الله عليه
وانما يظهر للخلق ما كان عند الله ثابتا • وانكروا المراء في الدين وندبوا
الى الاشتغال بما لهم وعليهم • واجمعوا على اباحة لبس انواع الا
ما حرمت الشريعة لبسه على الرجال وهو ما كان اكثره ابريسم ويرون
الاقتصار على الادون من الثياب والخلقان والمرقعات افضل لقول
النبي صلى الله عليه وسلم ما قل وكفى خير مما كثر والهى ولان من الدنيا الذي
حلالها حساب وحرامها عقاب ولقوله صلى الله عليه وسلم من ترك ثوب جمال
وهو قادر على لبسه كساه الله عز وجل من حلل الجنة الكرامة يوم القيامة
ويختارون لبس المرقعات لمعان منها انها اقل مؤنة واقل عرقا وابقى
على صاحبها واقرب الى التواضع واصبر على الكد وتدفع الحر والقر
ولا مطمع فيها لاهل الشر وتمنع عن الفساد والكبر وروي عن عائشة انها
قالت امرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اطرح ذرعا حتى
ارقعه • وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث ذكره قال رايت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يرقع ثوبه ورايت ابا بكر يتخلل العبا ورايت عمر رضي الله عنه يرقع
جبته برقاع وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان احب الالوان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخضر وثياب اهل الجنة خضر وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير ثيابكم البياض معناه اجمل ثيابكم واليقها بابر
الناس ، واجمعوا على جواز تحسين الصوت بالقران ما لم يخل بالمعنى لقوله
صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء حلية
وحلية القران الصوت الحسن ويكرهون القران بالالحان المقطعة واما القصايد
والاشعار فقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال هو كلام فحسنه
حسن وقبيحه قبيح فالحسن منه ما كان في المواعظ والحكم وذكر الاء الله ونعمائه
ونعت الصالحين وصفة المتقين وما كان من ذكر الاطلال والمنازل والازمان
والامم فسماعه مباح وما كان من هجو وسخف فسماعه حرام وما كان من وصفه
الخدود والقدود والشعور وما يوافق الطباع والنفوس فسماعه مكروه الا
لعالم رباني يميز بين الطبع والشهوة والالهام والوسوسة وقد اقام نفسه بالرياضة
والمجاهدات وخرجت بشريته وفنيت حظوظه وبقيت حقوقه فهو كما قال الله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وعلامة من هذه صفته ان
يستوي عنده المدح والقدح والعطاء والمنع والجفاء والوفاء ، سيل بعض
المشايخ عن السماع فقال مستحب لاهل الحقايق مباح لاهل النسك والورع
مكروه لاهل النفوس والحظوظ ، وسيل الجنيد رحمة الله عليه عنه فقال
كلما يجمع العبد بين يدي الله تعالى فهو مباح واما سماع الصوت الحسن والنغمة
الطيبة فهو حظ الروح وهو مباح لان الصوت الطيب في ذاته محمود وقيل
في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قيل هو الصوت الحسن الطيب
وقال بعضهم ان الصوت الطيب لا يدخل في القلب شيئا ولكنه يحرك ما في
القلب ثم ان اهل السماع يتفاوتون في حال سماعهم فمنهم من يغلب عليه في

حال

حال سماعه الخوف او الحزن او الشوق فيوديه ذلك الى البكا والانين والشهقة
وتمزيق الثياب والغيبة والاضطراب ومنهم من يغلب عليه الرجا والفرح
والاستبشار فيوديه الى الطرب والرقص والتصفيق كما روي عن داود عليه
السلام انه استقبل السكينة بالرقص وروي عن علي رضي الله عنه انه قال
اتينا النبي صلى الله عليه وسلم انا وزيد وجعفر فقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي
فحجل فرحا لقوله وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وقال لي انت مني وانا
منك فحجلت قال ابو عبيدة رضي الله عنه الحجل ان يرفع رجلا ويقفز على الاخرى
وقد يكون ذلك بالرجلين جميعا الا انه قفز وليس بمشي وقد يحدث للمستمع في
حال سماعه شوق الى ما يذكر فيثب من مكانه فعل من يريد الذهاب
الى محبوبه فاذا علم انه لا سبيل اليه كرر الوثوب مرارا ويدور دورانا
متتابعا وقد يكون ذلك على تردد يظهر في حال السماع بين الجسد والروح وذلك
لان الجسد سفلاني خلق من التراب والروح روحانية علوية خلقت من النور
فالروح تعلو الى فوق لانه عالمها والجسد سفلاني خلق من التراب ينزل الى
محله الى ان يقع السكون وقد يكون ذلك منهم على سبيل الفرح والتنفس والتطايب
في حال وليس يخطو لها انه ليس من صفات المحققين وحكي عن ابي عبد الله
احمد بن عطا الروذباري رحمه الله قال شرط الصادق في السماع ثلاثة العلم بالله والوفاء
بما هو عليه وجمع الهمة والمكان الذي يجمع فيه يحتاج الى طيب الروايح وحضور
الوقار وعدم الاضداد ورؤية من يتلهى ومن يتشبه ، ويسمع على ثلاث معان على
المحبة والخوف والرجا ، والحركة في السماع على ثلاثة انواع الطرب والوجد والخوف ،
فالطرب له ثلاث علامات الرقص والتصفيق والفرح ، والوجد له ثلاث علامات
الغيبة والاصطلام والصرخات ، والخوف له ثلاث علامات البكا واللطم والزفرات ،
فصل واما فروع الدين واحكامه فقد اجمعوا على وجوب تعلم ما لا يسع جهله
من احكام الشريعة وما يحل وما يحرم ليكون العمل موافقا للعلم فقد قيل

اذا تجرد العلم عن العمل كان عقيمًا واذا خلا العمل من العلم كان سقيمًا وقال صلى
الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم واختار وامثل المذاهب مذهب السلف
وهو مذهب فقها اصحاب الحديث ولا ينكرون الاختلاف بين العلماء في الفروع لقوله
صلى الله عليه وسلم اختلاف العلما رحمة وسيل بعضهم عن العلما الذين اختلافهم
رحمة من هم فقال هم المعتصمون بكتاب الله تعالى المجاهدون في متابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتدون بالصحابة وهم ثلاثة اصناف اصحاب الحديث
والفقها وعلما الصوفية فاما اصحاب الحديث فانهم نظروا حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو اساس الدين لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا واشتغلوا بسماعه ونقله وتدبره وتدوينه وتمييز صحيحه من
سقيمه وهم حراس الدين واما الفقها فانهم فضلوا على اصحاب الحديث بعد
قبول علمهم بما خصوا به من الفهم والاستنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق
النظر في ترتيب الاحكام وحدود الدين والتمييز بين الناسخ والمنسوخ والمطلق
والمقيد والمجمل والمفسر والخاص والعام والمحكم والمتشابه فهم حكام الدين
واعلامه واما الصوفية فاتفقوا مع الطايفتين في معانيهم ورسومهم
اذا كان ذلك مجانبًا لاتباع الهوى ومنوطًا بالاقتداء فمن لم يحط من الصوفية
علمًا بما احاطوا به يرجعون فيه اليهم في احكام الشرع وحدود الدين فاذا
اجمعوا تبعهم على اجماعهم واذا اختلفوا اخذ الصوفية بالاحسن والاولى
وليس من مذهبهم طلب التاويلات وركوب الشهوات ثم انهم خصوا بعد
ذلك بعلوم عالية واحوال شريفة وتكلموا في علوم المعاملات وعيوب
الحركات والسكنات وشريف المقامات وذلك مثل الزهد والورع والتوبة
والصبر والرضا والتوكل والمحبة والخوف والرجا والمشاهدة والطمانينة
واليقين والقناعة والصدق والاخلاص والندم والحيا والجمع والتفرقة
والفنا والبقا ومعرفة النفس ومجاهدتها ورياضتها ودقايق الريا

والشهوة

والشهوة الخفية والشرك الخفي وكيفية الخلاص منها ولهم ايضا مستنبطات
من علوم مشكلة على الفقها وذلك مثل العوارض والعوايق وحقايق
الاذكار وتجريد التوحيد ومنازل التفريد وخبايا البشر وتلاشي
الحدث اذا قوبل بالقديم وعيوب الاحوال وجمع المفترقات والاعراض
عن الاغراض وترك الاعتراض فهم مخصوصون بالوقوف على المشكل من
ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج حتى طالبوا من ادعى حالا
منها بدلايله وتكلموا في صحيحها وسقيمها فهم حماة الدين واعيانه ثم
ان كل من اشكل عليه علم من العلوم الثلاثة فعليه ان يرجع فيه
الى ايمتهم فمن اشكل عليه شي من علوم الحديث ومعرفة
الرجال يرجع فيه الى ايمة الفقها ومن اشكل عليه شي من علوم
الاحوال والرياضات ودقايق الورع ومقامات المتوكلين يرجع فيه
الى ايمة الصوفية لا الى غيرهم فمن فعل غير ذلك فقد اخطا

فصل في ذكر اقاويلهم في التصوف واداتهم به اختلف في اجوبة
المشايخ في التصوف لاختلاف الاحوال فكل اجاب عن حسب
حاله او على قدر ما يحتمل حال السايل فان كان مريدًا اجيب في ظاهر
المذهب من حيث المعاملات وان كان متوسطًا اجيب من حيث
الاحوال وان كان عارفًا اجيب من حيث الحقيقة واظهر ما قال
بعضهم ان اول التصوف علم واوسطه عمل واخره موهبة
فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة
تبلغ غاية الامل واهله على ثلاث طبقات مريد طالب
ومتوسط صاحب حال سائر ومنتهي واصل فالمريد صاحب وقت
والمتوسط صاحب حال والمنتهي صاحب نفس وافضل الاشيا
عندهم عد الانفاس فالمريد متعوب في طلب المراد والمتوسط

بلغ

مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه لا يرتقي من حال الى حال
وهو في الزيادة والمنتهي الواصل محول قد جاوز المقامات وهو
في محل التمكين لا تغيره الاحوال ولا تؤثر فيه الاهوال كما قيل عن النبي
لما كانت صاحبة تمكين في شان يوسف عليه السلام لم يؤثر فيها رؤية
يوسف كما اثرت في اللاتي قطعن ايديهن وان كانت هي اتم في محبة
منهن فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات ومجانبة
الحظوظ وما للنفس فيه متعة ومقام المتوسط ركوب الاهوال
في طلب المراد ومراعات الصدق في الاحوال واستعمال الادب في المقامات
ومقام المنتهي في الصحو والتمكين واجابة الحق من حيث دعاه قد استوى
في حالة الشدة والرخا والمنع والعطاء والجفاء والوفاء اكله كجوعه
ونومه كسهره وقد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه ظاهره مع الخلق وباطنه
مع الحق وكل ذلك منقول من احوال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واوليائه
كان متخليا في غار حرا ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة
والجلوة وكذلك اصحاب الصفة صاروا في حالة التمكين امرا ووزرا

فصل في ذكر احكام المذهب

فان المخالطة لا تؤثر فيهم ثم ان للمذهب
ظاهرا وباطنا فظاهره استعمال الادب مع الخلق وباطنه منازلة الاحوال
والمقامات مع الحق الا ترى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نظر الى
المصلي وهو يعبث في صلاته قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
ولما قال الجنيد لابي حفص الحداد رحمة الله عليهما ادبت اصحابك
السلاطين قال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب ترجمان العقل
ومراعات الادب فيما بينهم مقدم على غيره الا ترى كيف مدح الله تعالى
اهله وشرف محلهم بقوله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول

أبيد

الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقال ابو عبد الله
ابن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقيل التصوف
كله ادب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم الادب بلغ مبلغ
الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث
يرجو القبول وقيل من حرم الادب فقد حرم جميع الخيرات وقيل من لم
يتادب للوقت فوقته مقت وقيل ادب النفس ان تعرفه خيرها وتحثها عليه
وتعرفها الشر وتوجها عنه وقيل الادب سند الفقرا وزين الاغنيا
والناس في الادب على ثلاث طبقات اهل الدنيا واهل الدين واهل الخصوصية
من اهل الدين فاما اهل الدنيا فاكثر ادابهم فيها الفصاحة
والبلاغة وحفظ العلوم واخبار الملوك واشعار العرب واما اهل
الدين فاكثر ادابهم مع العلوم ورياضة النفوس وتاديب الجوارح
وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات
والمسارعة الى الخيرات واما اهل الخصوصية من اهل الدين فادابهم
حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستوا السر والعلانية والمريدون
يتفاضلون بالعلم والمتوسطون بالادب والعارفون بالهمة
وقيل الهمة ما يبعثك من نفسك على طلب المعالي ودقيقة كل امر همته
سيل ابو بكر الواسطي عن مالك ابن دينار وداود الطاي ومحمد
بن واسع وامثالهم من العباد فقال القوم ما خرجوا من نفوسهم الا
الى نفوسهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي فاين خالق الفنا
والبقا وسيل الجنيد عن قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا
فقال تمنعهم همهم عن رفع حوايجهم الا الى مولاهم وقال الحصري
في حكاية اذا زفرت جهنم زفرة قال كل يقول نفسي نفسي الا جل
والا النبي محمد صلى الله عليه وسلم فانه يرجع الي حدا الشفاعة فيقول

امي ابي فلا ينبغي لاحد نفس بلا علة فيفعل ربي ذي ليعلم ان الحوادث
لا تخلوا من العلل **فصل** واجل اخلاقهم سئلت عايشة عن خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران قال الله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم باحبكم الى الله تعالى واقربكم مني مجلسا يوم القيامة قالوا
بلى يا رسول الله قال احسنكم اخلاقا الموطون اكنافا الذين يالفون
ويولفون وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق شوم وشراركم اسواكم اخلاقا
وقال ابو بكر الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف
ومن اخلاقهم الحلم والتواضع والنصيحة والشفقة والاحتمال والموافقة والاحسان
والمداراة والايثار والخدمة والالفة والبشاشة والكرم والفتوة وبذل الجاه
والمروة والمودة والجود والتودد والعفو والصفح والسخا والوفا والحيا
والتلطف والبشر والطلاقة والسكينة والوقار والثنا وحسن الظن وتصغير
النفس وتوقير الاخوان وتبجيل المشايخ والترحم على الصغير والكبير
واستصغار ما منه واستعظام ما اليه وسيل سهل بن عبد الله عن
حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم
والدعا له وهذه اخلاق المتصوفين لا ما قاله وارتكبه المشبهون
فانهم سموا الطمع زيادة وسوء الادب اخلاصا والخروج عن الحق
والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع الى
الدنيا وصولا وسوء الخلق صولة والبخل مكادة وبذاذة
اللسان ملامة وما كان هذا طريقا للقوم حكى عن ابي يزيد
البسطامي رحمه الله انه قال لبعض اصحابه قوموا بنا الى هذا
الذي شهر نفسه بالزهد فقصده فوجده وقد خارجا من داره الى
المسجد فنظر ابو يزيد اليه وقد رمى نخامة الى جانب القبلة فقال

وأحسن ما قيل في تفسير الخلق ما قال الشيخ الامام ابو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي الخلق هو الاعراض عن الاعتراض

لاصحابه



لاصحابه هذا ليس بمامون على ادب من اداب الشريعة فكيف يكون
مامونا على ما يدعيه من مقامات الاوليا فلم يرجع ولم يسلم عليه **فصل**
اما المقامات فانها مقام العبد بين يدي الله تعالى في عبادته
قال الله تبارك وتعالى وما منا الا له مقام معلوم فاولها الانتباه
وهو خروج العبد من حد الغفلة ثم التوبة وهي الرجوع الى الله تعالى
من بعد الذهاب مع دوام الندامة وكثرة الاستغفار ثم الانابة
وهي الرجوع من الغفلة الى الذكر وقيل التوبة الرهبة والانابة
والرغبة وقيل التوبة في الظاهر والانابة في الباطن ثم
الورع وهو ترك ما اشتبه عليه ثم محاسبة النفس وهو تفقد زياداتها
من نقصانها وما لها وعليها ثم الارادة وهي استدامة الكد وترك
الراحة ثم الزهد وهو ترك الحلال من الدنيا والعروض عنها وعن
شهواتها ثم الفقر وهو عدم الاملاك وتخلية القلب مما خلت منه
عنه اليد ثم الصدق وهو استوا السر والاعلان ثم التصبر وهو حمل
النفس على المكاره وتجرع المرارات وهو اخر مقامات المريدين
ثم الصبر وهو ترك الشكوى ثم الرضى وهو التلذذ بالبلوى ثم
الاخلاص وهو اخراج الخلق من معاملة الحق ثم التوكل على الله وهو
الاعتماد عليه بازالة الطمع عما سواه **فصل** واما الاحوال
فانها معاملات القلوب وهو ما يحل بها من صفاء الاذكار قال
الجنيد الحال نازلة تنزل بالقلب ولا تدوم فمن ذلك المراقبة
وهو النظر بصفاء اليقين الى المغيبات ثم القرب وهو جمع الهم
بين يدي الله تعالى بالغيبة عما سواه ثم المحبة وهي موافقة المحبوب
في محبوبه ومكروهه ثم الرجا وهو تصديق الحق فيما وعد ثم
الخوف وهو مطالعة القلوب بسطوات الله تعالى ونقماته

دمه

ثم الحيا وهو حفظ القلب عن الانبساط وذلك لان القرب يقتضي هذه الاحوال فمنهم من ينظر في حال قربه الى عظمة الله وهيبته فيغلب عليه الخوف والحيا ومنهم من ينظر الى لطف الله تعالى وقديم احسانه فيغلب على قلبه المحبة والرجا ثم الشوق وهو هيمان القلب عند ذكر المحبوب ثم الطمانينة وهي السكون تحت مجاري الاقدار ثم اليقين وهو التصديق مع ارتفاع الشك ثم المشاهدة وهي فضل بين روية اليقين وروية العيان لقوله صلى الله عليه وسلم أعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهو اخر الاحوال ثم يكون فواتح ولوائح ومنايح تجفوا العبادة عنها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

فصل في ذكر اختلاف المسالك

والمقصود واحد والمقاصد مختلفة لاختلاف حال القاصدين ومقامات السالكين فمنهم من سلك طريق العبادة ولازم المساجد واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الاوراد ومنهم من سلك طريق الرياضات والمجاهدات وقتل النفس في المخالفات ومنهم من سلك طريق الخلوة والعزلة طلبا للسلامة من المخالطة ومنهم من سلك طريق السياحة والاسفار والاغتراب عن البلدان وخمول الذكر ومنهم من سلك طريق الخدمة وبذل الجاه للاخوان وادخال السرور عليهم ومنهم من سلك طريق المجاهدة والاهوال ومباشرة الاحوال ومنهم من سلك طريق العجز والانكسار كما قال الله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ومنهم من سلك طريق التعلم والمسايلة ومجالسة العلما وسماع الاخبار وحفظ العلوم وكل طريق يحتاج فيها الى موقف ودليل ياخذ به وفيه ليسلم من الحيرة والفتنة ﻫ قيل لبعضهم ان فلانا قد رجع فقال ما اراه رجع الا لوحشة الطريق من قلة سالكيها

فصل في ذكر قولهم في فضل العلم

قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط بدا بنفسه وثنى بملايكته وثلث باهل العلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء

ورثة

ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وقال صلى الله عليه وسلم الناس رجلان عالم ومتعلم وسايرهم همج وقيل العلم روح والعمل جسد وقيل العلم اصل والعمل فرع وقد فضل الجمهور من مشايخنا العلم على المعرفة والعقل لان الله تعالى يوصف بالعلم لان العلم حاكم على العقل ولا حاكم للعقل على العلم وقيل كما لا ينفع العلم الا بالعقل كذلك العقل لا ينفع الا بالعلم وقيل لبعض الحكماء متى يكون الادب اضر قال اذا كان العقل انقص وقيل الادب صورة عقلك فحسن عقلك كيف شيت ﻫ ومن فضل العلم ان الهدهد مع قلة خطره اجاب سليمان عليه السلام مع علو قدره ونبوته بصولة العلم وقوته فقال احطت بما لم تحط به مع قلة الاكتراث بتهديده ووعيده ۝

فصل في ذكر ادابهم في محاوراتهم

وهو ان يقصد بكلامه النصح والارشاد وطلب النجاة ومما يعود نفعه على الكل ولا يكلم الناس الا على قدر عقولهم قال النبي صلى الله عليه وسلم امرنا معاشر الانبيا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ولا يتكلم في مسيلة لم يسال عنها واذا سيل اجاب على قدر السايل قيل حكي عن الجنيد رحمة الله عليه انه قيل له يسالك السايل عن مسيلة فتجيبه ثم يسالك اخر عن تلك المسالة فتجيبه بجواب اخر قال على قدر السايل يكون الجواب ﻫ واذا سال لا يسال الا عن مقامه ولا يتكلف ما لا يبلغه علمه ولا يتكلم فيما لا يبلغه استعماله وقد قيل يجوز ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه الى من هو افقه منه ولا يبذل العلم الا لاهله وقيل ابذل العلم لاهله ولغير اهله فالعلم امنع جانبا من ان يصل الى غير اهله ولا يتكلم بين يدي من هو اعلم منه سيل ابن المبارك عن مسيلة بحضور سفيان الثوري فقال انا لا اتكلم عند الاستاذين وقال بعضهم لا يحسن هذا العلم الا لمن يعبر عن وجده وينطق عن فعله وقيل من لم ينتفع بسكوته لم ينتفع بكلامه ومن الادب ان لا يتكلم في العلم قبل

أوانه فتتولد عنده آفات تقطعه عن الفوائد وتجذبه الى طلب الجاه والمنزلة
عند الناس وحطام الدنيا فيكون ممن لم ينفعه الله بعلمه وقد استعاذ النبي
صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع
وقال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليماري به العلماء او يجاري به السفهاء او
ليصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ويجتهد في استعمال
ما سمعه وتعلمه فقد قيل كل من سمع شيئا من علوم القوم فعمل به صار ذلك
حكمة في قلبه وينتفع به السامعون له وكل من سمع ولم يعمل به كان ذلك
حكاية يحفظها اياما ثم ينساها وقيل الكلام اذا خرج من القلب وقع في القلب
واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان حكي ان الشبلي رحمة الله عليه قال
للجنيد رضي الله عنه كم تنادي على الله تعالى بين يدي العامة فقال انا انادي
على العامة بين يدي الله تعالى فقال قوم افنوا اسرارهم بالحظوظ وابصارهم
بالحظوظ انى لهم الى ذكر الله سبيل وسأل ابو بكر الشبلي الجنيد مسألة فقال
له بيني وبين اكابر الناس عشرة آلاف مقام اولها محو ما بدأت به فصل
واما الشطحات المحكيات عن ابي يزيد وغيره فذلك عند غلبة الحال وقوة
السكر وغليان الوجد فلا قبول لها ولا رد قال سهل بن عبد الله العلوم ثلاثة
علم من الله وعلم ظاهر الامر والنهي والاحكام والحدود وعلم من الله وهو
علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق وعلم بالله وهو علم بصفاته ونعوته مستنبط
وقيل علم الظاهر علم الطريق وعلم الباطن علم المنزل وقيل علم الباطن
من علم الظاهر وكل باطن لا يقيمه ظاهر فهو باطل وقيل من سمع باذنه
حكاه بلسانه ومن سمع بقلبه وعظ ومن عمل بما سمع اهتدى وهدى وقيل
العلم يهتف بالعمل ان لم يجبه ارتحل وقيل الادراك الشيء على ما هو به والعقل
بصيرة وقوة في القلب منزلته من القلب منزلة البصر من العين يفرق بها بين
وبين الحق والباطل والحسن والقبيح وقيل العالم يقتدى به والعارف

يهتدى به

يهتدى به وقيل العلم ما شاهدته خبرا والمعرفة ما شاهدته حسا وقيل الورع
لا يخدع والعاقل لا ينخدع وقيل العقل ما يباعدك من مراتع الهلكات
وقيل اصل العقل الصمت وباطنه كتمان الاسرار وظاهره الاقتداء
بالسنة وقيل اذا غلب الهوى توارى العقل وقيل اذا اردت ان تعرف
العاقل من الاحمق فجربه بالمحال فان قبل فاعلم انه احمق وقيل من
احتجب الى شيء من علومه فلا تنظر الى عيوبه فان نظرت في عيوبه حرمت
بركة الانتفاع بعلومه فصل في ذكر ادابهم في حال البداية اول ما يلزم
المريد عند الانتباه من غفلته ان يقصد الى الشيخ من اهل زمانه مؤتمن
على دينه معروف بالنصح والامانة عارف بالطريق فيسلم نفسه لخدمته
ويعتقد ترك مخالفته ويكون الصدق حالته ثم يلزم الشيخ ان يعرفه كيفية
الرجوع الى سيره ويدله على الطريق ويسهل عليه سلوكها ويعلمه شرائع
الاسلام ما له وعليه الاشياء به تصفية المطعم والمشرب والملبس لان بذلك
يجد الزيادة في حاله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد
الفريضة وقال بعضهم طلب الحلال فريضة على الكل وترك الحلال فريضة على
هذه الطائفة الا حد الضرورة ثم قضاء ما ضيع من الفرائض ثم رد المظالم
على اهلها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رد دانق من حرام يعدل عند
الله تعالى سبعين حجة وما كان عليه من ضرب وقطع وجرح فالقصاص
وما كان من غيبة ونميمة او شتيمة فالاستحلال والاستغفار لصاحبها
ثم معرفة النفس وتأديبها بالرياضات ولها صفتان انهماك في الشهوات
وامتناع عن الطاعات فيروضها بالمجاهدات وفطم النفس عن
مألوفها وحملها على خلاف هواها ومنعها من الشهوات ويأخذها
بالمكابدات وتجرع المرارات وبكثرة الاوراد واستدامة الصوم والنوافل
من الصلوات مع الندم على المخالفات ونقلها عن قبيح العادات ويجتهد

ان يتعوض عن النوم سهرًا وعن الشبع جوعًا وعن الرفاهة بوسًا فيكون حينئذ من
حملة التائبين المختصين بمحبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب التوابين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاب التائب حبيب الله والشيخ التائب عتيق
الله ويكون من الذين يبدلوا الله سياتهم حسنات روى ابو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيات قيل
من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سياتهم حسنات ويكون من جملة
المختصين بدعوة حملة العرش لقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الى قوله وذلك هو الفوز العظيم فلقد
عظم الله تعالى اقدارهم اذ جعل حملت العرش داعين لهم لمثل هذا فليعمل العاملون
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والتوبة فرض على جميع المسلمين لقوله
تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون قال بعض المشايخ غفلتك عن التوبة لذنب ارتكبته اشر
من ارتكابه ومن اخترمته المنية قبل التوبة فامره الى الله وان ربك لذوا
مغفرة للناس على ظلمهم الاية ووقتها باق ما لم تبلغ الروح الحلقوم او ياتي
غلق باب التوبة فحينئذ لا تنفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرًا ثم يلازم الورع في جميع احواله ويعلم ان الله محاسبه على
الاستقصاء قال الله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى
بنا حاسبين فاذا صح له مقام التوبة والورع وشرع في مقام الزهد فقد
آن له لبس المرقعة ان رغب فيها فليراع ما يلزمه في لبسها لئلا يصير هجينا
ويخرج بها حاجا فقد وهت هذه القاعدة وارتفع التمييز واختل النظام
ووقع الدخل من جنبة الاتباع بالارفاق ومن جنبة المتبوعين بالاتباع
ومن ذلك ينتشر الفساد ويظهر العناد فمن لبس المرقعة يجب ان يكون قد
ادب

ادب نفسه بالاداب وراضها بالمجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات
ويكون قد جاوز المقامات وتادب بالمشايخ الذين يصلحون للاقتداء او صحب
اوصحب رجال الصدق وعرف احكام الدين وحدوده واصول المذهب وفروعه
ومن لم يكن بهذه الصفة فحرام عليه التصدي للمشيخة والارادة وقيل من لم يتادب
برؤية عيوب افعاله ورعونات نفسه والعمل في ازالتها بجهله لم يجز الاقتداء
به ثم ياخذ نفسه بالمجاهدات ويتفقد زياداتها من نقصانها وما لها وما عليها
ويعرض حاله على شيخه فيما يعرض له وعليه في كل وقت فقد قيل المريد
من لم يكشف ما به الى طبيب حكى عن الشيخ محمد بن سلمة رحمه الله قال
كل مريد لا يصح له في اليوم والليلة كذا وكذا مسئلة فانه ما سلك الطريق وحكى
ان جماعة من المريدين حضروا عند الشبلي رحمة الله عليه فوجدهم غفلة
لا يذكرون مسئلة فانشد وهو يقول شعر
لقد حزنا بالوالد الصب ان يرى منازل من يهوى معطلة قفرا
ثم طالب نفسه بمنازل المقامات على ترتيبها ولا ينتقل من مقام الا بعد
تصحيح ادابه ولا يشتغل بالزهد الا بعد الفراغ من الورع وما اشبه ذلك
الى ان تصير المعاملات الى القلوب وقال بعضهم العمل بحركات القلوب اشرف
من العمل بحركات الجوارح وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر
بايمان اهل الارض لرجح وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فاق ابو بكر بكثرة
الصلاة والصيام ولكن بشيء وقر في قلبه ولهذا ظهر من حاله بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر من حال غيره حين صعد المنبر فحمد
الله تعالى ثم اثنى عليه ثم قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل الاية وقاتل اهل الردة حتى حفظ الاسلام
وقال بعض المشايخ اذا صارت المعاملات الى القلوب استراحت الجوارح

[illegible]

فحينئذٍ يشتغل بعمارة الباطن ومباشرة الأحوال ومراعاة الأسرار وعدّ الأنفاس
كما قيل عبادة الفقير نفي الخواطر وليحذر كل الحذر أن يفسد ديانته بقول
المثنين ومدح المادحين بل يرجع إلى ما يعرف من نفسه كما قيل ليس كما للألفاظ
لمثل هذه الألفاظ ويعوّد نفسه صيام النهار وقيام الليل وخدمة الإخوان قال
الجنيد رحمه الله تعالى كل مريد لا يعوّد نفسه صيام النهار وقيام الليل فكأنه يمنّي
ما لا يصلح له ثم يراعي أوقاته في ضروب الخير فإن الوقت إذا فات لا يتدارك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للعاقل أن يكون شاخصًا إلا في ثلاث مرمّة لمعاش
أو تزوّد لمعاد ولذة في غير محرّم وقال علي عليه السلام ينبغي للمؤمن أن يكون
له أربع ساعات من النهار يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يأتي
فيها العلماء الذين يبصّرونه بأمر الله تعالى وينصحونه وساعة يتخلى بين نفسه ولذاتها
فيما يحل ويجمل قال الجريري دخلت على الجنيد وهو مهتمّ فقلت له ما لك
فقال فاتني شيء من وردي فقلت له أعده قال كيف وبأي أوقات تعدوه وقال
بعضهم من سبق بخطوة لا يدرك إذا كان صادقًا والمريد يجب أن لا يخلو
ظاهره من الأوراد وباطنه من الإرادات إلى أن ترد عليه الواردات فحينئذٍ يكون
مع الواردات لا مع الأوراد ولا مع الإرادات ورأى بعضهم سبحة في يد مريد
فقال ما تعمل بها قال أعد التسبيحات فقال عليك بعد السيئات لا بعد
التسبيحات وينبغي أن يغتنم خدمة الإخوان ويقدمها على النوافل فقد روي
عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فارغًا
في أهله إما أن يخصف نعلًا لمسكين أو يخيط لأرملة وحكي عن أبي عمرو
الزجاجي أنه قال أقمت عند الجنيد مدة مديدة فما رآني قط إلا وأنا مشتغل
بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يومًا من الأيام خلا الموضع من الجماعة فقمت
ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة
فرجع الشيخ ورأى عليّ أثر الغبار فدعا لي ورحب بي ودعا لي فقال لي أحسنت

عليك

عليك بها عليك بها ثلاثًا ويكره للمريد مفارقة أستاذه قبل انفتاح عين قلبه بل عليه أن يصبر تحت أمره ونهيه في خدمته قال بعض المشايخ من لم يتأدب بأوامر الشيوخ وتأديبهم فلا يتأدب بكتاب ولا سنة وقيل علامة المريد السمع والطاعة للدليل والتصبّر عند الطبيب وقال بعض المشايخ إذا رأيت المريد قائمًا مع الشهوات طالبًا لحظوظ النفس فاعلم أنه كذاب وإذا رأيت المتوسط غافلًا عن حفظ قلبه ومراعاة أحواله فاعلم أنه كذاب وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة يميز بين المدح والذم والقبول والرد فاعلم أنه كذاب وقال الجنيد لولا العلامات لادّعى كل إنسان سلوك الطريقة ذلك قال الله تعالى فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ويجب أن يعلم أنه لا يصح له حاله ولا استقامة ولا عبادة إلا بالإخلاص وهو تصفيتها عن رؤية الخلق فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملًا أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه ومن عمله وقال بعضهم كل حق شاركه الباطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل فإن الحق غيور ولا بأس بما يظهر من أحواله وعباداته من غير قصد لأن في إظهاره والنصح له للإخلاص إلا بمعرفة مقادير الخلق وضعفهم وقلة نفعهم وضررهم كما وصفهم الخليل لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يجد أحدكم حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال صلى الله عليه وسلم إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله تعالى لا يجرّه حرص حريص ولا يدفعه كراهة كاره وقال وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله

فصل

ويجتهد في مراعاة نفسه ومعرفة أخلاقه فيها فإنها الأمارة بالسوء ولا يغفل عنها وإن تناهى في المعرفة فإن النبي صلى

الله عليه وسلم كان مراعيا لها ومتعيذا بالله من شرها وكان علي بن ابي طالب عليه السلام
يقول ما انا ونفسي الا كراعي غنم كلما جمعها من جانب انتشرت من جانب وقال
ابو بكر الوراق النفس مرائية على جميع الاحوال منافقة في اكثر الاحوال
مشركة في بعض الاحوال وقال الواسطي النفس صنم والنظر اليها شرك ٥
والنظر فيها عبادة وقيل مثلها في ابداء الحسن واخفاء القبيح
مثل الجمرة لونها حسن وانها لتحرق ان عوفيت سوفت التوبة وتمنت
الاوبة وان عوقبت ركبت هواها واعرضت قال الله تعالى واذا
انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض وقيل مثل النفس مثل ماء
صاف واقف ان حركته تبين ما تحته من الحمأة والنتن
ونفسك لو انها طلبت ان تكون لله ضدا
في دعواها وندا في مطالبتها وذلك ان الله تعالى طالب عباده
بالثناء عليه والمدح له وطلبت النفس ذلك ٥
وطالب الله العباد ان لا يخالفوا امره ونهيه وطلبت
النفس ذلك وطالبهم ان يصفوه بالسخاء والكرم
وطلبت النفس ذلك وطالبهم ان يكون
هو المرغوب اليه والمرهوب منه وطلبت النفس ذلك
وقيل النفس لطيفة مودعة في هذا
القالب وهي محل الاخلاق المذمومة والروح
لطيفة مودعة في هذا القالب وهي محل
الصفات المحمودة كما ان البصر محل
الرؤية والاذن محل السمع والانف محل الشم وقيل
الروح معدن الخير والنفس معدن الشر

والعقل

والعقل جيش الروح والهوى جيش النفس والتوفيق من الله تعالى مدد
الروح والخذلان مدد النفس والقلب في اغلب الجيشين ويعلم ان جملة
الامور ثلاثة امر بان رشده فيجب متابعته وامر بان غيه فيجب
مجانبته وامر متشابه فيجب متاركته الى ان يتبين الرشد من الغي
من جهة العلم او من جهة العقل وقيل اذا عرض لك امران شككت
في خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فانه خيرهما وعلى المريد ان يجتهد
في تبديل اخلاق النفس كالكبر والغل والحرص والامل والحسد والمراء
والمنازعة والغيبة والتحريش وهو الافساد بين القوم وسوء الظن ٥
والوقاحة وغيرها من الاخلاق الذميمة بضدها من الاخلاق الحميدة
وبالله التوفيق فصل في ذكر ادابهم في صحبة بعضهم بعضا

قيل
• وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده •
• وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يخالط الناس
ويصبر على اذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على
اذاهم وفي الكل خير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف وسئل ابو حفص النيسابوري عن احكام
الفقر واداب الفقراء في الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ وحسن
العشرة مع الاخوان والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس من طبقتهم
وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في امر الدنيا والدين
فصل ومن ادابهم ان يصحب الجنس ومن يستفيد منه خيرا
وقال بعضهم اولى الناس بالصحبة من يوافقك في اعتقادك ونحلته

في مخالفته قال الله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا يصحب من يخالفه في
مذهبه وان كان قريبًا منه الا ترى نوحًا عليه السلام لما قال ان ابني من اهلي
كيف اجيب انه ليس من اهلك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزل
قوله تعالى لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدًا فيحبه قلبي بل يصحب من يثق بدينه وامانته
ومذهبه وورعه في ظاهره وباطنه ومن ادابهم القيام بخدمة الاخوان ٥
والاصحاب ورفع المؤن عنهم واحتمال اذاهم وترك الانكار عليهم الا فيما يخالف
الشرع ويعرف لكل واحدٍ قدره على مراتبهم قال سفيان بن عيينة من جهل
اقدار الرجال فهو بقدر نفسه اجهل وقال لا يستخف باقدار الرجال الا من
لا قدر له ويهدي الى صاحبه عيوبه ويدله على ما فيه صلاحه وجماله وقال النبي صلى
الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن وقال عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ اهدى
الي عيوبي ومن ادابهم ان يصحب كل احد على قدر حاله وما يليق به فالصحبة
مع المشايخ والكبراء بالاحترام والخدمة والتوقير والقيام باشغالهم والصحبة
مع الاقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والاحسان والكون
معهم على حكم الوقت حكي ان ابا العباس بن عطاء مد رجله بين يدي
اصحابه فقال ترك الادب بين يدي اهل الادب ادب وقال الجنيد اذا صحت
المودة سقطت شروط الادب وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو
بكر وعمر رضي الله عنهما وهو متكئ قد بدت فخذه فدخل عثمان رضي الله عنه عليه
فغطى جسمه وسوى ثيابه وجلس فسئل عن ذلك فقال الا استحي ممن تستحي
منه الملائكة فحشمة عثمان وان عظمت فالحالة التي بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبينهما اصفى ٥ ولا يداهنهم فيما يخالف المذهب فقد قال
رويم لا زالت الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا ويخضع عند
الحق ويقابله بالقبول روي ان عمر رضي الله عنه امر بقلع ميزاب كان في

دار العباس بن عبد المطلب الى الطريق بين الصفا والمروه فقال له العباس قلعت
ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اذا لا يرده غير يدك ولا يكون لك
سلم غير عاتق عمر فاقامه على عاتقه ورده الى موضعه والصحبة مع الاصاغر
بالشفقة والارشاد والتاديب والحمل على ما يوجبه حكم المذهب ويدلهم على
ما فيه صلاحهم لا على ما فيه مرادهم وعلى ما يفيدهم لا على ما يحبونه وزجرهم
عما لا يعنيهم لان الله تعالى ذم الربانيين والاحبار على قولهم الاثم
واكلهم السحت الاية والصحبة مع الاستاذ باتباع امره ونهيه ولهم من
حيث الحقيقة خدمة لا صحبة قيل لابي منصور المغربي كم صحبت ابا عثمان
قال خدمته لا صحبته ٥ والقيام بخدمة استاذه واجب والصبر تحت حكمه ٥
وترك مخالفته ظاهرًا او باطنًا وقبول قوله والرجوع اليه في جميع ما يعرض له ٥
والتعظيم لحرمته ومجانبة الانكار عليه سرًا وجهرًا قال الله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية ٥ وقيل الشيخ في قومه كالنبي في امته
سأل بعض اصحاب الجنيد مسألة فاجاب الجنيد فعارضه في ذلك فقال
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون ٥ ويكون في صحبته كالصحابة مع النبي صلى الله عليه
وسلم في تأدبهم باداب القرآن قال الله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
وقال الله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا وقال بعض المشايخ من لم يعظم
حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الادب وقيل من قال لاستاذه لم لا يفلح
ابدًا والصحبة مع خادمه بالتلطف والدعاء لهم وترك الانكار عليه فيما يبدو
منه قال انس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما لامني ولا وبخني ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله
لم لا فعلته وربما كان يمزح معي فيقول يا ذا الاذنين ٥ والصحبة مع الغرباء
بالبشاشة والبشر وطلاقة الوجه وحسن الادب ورؤية فضلهم حيث ٥

اكرموه وخصوه من بين اقرانه بالنزول عليه والالمام به ثم يبذل المجهود في
خدمتهم والقيام بهم والسكون عند مرادهم والصبر على احكامهم وقد مدح الله
تعالى الذين يحبون من هاجر اليهم فقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الاية وقال تعالى والذين اووا ونصروا
وقال تعالى اولئك بعضهم اولياء بعض والصحبة مع الجهال بجميل الصبر وحسن
الخلق والمداراة والاحتمال والنظر اليهم بعين الرحمة ورؤية نعمة الله تعالى
عليه حيث لم يجعله مثلهم وان واجهوه بما يكره يحلم عنهم ولا يجيبهم بالكثير
ما اجاب به الانبياء قومهم حين نسبوا الى الضلالة والسفاهة والجهالة
يا قوم ليس بي سفاهة ولا ضلالة ولكني رسول من رب العالمين واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ومن كان
جهله اقوى كان الحلم عنده اولى قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون وقال تعالى وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وشتم رجل الشعبي
فافحش فقال له الشعبي ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر
الله لك والصحبة مع الاهل والولد بحسن الشفقة عليهم ومداراتهم
وتاديبهم وحثهم على الطاعة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
جا في التفسير اي ادبوهم وعلموهم وقوهم بذلك من النار ومع الاهل
حاقفة على حكم الله تعالى من امساك بمعروف او تسريح باحسان والانفاق
عليهم من الحلال بالمعروف وتكره صحبة الاحداث لما فيها من الافات
ومن ابتلي بذلك وصحبهم فليصحبهم على شرط الاحترام وحفظ قلبه وجوارحه
عنهم وحملهم على الرياضات والتاديب ومجانبة الانبساط قال بعض المشايخ
رغبة الصغار في صحبة الكبار توفيق وفطنة ورغبة الكبار في صحبة الصغار
خذلان وحمق اي جهل والصحبة مع الاخوة بكل ما يقدر عليه من الموافقة وترك

المخالفة

المخالفة الا فيما لا يجوز في الشرع ومجانبة الحقد والحسد ولزوم ما يلزم به بعضهم
من بعض والصحبة مع السلطان بالسمع والطاعة الا في معصية الله ومخالفة سنته قال
الله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ثم الدعا والامساك عنهم فيه قدح
روي عن الحسن انه قيل له مات الحجاج فقال رحم الله امرءا عرف زمانه
وحفظ لسانه ودارى سلطانه واما الدخول عليهم فمن كان عادلا فهو من السبعة
الذين يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله والنظر اليه عبادة ومن
كان ظالما فالبعد عنه واجب الا المضطر اليه او لناصح او منكر عليه اذا علم من
غالب حاله انه يسلم عند الهروب منه وحكي ان بعض الخلفا اراد زيارة بشر
الحافي فبلغ ذلك بشرا فقال اللهم لئن ذكرني بعد هذا لاخرجن من جواره ببغداد
فامسك عنه وقال بعض المشايخ من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في
ذل الاخرة وقيل تقرب الاشرار الى الاخيار صلاح الطائفتين وتقرب الاخيار الى
الاشرار فتنة الطائفتين ومن اضطر الى الدخول عليهم دعا لهم بالصلاح وذكرهم
ووعظهم وانكر عليهم حسب طاقته ومن المشايخ من تقرب اليهم لطلب مصالح
الناس وروي عن زيد بن اسلم انه قال كان نبي من الانبياء ياخذ بركاب الملك
يتالف بذلك لقضاء حوائج الناس وقال ابن عطاء كان يراى الرجل سنين ليكتسب
جاها يعيش فيه مومن انجا له من ان يخلص العمل لنجاة نفسه والصحبة مع الكافر
كصحبة ابي ضمضم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم كان اذا اصبح وامسى يقول اللهم اني قد وهبت نفسي وعرضي لك اللهم
اني قد تصدقت بعرضي على عبادك فمن شتمني لا اشتمه ومن ظلمني لا اظلمه وقال
ابو عبد الله بن خفيف رضي الله عنه دخلت مكة فقصدت ابا عمرو الزجاجي فسلمت
عليه وجلست عنده وجرى كلام فاخذ في تمزيقي فلما اكثر قلت له اتعني بهذا
كله ابن خفيف قال بلى قال تركته بغير ان فتشتم وقال شاه بن شجاع
من نظر الى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ومن نظر الى الخلق بعين الحق

عذرهم فيما هم فيه وقوا اشتغاله بهم ثم على كل جارحة ادب تختص بها قال الله تعالى
ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا ه قال بعض المشايخ حسن
الادب مع الله تعالى ان لا تحرك جارحة من جوارحك في غير رضي الله تعالى فادب
اللسان ان يكون رطبا بذكر الله عز وجل وبذكر بر الاخوان بالجنو والدعا لهم وبذل
النصيحة والوعظ ولا يكلمهم بما يكرهون روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اين ابي قال في النار فعرف الكراهة في وجهه فقال صلى الله عليه وسلم ابوك وابي وابوا
ابراهيم في موضع واحد ولا يغتاب ولا ينم ولا يشتم ولا يخوض فيما لا يعنيه واذا
كان في جماعة تكلم معهم ما داموا يتكلمون فيما يعنيهم فاذا تحدثوا فيما لا يعنيهم
تركهم وامسك ويتكلم في كل مكان بما يوافق الحال فقد قيل لكل مقام مقال وقيل
خلق الله تعالى اللسان ترجمانا للقلب ومفتاحا للخير والشر وقيل اذا طلبت
صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك ولزوم الصمت فانه ستر للجاهل وزين
للعاقل قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد
السنتهم ◦ وادب السمع ان لا تسمع الى الفحش والخنا والغيبة والنميمة وكل منكر كما قيل
احب الفتى ينفي الفواحش سمعه ◦ كان به عن كل فاحشة وقرا
بل يسمع الى الذكر والمواعظة والحكمة وما يعود عليه بالفايدة دينا ودنيا وبحسن الاصغا
الى من يكلمه وادب البصر الغض عن المحارم وعن عيوب الناس والاخوان والمنكرات
والمحرمات لان الله تعالى يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور وقيل من طاوع طرفه
تابع حتفه وقيل من غض طرفه نم ظرفه وقيل من كثرت لحظاته دامت
حسراته ويكون نظره بالاعتبار والاستدلال على قدرة الله تعالى وعظمته وجميل صنعه
عاريا عن حظوظ النفس الامارة بالسوء حكي عن بعضهم انه قال نظرت الى
شخص نظرة شهوة فرايت في المنام قايلا يقول ان الله تعالى يقول ان الدنيا
داري والخلايق فيها عبيدي واماي فمن نظر الى واحد منهم بغير حق فقد
خانني فانتبهت واليت على نفسي ان لا انظر الى شخص بعد ذلك الا على حد الامانة

وحكي

وحكي عن ابا يعقوب النهرجوري انه قال رايت في الطواف انسانا بعوز عيني
وهو يقول اعوذ بك منك فقلت ما هذا الدعا فقال اعلم اني مجاور منذ خمسين سنة
فرايت يوما شخصا فاستحسنته فاذا لطمة وقعت على عيني فسالت عيني هناك
على خدي فقلت اه فقيل لطمة بلطمة ولو زدت لزدناك ه وقال صلى الله عليه وسلم
لعلي يا علي اياك ان تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك ◦
وادب القلب مراعاة الاحوال السنية المحمودة ونفي الخواطر الردية المذمومة ه
والتفكر في الاء الله تعالى ونعمايه وعجايب خلقه قال الله تبارك وتعالى ويتفكرون
في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة
سنة ومن ادب القلب حسن الظن بالله تعالى وبجميع المسلمين وتطهيره من الغل
والغش والحسد والخيانة وسوء العقيدة فانها من جنايات القلب قال الله تعالى ان
السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان في
الجسد مضغة اذا اصلحت صلح بصلاحها ساير الجسد واذا فسدت فسد بفسادها
ساير الجسد الا وهي القلب وقال سري بن المغلس السقطي القلوب ثلاثة قلب
كالجبل لا يحركه شي وقلب كالنخلة اصلها ثابت والريح يميلها يمينا وشمالا وقلب
كالريشة تذهب مع كل ريح ولا تثبت وادب اليدين البسط بالبر والاحسان
وخدمة الاخوان وان لا يستعين بها على معصية وادب الرجلين السعي بها في
صلاح نفع واخوانه وان لا يمشي في الارض مرحا ولا مختالا ولا يتبختر ولا يرهوا فانها
مما تبغضه الى الله تعالى ولا يستعين بها على المعاصي ه ثم ان اول الصحبة ه
معرفة ثم مودة ثم الفة ثم عشرة ثم محبة ثم صحبة ثم اخوة وقيل
غذا النفوس في العشرة وغذا القلوب في المحبة والصحبة لا تكون الا باتفاق
البواطن قال الله تعالى في صفة المنافقين تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى والصحبة
اذا صحت شروطها فانها اجل الاحوال الا ترى ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا
اجل الناس علما وفقها وعبادة وزهدا وتوكلا ورضا فلم ينسبوا الى شي الا من ذلك

غير الصحبة التي اعلاها ومن ادابهم ان لا يجري في حديثهم هذا لي وكذا لك ولو
كان لذا لم يكن لذا ولعل ولعل وعسي ولم فعلت ولم لا فعلت وما يجري مجراها
فانها من اخلاق العوام قال ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلي
ولا يجري بينهم الاعاره والاستعاره وقال بعضهم الصوفي لا يعير ولا يستعير
ولا يجري بينهم المخاصمه ولا المجادلة ولا المزاح ولا المزاحمة والمغالبه والغيبه
والوقيعة والنقيصة والاستهزاء بل يكون كل واحد منهم للكبير كالولد والنظير
كالاخ والصغير كالوالد وللاستاذين كالملوك ومن ادابهم اذا اجتمعوا
ان يقدموا احدهم ليكون مرجعهم اليه واعتمادهم عليه ويكون ارجحهم عقلاً
ثم اعلاهم همةً ثم اقواهم حالاً ثم اعلمهم بالمذهب ثم اسنهم قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم يؤم القوم اقراهم لكتاب الله عز وجل فان استووا فافقههم في الدين
فان استووا فاقدمهم هجرة وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقدم اهل بدر علي غيرهم
وروي انه صلي الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجا قوم من البدريين فلم
يجدوا موضعا يجلسون فيه فاقام النبي صلي الله عليه وسلم من لم يكن من اهل بدر من
ذلك المجلس فجلسوا مكانهم فاشتد عليهم فانزل الله عز وجل واذا قيل انشزوا
فانشزوا ثم احسنهم خلقا ثم اقدمهم صحبة ثم اتمهم ادبا ثم اسبقهم بلقاء
الشيخ حكي ان علي بن بندار الصوفي ورد علي ابي عبد الله بن خفيف زايرا
له من نيسابور فتماشيا فقال له ابو عبد الله تقدم فقال باي عذر قال
بانك لقيت الجنيد وما لقيته ويخدمهم اصدقهم نيةً وشفقةً واحلمهم واقواهم
قلبا واكثرهم ديانةً وامانةً وصيانةً واقلهم اهتماما بنفسه وذويه فالخدمة
الدرجة الثانية من المشيخة كما ورد في الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
انه قال سيد القوم خادمهم وقيل اذا صحبت انسانا فانظر عقله واكثر مما
تنظر دينه فان دينه له وعقله له ولك ولا تصحب اكثر من كان همه الدنيا
والنفس والهوي قال الله عز وجل فاعرض عمن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة

الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه الاية ولا يذكر عيوب الناس
فقد قيل من ذكر عيوب الناس شهد علي نفسه فانما يذكرها بمقدار ما فيه منها سيل
ابو عثمان الحيري عن الصحبة فقال توسع علي اخيك ما لك ولا تطمع في ماله
وتنصفه من نفسك ولا تطلب الانصاف منه وتكون تبعا له ولا تطلب ان يكون
تبعا لك وتستكثر ما اليك منه وتستقل ما منك اليه قال محمد بن داود الرقي
قلت للزقاق من اصحب فقال من يعلم منك مثل ما يعلم الله ثم تامنه علي
ذلك وقال بعضهم ما اوقعني في البلاء الا صحبة من لا احتشمه وقيل
ليس في اجتماع الاخوان انس لوحشة الفراق وقيل الشرف في ثلاثه اجلال
الكبير ومداراة النظير ورفع النفس عن الحقير وقيل الجلسا ثلاثة جليس
تستفيد منه فلازمه وجليس تفيده فاكرمه وجليس لا تستفيد منه ولا تفيده
فاهرب منه ومن ادابهم ترك التيه والصولة قال
ابو علي الروذباري الصولة علي من فوقك قحة وعلي من هو مثلك
سوء ادب وعلي من دونك عجز وقال بعضهم من
ولي ولاية فتاه فيها اخبر ان قدره دونها ومن تواضع فيها اخبر ان قدره
فوقها وقيل ان عجب المرء بنفسه حد فساد عقله قال الله تعالي تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وليحذر
المتادب ان يحقر احدا من المسلمين فقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
حسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم وقال عليه السلام من استذل
مؤمنا او مؤمنة او حقره لفقره وذله يشهره الله تعالي يوم القيامة
ثم يفضحه وقال بعضهم من رضي بدا الله عبدا فارض به اخا
واذا نزل به احد من اخوانه او جماعة قدم اليهم ما حضره من الطعام والشراب
قل او كثر روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال هلاك بالمرء ان يدخل
عليه الرجل من اخوانه فيحتقر ما في بيته ان يقدمه اليه وهلاك القوم ان يحقروا

[illegible] فقلت بالحيا

ما قدم لهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من مكارم الاخلاق التزاور في الله تعالى
وحق على المزور ان يقدم الى اخيه ما تيسر عنده وان لم يجد الا جرعة من ماء فان
احتشم ان يقرب اليه ما تيسر لم يزل في مقت الله تعالى يومه وليلته الا ترى
ابراهيم صلوات الله عليه لما دخل عليه ضيفه المكرمون ما لبث ان جاء بعجل
حنيذ فقربه اليهم فقال الا تاكلون [illegible] على عن
[illegible] ن البزي كان اذا استاذن عليه بعض
اخوانه ان كان عنده طعام اذن له والا خرج اليه ولا يتكلف فيما
حضر [illegible] فقدمه [illegible] عن البختري
ابنه قال [illegible] نزلنا على سلمان بالمداين فقرب الينا
خبزا وسمكا وقال [illegible] كلوا نهانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن التكلف ولولا
ذاك لتكلفت لكم و[illegible] ورحا بو حفص عـ[illegible]
الجنيد فتكلف في خدمته فانكر عليه وقال [illegible] لو دخلت
خراسان علمناك كيف الفتوة فقيل له ذلك فقال
صيّر اصحابي مخانيث يقدم اليهم الوان الطعام واللباس والطيب
كل يوم وانما الفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر ثم
اذا حضر الفقرا اخدمهم بلا تكلف حتى اذا جعت جاعوا واذا
شبعت شبعوا حتى يكون مقامهم وخروجهم عندك واحدا قال
يوسف ابن ابي الخير قلت [illegible] لذي النون من اصحب قال من اذا
مرضت عادك واذا اذنبت تاب لك وانشد
اذا مرضتم اتيناكم نعودكم • وتذنبون فناتيكم فنعتذر
وقيل ليس بصاحب من تقول له قم فيقول الى اين ويجتنب البذا فانه
يهيج البغضا قال الله تعالى قد بدت البغضا من افواههم وما تخفي صدورهم

اكبر

اكبر وقال بعضهم الناس ثلاثة اصناف صنف كالغذاء لا يستغنى عنه وصنف كالدواء
يحتاج اليه في الاحايين وصنف كالداء يجب الاحتماء منه ومما يقرب منه وتجتنب صحبة
الاشرار فقد قيل مصاحبة الاشرار خطر ومن صاحبهم فقد بالغ في الغرور وانما مثله
كمثل راكب البحر ان سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر وقيل من اكمل
السعادة والرشاد صيانة الحر نفسه عن الاوغاد وقيل من يصحب صاحب سوء لم
يسلم ومن دخل مداخل سوء اتهم وقيل كل احد يعرف بقرنائه وينسب الى خلطائه
وروي انه وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قوم فقال الا اخبركم بخيركم من شركم خيركم
من يرجا خيره ويومن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يومن شره فصل في

ذكر ادابهم في الاسفار

قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
سئل النبي صلى الله عليه وسلم من هم فقال هم الذين يضربون في الارض يبتغون من
فضل الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا وتغنموا وقال الغريب شهيد
ويفسح للغريب في قبره كبعده عن اهله قال ابو حفص النيسابوري ينبغي
للمسافر [illegible] اشيا ترك تدبير الزاد وتقدير الطريق ويعلم ان الله حافظه
وافضل السفر الجهاد ثم الحج ثم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم
وفد الله ثلاثة الحاج والغازي والمعتمر ثم ذكر زيارة المسجد الاقصى قال صلى
الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مواضع المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى ثم لطلب العلم ثم لزيارة المشايخ وللاخوان قال صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى حقت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في وفي
الحديث عن ابي رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في الله وقال
من زار في الله شيعه سبعون الف ملك يقولون اللهم صله كما وصله فيك وناداه
مناد ان طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة مقعدا ثم لرد المظالم وللاستحلال
ثم لطلب الاثار والاعتبار ثم لرياضة النفس وخمول الذكر ولا يسافر للنزهة
والبطر والريا والجولان في البلاد لطلب الدنيا على متابعة الهوى قال ابو

تراب النخشبي ليس شيء أضر على المريدين من أسفارهم على متابعة هواهم وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمتي للنزهة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء وفقراؤهم للمسألة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا إن الوفد كثير والحاج قليل ولا يسافر بغير إذن الوالدين والأستاذ وبغير إذنهم حتى لا يكون عاقا في سفره ولا يحرم بركات أسفاره وإذا كان في جماعة يمشي مشي أضعفهم ويقف لوقوف الرفيق ولا يؤخر الصلاة عن أوقاتها ما أمكن ويؤثر المشي على الركوب إلا عند الضرورة فإن سفره للرياضة وطلب الزيادة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحاج الراكب بكل خطوة يخطوها راحلته سبعون حسنة وللراجل بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بسبعمائة حسنة ويروى أن الملائكة عليهم السلام تعانق الرجالة في طريق مكة وتصافح أصحاب الزوامل وتسلم من بعيد على أصحاب المحامل وإذا كان في جماعة بذل جهده في خدمتهم ما أمكن ويرفع عنهم مؤنته فقد روي عن يزيد بن حاتم أنه قال قلت يا رسول الله أي الصدقات أفضل فقال خدمة الرجل أصحابه في سبيل الله

ومن آدابهم

إذا دخل بلدا فإن كان فيه شيخ قصد زيارته وإن لم يكن قصد موضع الفقراء وإن كان فيها مواضع فضل أقدمها وأكثرها جمعا وأعظمها حرمة ويتفقد موضع الطهارة خصوصا والمياه الجارية فيه فيؤثر النزول عليها دون غيرها وإن لم يكن لهم موضع ولا جمع نزل على أكثرهم محبة لهذه الطائفة وأكثرهم إيمانا بهم وميلا إليهم وإذا دخل دويرة الصوفية تنحى ناحية ونزع خفيه يبدأ باليسرى في النزع وباليمنى في اللبس فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى وإذا نزع فليبدأ باليسرى ثم يقصد موضع الطهارة ويتوضأ ثم يصلي ركعتين وإذا كان هناك شيخ مقصود قصده وزاره

وقيل

وقبل رأسه إلا أن يكون حدثا فيقبل يده وروي عن كعب بن مالك لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده

وحكي

أن عبد الله بن خفيف قبل يد الحسين بن منصور وهو في الحبس فقال لو كانت اليد يدنا لمنعناك ولكن اليد يد تبوسها اليوم وتقطع في غد ثم يجلس عند الشيخ ساعة ولا يتكلم إلا أن يسأله عن شيء فيجيبه عن سؤاله ولا يبلغه سلاما ولا يذكر أحدا إلا أن يكون نظيرا له فيجوز ذلك ثم يرجع إلى موضعه وعلى المقيمين أن يسلموا عليه فحق القادم أن يزار إلا أن يكون بمكة فإن عليه زيارة المجاورين لحرمة الحرم ثم يقدم إليه ما حضره من الطعام من غير تكلف فقد قيل الأدب مع الضيف أن يبدأ بالسلام ثم بالإكرام ثم بالطعام ثم بالكلام كصنيع إبراهيم الخليل صلى الله عليه مع ضيفه الكرام إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ولا يسأل عن أحوال الدنيا وأهلها مما لا يعنيه بل عن أحوال المشايخ والأصحاب والإخوان ويجب على المسافر استصحاب ركوة أو كوز للطهارة والركوة أولى وقيل كان بعض المشايخ إذا صافح المسافر تفقد أثر حمل الركوة في كفه وأصابعه فإن وجده أحسن قبوله وإلا ازدراه ورده وقال بعضهم إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة ولا كوز فاعلم أنه عزم على ترك الصلاة وكشف العورة شاء أو أبى ويستحب للمسافر حمل العصا والإبرة والخيط والمقراض والموسى ونحوها فإن ذلك مما يستعين به على أداء الفرائض كما يجب وإذا أراد السفر فمن الأدب أن يطوف على إخوانه ويعرفهم خروجه ويودعهم ويستحب لمن هو في صحبته تشييعه كذا كان آداب المشايخ ويجتهد أن لا يفوته شيء من الأوراد خاصة الواجبات قال أبو يعقوب السوسي يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء في سفره والأولى فيها علم يسوسه وورع يحجزه وخلق يصونه ويقين يحمله وسئل رويم عن آداب المسافر فقال لا تسبق همته خطوته وحيث ما وقف قلبه يكون منزله

فصل في ذكر آدابهم في اللباس

قال الله تعالى وثيابك فطهر قيل فقصر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال ان الله يحب كل متبذل لا يبالي ما لبس وكان عمر رضي الله عنه يقطع من كم
ما جاوز الاصابع وقال بعضهم الفقير الصادق اي شي لبس يحسن عليه ويكون
له فيه الملاحة والمهابة ومن ادابهم في ذلك ان يكونوا مع الوقت يلبسون
ما يجدون من غير تكلف ولا اختيار ويقتصرون على ما يؤدون به الفرض من
ستر العورة وما يدفع الحر والبرد لانه مما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا
وقال انما البيت من الدنيا ويتبرمون من كثرة اللباس ويواسون بالفضل
قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه
فلم يجد خلقا ورجل لم ينصب على مستوقده قدرا ورجل دعا بشراب فلم يقل
له من ايهما تريد وعن عايشة انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شي
زوجين ويجتهدون في النظافة والظرافة قال النبي صلى الله عليه وسلم النظافة من
الايمان وراى على بعض الوفود ثوبا وسخا فقال ما كان يجد هذا ما يغسل
به ثوبه وقال صلى الله عليه وسلم هب ان الفقر من الله فما بال الوسخ من الثياب
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الوسخ ويكرهون لبس الشهرة من
الثياب ويتبركون بثياب المشايخ روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
بعض بيوته مع اصحابه فامتلا البيت وجا جرير بن عبد الله البجلي فلم
يجد موضعا وقعد خارج البيت فابصره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
بعض ثيابه فلفه ورمى به اليه وقال اجلس على هذا فاخذ جرير الثوب ووضعه
على وجهه وقبله واختار بعضهم الاقتصار على خرقتين كهيئة المحرم وكره
الجمهور منهم ذلك الا للمحرم او لعلة لما فيه من الشهرة واظهار الزيادة على الاقران
ويكره لبس الفوطة ايضا الا للمشايخ فانه بمنزلة الطيلسان والسجادة والقلانس
للمشايخ والبرانس للمريدين ويستحب الاقتصار على ثوب واحد حكي ان الجريري
قال كان ببغداد فقيرا لا تجده الا في ثوب واحد شتاء وصيفا فسيل عن
ذلك قال كنت مولعا بكثرة الثياب فرايت في المنام كاني دخلت الجنة فرايت
جماعة من اصحابنا على مايدة فقصدتهم فحال بيني وبينهم ملايكة وقالوا

هولاء اصحاب ثوب واحد ولك اثواب فانتبهت ونذرت ان لا البس الا ثوبا واحدا
الى ان القى الله تعالى وقيل للجنيد قد كثرت المرقعات والركي وقد نحوا
هذا المذهب فقال لمن طاب السلوك يرونكم بابصارهم وانتم في الشرع
الله تعالى وكان ابو حاتم العطار اذا راى اصحاب المرقعات يقول يا سادتي
نشرتم اعلامكم وضربتم طبولكم فليت شعري في اللقاء اي رجال تكونون
وقال علي بن بندار ثوب استخير فيه الصلاة اكره ان ابدله لتلقا الناس
بخير منه وقال ابو حفص الحداد اذا رايت ضوء الفقير في ثوبه فلا ترج خيره
فصل في ادابهم في الاكل قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
قال بعضهم ادب الله عباده ان لا يطعموا الفقير الا مما ياكلون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم فليقل بسم الله فان نسي فليقل اذا ذكر
بسم الله على اوله واخره وقال صلى الله عليه وسلم واشار الى القصعة كلوا من
حواليها ولا تاكلوا من وسطها ومن ادابهم ترك الاهتمام بالرزق وقلة
الاشتغال بطلبه وجمعه ومنعه وادخاره قال الله تعالى وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اي لا تدخروا وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ما كان يدخر شيا لغد ولا يكثر ذكر الطعام فان ذلك من الشره حكي
عن رويم انه قال لم يخطر ببالي ذكر الطعام عشرون سنة حتى يحضر ويقصد
عن تناوله سد الجوعة ويعطي النفس حقها دون حظها فان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان لنفسك عليك حقا وقيل لبعض المشايخ كيف يتناول القوم
الطعام قال تناول العليل الدوا يجتزي بالكفاف ويمتنع من الشره والنهم
لقوله صلى الله عليه وسلم ما ملا ادمي وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ولا يعيب طعاما ولا يمدحه
روى ابو هريرة قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط اذا اشتهاه اكله
والا تركه وقال صلى الله عليه وسلم اذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه

فتقسوا قلوبكم روي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ما بال الاقويا وعباد
الشهوات انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي ان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها
محجوبة عني حكي ان بشر بن الحرث رُؤي في السوق فقيل له في ذلك فقال
ان نفسي طالبتني منذ سنين بخيارة فمنعتها ورضيت لها بالنظر اليها ان
ذا عطيتها حظها ولا يكون لهم وقت معلوم ولا يتكلفون ولا يختارون ٥
الكثير الردي على القليل النظيف قال الله تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما ولا
يلقم بعضهم بعضا واذا حضروا الطعام فلا يقل بعضهم لبعض كل فان الكل
فيه سوا الا المشايخ لمن دونهم على سبيل البسط لهم وترغيبهم في اكثر عند احتشا
واما عامة الناس فمن ادبهم عرض الطعام عند الحضور واستدعاء الحاضرين
اليه ولا ياكلون الا مما يعرفون اصله ويتنزهون عن اكل طعام الظلمة والنس
وان كان من وجهه روي عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال نهانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اجابة طعام الفاسقين ويتطرفون عن قبول ارفاق
النسوان واكل طعامهم ولا يكرهون الكلام لهما عند الطعام فقد قيل ان ٥
ترك ذلك من فعل المجوس ثم الادب عند تناول الطعام في التسمية والجلوس
على الرجل اليسرى والتسمية والاكل بثلاث اصابع مما يليه وتصغير اللقمة وتجويد
المضغ ولعق الاصابع قال جابر امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعق الاصابع
والقصاع وقال انه لا يدري في اي طعامه البركة ويترك النظر
الى لقمة صاحبه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتبعن احدكم
لقمة صاحبه بالنظر فاذا فرغ من الطعام قال الحمد لله الذي جعل ٥
ارزاقنا اكثر من اقواتنا وليس من الظرافة ان يغمس يده في الطعام بحيث
يتلطخ به ٥ وقال بعض المشايخ الاكل مع الاخوان بالانبساط ومع الا
بالادب ومع الفقرا بالايثار ٥ وقال الجنيد مواكلة الاخوان رضاع
فانظروا من تواكلون وتختارون الاجتماع على الاكل لقوله صلى الله عليه وسلم

خير الطعام ما كثرت علي الأيدي ٥ وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الاكل مع
الاخوان شفاء وقال صلى الله عليه وسلم شر الناس من اكل وحده وضرب عبده ومنع
رفده واذا اكل مع جماعة لا يمسك عن الاكل ما داموا اشتهوا ولو شبع لا سيما اذا كان
متقدمهم ٥ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل مع جماعة كان آخرهم
اكلا وسئل بعض المشايخ عن الاكل الذي لا يضر فقال ان لي منذ ثلاثين
سنة ما اكلت شيئا بشهوة فصل روي انه رجلا تجشا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال كف عنا جشاك فاكثركم شبعا في الدنيا اكثركم جوعا يوم
القيامة وقال الحسن كان بلية آدم في اكلة وهي بليتكم الى يوم القيمة ٥ وقال
سهل بن عبد الله لان اترك من عشائي لقمة احب الي من ان احيا ليلة ٥ وقال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه لو كان الجوع يباع في السوق لما كان لطلاب الآخرة
ان يشتروا سواه وقال لو تشفعت الى نفسك بالملائكة المقربين والانبياء والمرسلين
في ترك شهوة لرددتهم اجمعين ولو توسلت اليها بالجوع لانقادت ولصارت من
الطائعين ٥ وعن ابي هريرة قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
جالسا فقلت ما اصابك قال الجوع فبكيت فقال لا تبك ان شدة القيامة لا
تصيب الجائع اذا احتسب ذلك في الدنيا ٥ روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من احب من نفسه نشاطا فليمدها بالجوع والعطش ويكره له الانتظار عند
حضور الطعام وقد قيل قلوب الابرار لا تحتمل الانتظار ويكره تفويت ٥
الاوقات بالاشتغال بالاكل حكي عن بعضهم انه كان يفطر على جوزة
يحسوها ويقول الوقت اعز من ان يشتغل بالاكل وكره اكثرهم تلقيم من
يخدمهم مما بين ايديهم لا سيما اذا كان ضيفا فانه لا يجوز له التصرف فيما
قدم اليه الا بالاكل وقد اختلف العلما في تملك الضيف ما قدم اليه
فقال بعضهم يملكه بالاحضار بين يديه وقال بعضهم بالتناول وقال
بعضهم بالوضع في الفم وقال بعضهم باستيفا الاكل بالبلع وقال الجنيد

تنزل الرحمة على الفقرا عند الطعام فانهم لا ياكلون الا بالايثار وقال بعض
المشايخ واجب على المضيف ثلاثة اشيا وعلى الضيف ثلاثة اشيا فاما الذي
على المضيف فان يطعمه من الحلال ويحفظ عليه مواقيت الصلاة ولا يحبس عليه
ما قدر عليه من الطعام ۝ واما ما على الضيف فان يجلس حيث يُجلَس
وان يرضى بما قدم اليه وان لا يخرج الا بعد الاستيذان ۝ روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من السنة ان تشيع الضيف الى
باب الدار **فصل في ذكر ادابهم في النوم** روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من نام حتى اصبح بال الشيطان في اذنه ومن ادابهم في ذلك
ان يجتنب النوم بين جماعة قعود فاذا غلبه النعاس بينهم فاما ان يقوم
او يدفع عن نفسه ذلك بمحادثة او غيرها ولا يتعود الانبطاح فان كان ممن
له غطيط فيتعود النوم على الجنب ولا يستلقي ويجتهد ان يكون نومه
اوباسه وان لا يكون نايما عن الله ۝ فاما النايم بعد فهو القاصد الى الاخذ
بلغة من النوم يستعين بها على اداء الفرايض وتحصيل النوافل خصوصًا
اخر الليل لما روي في الحديث ان الحق عز وجل يقول اخر الليل هل
من داع فاستجيب له هل من سايل فاعطيه سوله هل من مستغفر فاغفر له
واما النايم بالله فهو العارف الذاكر لا تاخذه سنة ولا نوم الا ان يرد عليه
النوم من غير اختياره وهم الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ۝ واما النايم
عن الله فهو الغافل عنه كما جا في مناجاة داود عليه السلام قوله كذب من
ادعى محبتي وهو اذا جنه الليل نام عني اليس كل محبوب يحب خلوة
حبيبه فها انا مطلع على قلوب احبابي ومن ادابهم النوم على الطهارة
والاضطجاع على الشق الايمن ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك
ارفعه اللهم ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ويذكر الله تعالى كلما انتبه

فان

١٢٦

فان توضى وصلى ركعتين ثم نام كان اولى ويكره النوم بعد صلاة الصبح وبعد صلاة
المغرب وقيل من اراد قلة النوم فليتجنب شرب الماء الا قدر تسكين العطش ۝
ومن كان بين جماعة فناموا فاما ان يوافقهم او يقوم عنهم ويستحب القيلولة
ليستعان بها على قيام الليل وقيل النوم اول النهار خرق واوسطه خلق
واخره حمق وكان بعضهم لا يضطجع من الليل ودام على ذلك ثلاثين سنة انما
يستند الى الجدار عند غلبة النوم ويصوم النهار وقال الجنيد اتى على سري
نيف وثلاثون سنة ما روي مضطجعًا الا في علة الموت **وحكي** ان ابا
يزيد مد رجله في المحراب فنودي من جالس الملوك بلا ادب فقد تعرض
للقتل **فصل في ذكر ادابهم في السماع** قال الله تعالى واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع وقال تعالى ۝
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال تعالى فهم في روضة يحبرون
قال مجاهد يسمعون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه
لنبي حسن الصوت بالذكر روي انه قرئ بين يديه ان لدينا انكالا
وجحيما الاية فصعق وروي انه قرئ بين يديه فكيف اذا جينا من كل امة
بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدًا فبكى طويلًا وروي عن عايشة انها ۝
قالت كان عندي جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها
ثم دخل عمر رضي الله عنه ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما يضحكك يا رسول الله فحدثه فقال لا اخرج حتى اسمع مما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامرها فاسمعته وسيل ذا النون المصري عن السماع
فقال وارد حق يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى
اليه بنفس تزندق وقال السري تطرب قلوب المحبين عند السماع
مثل الغيث اذا وقع على الارض تصبح مخضرة كذلك القلوب الزكية يظهر
مكنون فوايدها عند السماع وقيل السماع يحرك ما تنطوي عليه القلوب

[illegible]

من السرور والحزن والخوف والرجا والشوق فربما يحركه الى البكا وربما يحركه
الى الطرب وقيل السماع فيه حظ لكل عضو فربما يبكي وربما يطرح وربما يصفق
وربما يرقص وربما يغشى عليه وقيل اهل السماع ثلاثة مستمع بربه ومستمع بقلبه
ومستمع بنفسه قال بعض المشايخ لا يصلح السماع الا لمن كان قلبه حيًا ونفسه
ميتة فاما من كانت نفسه حية وقلبه ميتا فلا وقيل لا يصلح السماع الا
لمن فنيت حظوظه وبقيت حقوقه وخرجت بشريته وحكي عن بعضهم
قال رايت الخضر عليه السلام فقلت ما تقول في السماع الذي عليه اصحابنا فقال
هو الصفا الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلما وقيل السماع مدحة سلطانية
لا تقع نيرانها الا فيمن قلبه محترق بالمحبة ونفسه محترقة بالمجاهدة ومن
ادابهم لا يتكلفوا فيه ولا يكون لهم وقتا معلوما لذلك ولا يسمعون
للطايب والقوالي ثم يسمعون ما كان داخلا في اوصاف التايبين والخايفين
والراجين به وما يحثهم على المعاملة ويجدد لهم صدق الارادة ومن لا يتبع
ذلك فعليه ان يقصد لمن يؤدبه فيه وقيل للنصراباذي انك مولع بالسماع
فقال نعم هو خير من ان تقعد وتغتاب فقال له ابو عمرو بن نجيد هيهات
يا ابا القسم زلة في السماع شر من كذا وكذا سنة تغتاب الناس وقال
ابو علي الروذباري بلغنا في هذا الى مكان مثل حد السيف ان ملنا كذى
ففي النار وليس من الادب استدعاء الحال والتكلف للقيام لما عند غلبة
حال ترد فتزعج او يكون على سبيل ما عدة لصادق او مطايبة من غير
تشاكر الى اظهار حاله وترك ذلك اولى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يعظ فصعق رجل من جانب المسجد فقال من ذا الملبس علينا ديننا
ان كان صادقا فقد شهر نفسه وان كان كاذبا محقه الله ۝ ويكره له
القيام بحضرة المشايخ واظهار الحال حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكان
كلما سمع شيا زعق وتغير فقال له ان ظهر منك شي بعد هذا فلا تصحبني

فكان

فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان يقطر منه من كل شعرة قطرة عرق حتى
كان يوما من الايام زعق زعقة خرجت فيها روحه ۝ ولا رخصة للاحداث
في القيام والتحرك اصلا واكثر المشايخ يكرهون حضورهم مجلس السماع واذا كان
الوقت جدا فلا يجوز للمتكلف المداخلة والمزاحمة على طريق الموافقة ايضا
حكي ان ذا النون المصري رحمه الله تعالى جالسا فدخل عليه جماعة ومعهم
قوال فاستاذنوه ان يقول لهم شيا فاذن لهم فانشد القوال

صغير هواك عذبني ۝ فكيف به اذا احتنكا
وانت جمعت من قلبي هوى ۝ قد صار مشتركا
اما ترثي لمكتئب ۝ اذا ضحك الخلي بكا

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع
على الارض ثم قام واحد منهم فنظر اليه ذو النون وقال الذي يراك
حين تقوم فجلس الرجل والكون مع حضور القلب وجمع الهمة والوقوف
على احوال المستمعين اولى من المداخلة لانه محل الاستقامة والتمكين والانصات
من ادب الحضرة قال الله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا وقال تعالى وخشعت
الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا واذا اتفق مجلس السماع يبدا بالقران
ويختم بالقران فقد حكي عن الدينوري انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فساله عن اجتماع القوم للسماع فقال لا باس ابدوا بالقران واختموا
به ويكره للمريد سماع الغزل والاوصاف فانها بعيدة الغور حكي عن
بعض المشايخ انه قال السماع شهوة في قعر شبهة لا يخرج منها ولعلها الا
العارف ذو بصيرة وفطنة يختلس الشهوة ولا يمس الشبهة وقال الجنيد
كل مريد رايته يميل الى السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة وقيل السماع
صراط ممدود يقصده صاحب يقين ووجود وصاحب شك وجحود فاما ان
يرفعه ذلك الى اعلى عليين او يكبكبه في اسفل السافلين وقال بعض

المريدين لبعض المشايخ الذين كانوا يميلون الى السماع فقال اذا كنت مثلهم
فاسمع انت ايضا وقيل السماع سرور ساعة تزول وهم ساعة تطول ولا يحضر
مجلس السماع من يتبسم او يبكي حكي عن ابي عبد الله بن خفيف رحمه الله
انه قال حضرت مع شيخي احمد بن يحيى في دعوة بشيراز فاتفق فيها سماع فطاب
وقت الشيخ وقام يتواجد ويدور وكان في صفة بحذائنا قوم من اهل الدنيا
فتبسم واحد منهم فاخذ الشيخ مناره كبيره كانت هناك فرماه بها فاصابت
الجدار فانغرس ارجلها الثلاث في الحائط وكان قد صلى ثلاثين سنة صلاة
الصبح بوضوء العشاء سئل بعض المشايخ عن شرب القلوب من السماع وشرب
الارواح منه وشرب النفوس منه فقال شرب القلوب الحكم وشرب الارواح
النغم وشرب النفوس ذكر ما يوافق طبعها من الحظوظ وسئل عن التكلف
في السماع فقال هو على ضربين تكلف من المستمع لطلب الجاه او منفعة دنيوية
وذلك تلبيس وخيانة وتكلف منه لطلب الحقيقة لمن يطلب الوجد بالتواجد
وهو بمنزلة التباكي من البكاء قال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اهل البلاء فابكوا
فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو نصر السراج رحمه الله تعالى اهل السماع على ثلاث
طبقات طبقة منهم يرجعون في سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وطبقة
منهم يرجعون في سماعهم الى مخاطبة احوالهم ومقاماتهم واوقاتهم فهم مرتبطون
بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون اليه من ذلك وطبقة منهم الفقراء
المجردين الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع
فهم يسمعون بطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم اقرب الناس الى السلامة
واسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف
وقيل يحتاج الى السماع من كان ضعيف الحال فان القوي لا يحتاج الى ذلك
قال الحصري ما ادون حال من يحتاج الى مزعج يزعجه ولعمري لا يحتاج
الثكلى الى نائحة وقيل السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة

قال

قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي الوجد قد يكون زيادة لقوم ونقصانا لآخرين
وهو كالسلاح يصلح للجهاد في سبيل الله ولقتل اولياء الله وكذلك الشمع يضيء شيئا
ويحرق شيئا آخر وقيل السماع من حيث المستمع فقد سمع بعضهم طوافا يصيح
يا سعتر بري فاغمي عليه فسئل عن ذلك فقال حسبته يقول اسع ترى بري
وسمع الشبلي رحمه الله على بابه رجلا يقول

أسائل عن سلمى فهل من مخبر ... يكون له علم بها اين تنزل

فزعق وقال لا والله ما في الدارين عنه مخبر قال الصبيحي يجب ان يكون
الواجد اذا كان وجده صحيحا محفوظا في حال وجده لا يجري على لسانه الذم بحاله
وقال الوجد سر صفات الباطن كما ان الطاعة سر صفات الظاهر وصفات
الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الاحوال والاخلاق واما حكم الخرق التي
تقع في السماع فما كان منها على طريق المسامحة فهي للجماعة وما كان منها لقول
قوال واشتد وجد صاحبه فان لم يكن هناك جماعة فانها للقوال خاصة وان كان
هناك جماعة فقد اختلف اقاويل المشايخ فيه فذهب بعضهم الى انها للقوال لانه
لما وجد الطالب بيسره من جهته خلع عليه بدلا مما اتحفه به وذهب بعضهم انها
للجماعة والقوال فيه كاحدهم لان بركة حضور الجماعة لا تقصر عن قول القوال
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم غزاة في يوم بدر من اتى مكان كذا فله
ومن قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فتسارع الشبان
والفتيان واقام الشيوخ والوجوه من الناس عند الرايات فلما فتح الله
عليهم طلبوا ما جعل لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردءا فلا تذهبوا
بالغنائم دوننا فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول
الاية فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية ومنهم من قال ان كان
القوال من جملة القوم فهو كاحدهم وليس له الاستبداد بشيء منها وان كان
اجنبيا فما كان منها له قيمة يؤثرونه بها وما كان من خرقات الفقراء فهم اولى بها

ومنهم من قال ان كان القوال اجيرًا فليس له منها شي وان كان متبرعًا فله
ما يصلح له منها واذا قلنا انها لهم فحكمها انهم لا يستغلون بها ما داموا في السماع
واذا انقضى وقته جمعوها في الوسط ثم ان كان هناك محب لهم فحكمه ان يفديها
بما يوجب وقته من غير معارضة فيها والا فاداه عليها فان ذلك استخفاف
بحقها وحقهم ثم ان كان هناك شيخ له حكم فالحكم فيها اليه من تخريق وتبديل
ورد على اصحابها قال اهل الشام الفقرا اولى بخرقته وانكر الجمهور منهم ذلك
ومنهم من قال ما كان وقع منها على سبيل المماعلة او مشوبًا بالتكلف
فالرد اولى واكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على سبيل المماعلة لما فيه من
التكلف المباين للحقيقة وان لم يكن هناك شيخ له حكم يمضون فيه حكم
الوقت ولا يوخرون ذلك ويكرهون تخريق المرقعات الا ان يكون تبركا
وما كان منها من خرق الفقرا فما كان يصلح للرقاع فتخريقه اولى لكي يصيب
الكل نصيبًا ولا يبيع البعض بحرمتها ويفرق على الحاضرين دون الغايبين لانه
الغنيمة لمن شهد الوقعة وكيف يقسم ذلك اختلف المشايخ فيه فقال بعضهم
يقسم عليهم بالتفاضل كقسمة المواريث والغنايم وقال بعضهم ان كان يقسم
فذلك شيخ يقسمه بالتفاضل وان كانوا يقسمونه فيما بينهم قسموه بالسوية وما
لا يصلح منها للرقاع فالايثار بها لمستحق من الفقرا اولى وما كان من ثياب
فالبيع اولى والايثار بها للقوال دون التخريق اولى

وصل في ذكر آدابهم في التزوج

الاولى ان يرغب في المراة الدينة الصالحة قال النبي صلى الله عليه وسلم
تنكح المراة لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك
وقال صلى الله عليه وسلم اعظم النساء بركة اقلهن مؤنة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
خلق النساء من ضعف وعورة فداووا ضعفهن بالسكوت وعوراتهن
بالبيوت **وادابهم** في ذلك ان لا يتزوج للدنيا ولا بذات اليسار بل للسنة
والعفة ثم يقوم بما لا بد منه من الكفاية بحسب الطاقة فان عجز وطلبت فوق

(الطاقة)

الطاقة خيرها بين الوفاق على المكنة او طلاق الفرقة اقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث انزل الله تعالى عليه يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا
وزينتها الى الايتين وكن تسعة فخيرهن صلى الله عليه وسلم وبدا بعايشة وقال لها اني
محدثك بحديث فاستشيري فيه ابويك فلما اخبرها به قالت وفيك استشير ابوي
فاخترت الله ورسوله والدار الاخرة وقالت لا تخبرن ازواجك بهذا فقال والله لا يسالني عن
ذلك لا خبرتهن فلما اخبرهن اخترن الله ورسوله فشكرهن الله تعالى على ذلك ثم انزل
لا تحل لك النسا من بعد الاية والاولى في زماننا مجانبة التزوج وقمع النفس
بالرياضة والجوع والسهر والسفر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم
بالنكاح فمن لم يستطع فعليه بالصيام فانه له وجاء وقيل لبعض الصالحين
الا تتزوج فقال لي نفسي لو تمكنت من تطليقها لطلقتها افاضم اليها اخرى وقال
بشر لو دفعت الى الاهتمام بمونة دجاجة ما امنت على نفسي ان اصير شرطيًا
وقال مكابدة العفة ايسر من الاحتيال لمصلحة العيال وقال رايت الصبر
عنهن اسهل من الصبر عليهن وقال بعضهم مقاساة العيال عقوبة تنفيذ
الشهوة الحلال **وحكي** ان رجلا خطب الى ميمون بن مهران ابنته فقال
لا ارضاها لك قال لم قال لانها تطلب الحلي والحلل قال فعندي ما تريد
قال اذا لا ارضاكها. واراد بعضهم تطليق زوجته فقيل له ما يريبك
منها قال العاقل لا يهتك ستر زوجته فلما طلقها قيل لم طلقتها قال ما لي
والكلام فيمن صارت اجنبية مني. وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
هم بتزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام قال له تكلم لنفسك خطيبًا
وقد اجتمع المهاجرون والانصار فقال الحمد لله حمدًا يبلغه ويرضيه
وصلى الله على محمد صلاة تزلفه وتحظيه والنكاح مما امر الله تعالى به
ورضيه واجتماعنا مما اذن الله عز وجل فيه وقدره وهذا محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم زوجني ابنته فاطمة على صداق خمسمائة درهم وقد رضيته

(فاسئلوه)

فسلوه واشهدوا قال علي رضي الله عنه ما كان لنا الا اهاب كبش نبيت عليه
بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار

فصل في ذكر ادابهم في السؤال

قال الله
تعالى في مدح الفقراء لا يسألون الناس الحافا وقال تعالى واما السائل فلا تنهر
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وقال لو صدق السائل
في سواله لما افلح من رده وقال ما صاحب الصدقة باعظم اجرا من الذي يقبلها
اذا كان محتاجا وقال من سأل شيئا وهو عنها غني فانما يستكثر من النار
وقال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وعن عمر رضي الله عنه انه قال
مكسبة بعض الدنية خير من مسالة الناس وقال الجنيد كل صوفي عود الدناءة
نفسه اخذ الاسباب عند وقوع الشدائد فانه لا ينفك عن رق نفسه ولا يحمله البر
وقال ابو حفص من تعود السوال ابتلي بالطمع والخيانة والكذب وادبهم
في ذلك ان لا يسالوا الا عند الضرورة والحاجة ولا ياخذون الا قدر الكفاية وقال
بعضهم الفقير اذا اضطر الى السوال فكفارته صدقة وقيل لا يجوز رد طالب
اما كريم فتصونه او لئيم فتصون نفسك عنه وتصون وجهك عن رده
ويكرهون السوال لانفسهم ويستحبونه للاصحاب حكي ان ممشاد الدينوري
كان اذا ورد عليه الغرباء دخل السوق وجمع من الدكاكين شيئا وحمله اليهم ولا
يعدون ذلك سوالا لانه من التعاون على البر والتقوى وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسأل لاصحابه ولو كان سوالا لما حرم منه صلى الله عليه وسلم وليستحب بذل
الجاه للاخوان قال بعض المشايخ لا يصح الفتوة للفقير حتى يبذل جاهه
كما يبذل ماله واداب الخادم في السوال ان لا يرى نفسه في الاخذ ولا في العطا
ويكون معولا على همة الفقراء ويكون الوكيل عن الفريقين قال الشبلي
اذا خرجت الى الناس للسوال فلا تراهم ولا ترى نفسك وكان الشيخ ابو
العباس النهاوندي اذا وفد عليه الغرباء دخل السوق وجمع ما يتفق من
الاطعمة ويحملها على يده اليهم وكان يقول منذ عشرين سنة ما فتحت مزاجي

شيئا

شيئا وكان يكره السوال وينكر على اهله قال الجنيد لا يصح السوال لاحد الا لمن كان
العطا احب اليه من الاخذ والاولى للخادم ان يستقرض ما يحتاج اليه من نفقة
قومه بالمعروف وينفق عليهم ثم يسال ويقضي دينه فان ذلك اقرب الى
اللائمة وقد رخص بعضهم في السوال لمن يقصد بذلك اذلال نفسه وقيل لا خير
فيمن لم يذق طعم اهانة الرد وكان بعض المشايخ لا ياكل الا من السوال
فسئل عن ذلك فقال اخترته لكراهية نفسي له وقيل حد الفقراء ان لا
يسال الا وقت الحاجة من غير عزم تقدم ولا اعتقاد تاخر لانه يشير الى الخلق
وقلبه يشير الى الحق وقيل سعي الاحرار لاخوانهم لا لانفسهم وقيل لان ياكل
بالسوال اجمل من ان ياكل بالتقوى وقيل من سأل وله ما يغنيه خيف عليه
ان يخاصمه كل الفقرا يوم القيامة ويقولوا اخذت ما جعل لنا ولم تكن منا

فصل في ذكر ادابهم في المرض

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال حمى يوم كفارة سنة وقال للمهاجرين لما حموا ابشروا فانها كفارة
وطهور وقال بعض الحكماء ان في العلل لنعما لا ينبغي للعاقل ان يجهلها
تمحيص الذنوب وتعرض الثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة
في حال الصحة وتجديد التوبة وحث على الصدقة حكي ان ذا النون المصري
دخل على مريض يعوده فان انة فقال ذو النون المصري ليس بصادق في حبه
من لم يصبر على ضربه فقال المريض ليس الصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه ٥
حكي ان بعض العارفين مرض فوصف علته لطبيب فقيل اليس هذا
شكوى قال لا انما هي اخبار عن قدرة القادر وقال خادم لكلثوم السنجاري
قال لي الشيخ يوما هل ترى على ظاهر جسدي موضعا خاليا من الدود غير اللسان
فقلت لا قال لذلك ليس في داخل جسدي موضعا خاليا من الدود واعتل
ممشاد الدينوري رحمه الله تعالى فقيل له كيف تجد العلة فقال سلوا العلة
كيف تجدني فقيل له كيف تجد القلب قال فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة ٥

وقال بعض المشايخ لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر وقد قال الله تعالى في قصة سليمان عليه السلام وبلائه نعم العبد إنه أواب وقال النبي صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يخلق داء إلا خلق له دواء فقيل يا رسول الله هل يرد الدواء قضاء الله عز وجل شيئا فقال هو قضاء الله تعالى

فصل في ذكر أحوالهم في حال الموت

قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فما ذكره عبد في سعة إلا ضاقت ولا ضيق إلا اتسع عليه وقال صلى الله عليه وسلم عند الموت واكرباه فقيل إنما قال ذلك لترك التجلد على الله تعالى وقيل إخبارا عن شدته ليكون الخلق على حذر من كربته وقيل إنما قال ذلك اعترافا بالعجز وتواضعا للتشريع في ذلك وقيل إنما قال ذلك لما كوشف بالموعود ولقاء الملك الودود فقال واكرباه من زحمة الدنيا وزحمة الخلق واكرباه من بعد الحجاب متى يكون الوصول إلى رب الأرباب وقال الخلدي كنت عند الجنيد وقت وفاته وكان يقرأ القرآن فقلت ارفق بنفسك يا سيدي فقال أحوج ما كنت إليه الساعة وهو ذا تطوى صحيفتي فختم ثم ابتدأ وقرأ سبعين آية من البقرة ومات رحمه الله تعالى وحكي أن خير النساج نظر وقت النزع وقال إنما أنا عبد مأمور وما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني فدعا بماء وتوضأ وصلى ثم كبر ومات رحمه الله تعالى وكان ابن سهل يقول أترون أني أموت كما يموت هؤلاء المرضى إنما أدعى فأجيب فكان يوما جالسا إذ قال لبيك فمات رحمه الله تعالى حكي عن أحمد بن حضرويه أنه لما حضرته الوفاة كان عليه سبعمائة دينار دينا وغرماؤه حوله فنظر إليهم ثم قال اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ وثيقتهم مني فأد عني فدق داق الباب فقال هذه دار ابن حضرويه قيل نعم قال أين غرماؤه فخرجوا إليه فقضى لهم ثم

خرج

خرجت روحه رحمه الله تعالى ولما حضر أبو عثمان الحيري الوفاة مزق ابنه القميص ففتح عينيه فقال يا بني خلاف السنة في الظاهر من رياء باطن في القلب وقيل للجنيد عند الموت قل لا إله إلا الله فقال لما أنسيته فأذكره وقيل لأبي موسى الديبلي عند الوفاة قل لا إله إلا الله فقال هذا شيء قد عرفناه وبه نفنى وقيل لرويم ذلك فقال لا أحسن غيره وحكي أن أبا سعيد الخراز كان يتواجد عند الموت وكان قد مات جميع بدنه وبلغت روحه الحلقوم وهو يزعق وينشد

حنين قلوب العاشقين إلى الذكر ● وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ● فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بمعسكر ● به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ● وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم ● وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وهذا يدل على سروره نظر الحسن البصري إلى رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا يكون هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله وإن أمرا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره وحكي أن الشبلي اعتل علة فأرجف بموته فبادر المشايخ ودخلوا عليه وجلسوا حوله فقال أين الخبر فقال المالكي وكان أجراهم عليه جاء القوم إلى جنازتك فقال العجب العجب أموات جاءوا إلى جنازة حي وقال بكران الدينوري لما حضرت وفاة الشبلي رحمه الله قال علي درهم مظلمة وقد تصدقت بألوف عن صاحبه وما على قلبي شيء أعظم من ذلك ثم قال وضئني فوضأته ونسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي فأدخلها في لحيته وقد عرق جبينه ولم يذهب عليه هذا القدر من السنة ثم مات رحمه الله تعالى وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فدخل عليه ابنه عبد الله فقال يا عبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا

حاجة لي فيه فقال انه مملوء مالا فقال لا حاجة لي فيه ثم قال عبد الله ليته مملوء
بعرا فقال ابن عباس فقلت يا ابا عبد الله كنت تقول اشتهي ان ارى
رجلا عاقلا يموت فاسأله كيف يجده فكيف تجدك فقال اجدني ارى
السماء كانها مطبقة على الارض وانا بينهما وكانما اتنفس من خرم ابرة ثم قال
اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يده وقال اللهم انك امرتني فعصيت ونهيت
فارتكبت فلا بريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ولكن لا اله الا الله
ثلاثا ثم مات رحمه الله تعالى ولما احتضر عبد الملك بن مروان نظر
الى اولاده حوله وبناته يبكون فانشد •

ومستخبر عنا يريد بنا الردى • ومستخبرات والعيون سواجم •

فصل في ذكر ادابهم وقت البلاء

قال الله تعالى وفتناك فتونا
قيل امتحناك بالبلاء امتحانا حتى صرت صافيا نقيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله ادخر البلاء لاوليائه كما ادخر الشهادة لاحبائه وقال صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اكثر بلاء ثم الامثل فالامثل وقال صلى الله عليه وسلم
احب العباد الى الله تعالى ثلاث عابد ومبتلى صابر وفقير نشط وقال الله تعالى
يتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد الشفيق ولده وادابهم في
ذلك ترك الجزع والشكوى وملاحظة ثمرة البلوى وما اعد الله عز وجل
للصابرين حيث قال جل وعلا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
فمن شهد البلاء من المبتلي غاب برؤيته عن وجدان مرارة البلاء وصعوبته
قال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا الم ترى الى صواحبات يوسف
كيف غبن في رؤيته عن وجدان الم القطع ولم يشعرن بذلك الى ان غاب قال
الله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقيل لبعض الشطار متى يهون
عليك الضرب والقطع قال اذا كنا بعين من نهواه فعند البلاء رجاء والجفا
وفاء والمحنة منحة وانشد المجنون بني عامر •

ولي

• ومن اجل ليلى رحل القوم لمية • بنضح دم يا حبذا ان جانبا •
• ومن اجل ليلى اوجع القلب والحشا • ومن اجل ليلى في بوادي المكاويا •
• ومن اجلها سميت مجنون عامر • فداها من المكروه نفسي وماليا •
• فلولاك يا ليلى لما جئت طارقا • ادور على الابواب بالذل راضيا •
• وله ايضا •
• اذل لال ليلى في رضاها فاحتمل • الاصاغر والكبارا •
• وله ايضا •
• وقف الهوى بي حيث انت فليس لي • متاخر عنه ولا متقدم •
• اجد الملامة في هواك لذيذة • حبا لذكرك فليلمني اللوم •
• اشبهت اعدائي فصرت احبهم • اذ كان حظي منك حظي منهم •
• واهنتني فاهنت نفسي عامدا • ما من يهون عليك ممن يكرم •

الا ترى هؤلاء كيف يهون عليهم تحمل البلاء في رؤية محبوبهم وكيف يتلذذون
ويفتخرون به هكذا من يكون صادقا في دعواه ومتحققا لا يؤثر فيه تغير الزمان
وطوارق الحدثان شعر قال بعضهم

ذل الفتى في الحب مكرمة • وخضوعه لحبيبه شرف

روي انه قيل للحسين بن علي عليهما السلام ان ابا ذر يقول الفقر احب الي من
الغنى والسقم احب الي من الصحة قال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على
حسن اختيار الله له لم يتمن انه في غير الحالة التي اختارها الله له حكي ان
جماعة دخلوا على الشبلي وهو في المارستان مقيد فنظر اليهم وقال اي شيء انتم
قالوا احباؤك فرماهم بالحجارة فهربوا فقال يا كذابين تدعون محبتي ولا
تصبرون على ضربي ابعدوا عني ومن ادابهم ان لا يتماوت ولا يعجز بل يتجلد ويصبر
روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي احب الى الله تعالى
من المؤمن الضعيف احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان

اصابك شيء فقل قدر الله وما شاء فعل واياك ولو فان لو تفتح بابا من عمل
الشيطان وقال ابن عطا في اوقات البلا يتبين صدق العبد من كذبه فمن شكر
في اوقات الرخا وجزع في اوقات البلاء فهو من الكاذبين قال الله تعالى الم
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ثم ان البلاء في الانسان
بمنزلة الدباغ ليخرج الرعونات من الانسان ويصيره الى حالة يمكن الافادة
منه **وقال** الجنيد البلا سراج العارفين ويقظة المريدين وهلاك
الغافلين **وحكي** ان جعفر الصادق عليه السلام كان اذا اصيب يقول اللهم
اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وذلك ان البلاء منه ما يكون تمحيصا ومنه
ما يكون تاديبا ومنه ما يكون اختبارا ومنه ما يكون عقوبة وخذلانا
وقال الجريري البلاء على ثلاثة اوجه على المخلطين نقم وعقوبات وعلى
المذنبين تمحيص الجنايات وعلى الانبياء والصديقين من صدق الاختيار
ولا يمكن الوقوف على ادابهم وسيرهم فيه الا بذكر حكاياتهم فقد سئل
الجنيد ما فائدة المريدين في الحكايات فقال انها تقوي قلوبهم فقيل له
في ذلك حجة من كتاب الله تعالى فقال نعم قال الله عز وجل وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فوادك

فصل في ذكر آدابهم في الرخص

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى
عزايمه وسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالنا
نقصر الصلاة وقد امنا فقال صدقة تصدق الله عز وجل بها عليكم
فاقبلوا صدقته والرخصة منهل يرد عليه المبتدي من المريدين ويلتجي
فيه المتوسط من السالكين ويستريح اليه الفاتر من العارفين لا يتوطن فيه
المحققون لانه وادي مسبع لكثير الافات الا على نية الرحيل انتظارا والمرتع

في جانب الحمى يوشك ان يواقع الحمى الا وان حمى الله محارمه وكل من انحط عن درجة
الحقيقة وقع على طرف الرخصة ومن سقط منها وقع في الضلالة والجهل والترخص
في مذهب الصوفية هو الرجوع عن حقيقة العلم وذلك لنقص في حالهم سئل
بعض المشايخ عن سوء ادب الفقير فقال انحطاطه عن درجة الحقيقة الى الظاهر
وكذلك ذا النون المصري ريا العارفين اخلاص المريدين وسئل عن ذنوب المقربين
فقال هي حسنات الابرار روي الجنيد رحمه الله تعالى بعد موته في المنام فقيل ما فعل الله
بك فقال وبخني على كلمة سبقت مني وذلك ان سنة احتبس المطر فقلت مع
الناس ما احوج الناس الى المطر فقال ما يدريك ان الناس يحتاجون الى المطر
تعلمني اني عليهم قدير وبحالهم خبير اذهب فقد غفرت لك روى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قيل مات فلان من اهل الصفة وترك دينارين
او درهمين فقال كيتان صلوا على صاحبكم وقد صح ان في الصحابة من خلف
مالا جما ولم ينكر عليه وانما انكرها هنا لانه خالف معنى دعواه الا ترى ان
الصلاة طاعة ولكن لمن لم يكن محدثا وقراة القران قربة ولكن لمن لم يكن جنبا
فمن صلى محدثا وقرا جنبا استحق المقت والعقوبة وقوله صلى الله عليه
وسلم من تشبه بقوم فهو منهم اراد التشبه بسيرتهم لا بلبسهم وروي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال من تزيا للناس بقوله ولباسه وخالف ذلك اعماله
فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين ثم ان لهم فيه ادابا واخلاقا
يحتاج المترخص الى معرفتها والتمسك بها ليكون متبركا برسمهم
متحليا بحليتهم الى ان يبلغ مقامات المحققين واحوالهم ومن رخصهم
اتخاذ الضيعة والاستناد الى المعلوم **وادابهم** في ذلك ان لا يتملكها
بل يجعلها في المصالح ولا يزيد على نفقة سنة له ولعياله ولمن يمونه
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم روي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون

عليه بخيل ولا ركاب فكانت له خاصة وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة
وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل ومنها الاشتغال
بالكسب لصاحب العيال والوالدين وادابهم في ذلك ان لا تشغله ذلك
عن اداء فروض الله عز وجل في اوقاتها ولا يراه سببا للرزق بل هو
معاونة للمساكين ولا يشتغل بذلك اكثر اوقاته بل يجتهد ان يجعل اوقات
كسبه من وقت الضحوة الى اخر صلاة الظهر ثم يرجع الى ما بين صحبه ويصلي
معهم الخمس الى ضحوة الغد وان فضل من كسبه عن نفقة عياله حتى آثر
به اخوانه واهل محبته ومنها السوال وادابهم في ذلك ان لا يسال الا وقت
الحاجة قدر الكفاية لمن يمونه ولا يبذل وجهه لمن يهون عليه رده قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالت فسل الصالحين ويتلطف في السوال من غير
تواضع فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله فقيرا تواضع
لغني لاجل ماله وروي عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال

لا تخضعن لمخلوق على طمع • فان ذاك وهن منك في الدين •
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين •
واسترزق الله مما في خزائنه • فان ذلك بين الكاف والنون •

وما يحصل من سواله لا يدخر في ماله بل يسلمه الى عياله ليفرغ قلبه عن شغلهم
ولا ينفقه بالسرف ولا يجعل السوال عادة ومعلوما له ومنها الاستدانة على
الله عز وجل وادابهم فيها ان يكون ذلك لمصالح الاخوان وعند الضرورة
ولا يغفل عن الاهتمام بالتوجه والاداء لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من ادان دينا وهو ينوي اداءه او قضاءه ومات ولم يترك وفاء قضى
الله تعالى لغريمه يوم القيمة ومنها حمل الزاد في الاسفار وادابهم في ذلك
ان لا يبخل به على من في صحبته ممن يحتاج اليه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان في سفر فامر ان ينادي الا من كان معه فضل زاد فليعد به

على من

على من لا زاد معه الا من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له فذكر من
الاصناف ما ذكر حتى ظننا انه ليس لنا في الفضل الذي معنا في ايدينا حق بل
هو لغيرنا ومنها الحج عن الغير بالاجرة وادابهم في ذلك ان لا يفعل ذلك الا عند
الضرورة ثم يجعل نفقته في ذهابه وقفوله من ذلك لا من السوال ولا من
الاوقاف قال النبي صلى الله عليه وسلم من حج عن ميت حجة كتب الله للميت حجة
وللحاج براءة من النار ومنها السفر والدوران في البلدان وادابهم في ذلك
ان يجعل ذلك وقصد زيارة اخ او استحلالا او طلب علم ثم يحصل في عرضه غرضه
ومنها القيام والحركة في السماع وادابهم في ذلك السماع مراعاة الوقت
وترك المداخلة والمزاحمة ما دام الوقت جدا وان كان طيبة يجوز ذلك على
سبيل المداعبة والفسحة والمطايبة من غير تنكر ولا اظهار حال ومنها
المزاح وادابهم في ذلك مجانبة الكذب والغيبة والمحاكاة والسخف وما يذهب
بالمروة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يواخذ المزاح الصادق في
مزاحه وعن علي عليه السلام انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر
الرجل من اصحابه اذا راه مغموما بالمداعبة ويكره الاكثار منه خاصة
لذوي الهيئات فقد قيل لا تمازح الشريف فيحقد ولا الدني فيجترئ عليك
وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت الى اصحابه مخافة ان يراهم يمزحون
فيتشوشون وكان ببعض اصحابه رمد العين فكان ياكل التمر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم تاكل التمر وبك رمد فقال يا رسول الله انما اكل بالجانب
السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها اظهار العلوم التي لا يبلغ
استعماله وادابهم في ذلك طلب الافادة والنصح والارشاد
قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها
كما سمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه
منه ومنها لبس المرقعات المعمولة وادابهم فيه مجانبة الشهوة منها

ولا يضيع اوقاته الاشتغال بها وتلفيق بعضها الى بعض والتجاوز في ترتيبها فان ذلك تفويت الوقت بلا فائدة دينية ولا دنياوية وكان المشايخ اذا رأوا الفقير يتجاوز في تزيين مرقعته ولباسه ازدروه حتى قال بعضهم لما فقدوا الغائب من بواطنهم اشتغلوا بالظواهر وتزيينها ورأى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الوفود ثيابا رثة فقال الك مال قال نعم قال فليُرَ عليك فتستحب التوسط في ذلك ومنها المعانقة عند الملاقاة وتقبيل بعضهم بعضا وادبهم في ذلك ان يكون مع اشكالهم وجنسهم ٥ واهل الانس منهم روي عن ابي الهيثم بن التيهان انه قال لقيني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة فاعتنقني وقبلني وسئل صلى الله عليه وسلم عن أصل المعانقة فقال اثبات المودة ومنها حب الرياسة وادبهم في ذلك ان يعرف قدر نفسه ويحفظ حده ولا يتمنى فوق قدره ولا يضعها عن درجته وقيل ارتفاع الجاهل فضيحة كارتفاع المصلوب وقيل الخمول خير للجاهل لان الخمول ستر لمعايبه والنباهة نشر لمثالبه ولا يطلب ما لا يناله فان ذلك يضيع ما في يده وقيل من اقتصر على قدره كان ابقى لجماله وجهه وقال بعض المشايخ آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ومنها التقرب الى السلاطين والدخول عليهم وادبهم فيه ان لا يركن الى مدح المادحين ولا يغتر بقولهم وان مُدح بخلاف ما يعرف من نفسه اعرض عنه قال الله تعالى ذاما لمن احب ان يحمد بما لم يفعل ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية وفيه دليل على من احب ان يحمد بما يفعل لم يأثم غير انه مخوف وليقل عند ذلك اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون يروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه سمع مدح مادح له فقال انا دون ما اظهرت وفوق ما اضمرت ومنها تعيير السفهاء بأسمائهم في حال الفجور والادب في ذلك ان لا يكون

لا

لا في مقابلة سوء ادب ويكون تعريضا لا تصريحا روي ان نفرا من اليهود حضروا عند النبي صلى الله عليه وسلم وآذوه وتنقصوا دينه فاشتد عليه فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله الاية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير ومنها اظهار الطاعات والعبادات وادبهم في ذلك ان يكون اظهارها ليتأدب بها مريد ويقتدي بها مبتدي ولا يلتفت الى قبول الخلق وردهم سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهر بالقراءة والاخفاء فقرأ ان تبدوا الصدقات فنعما هي الاية قلت هذا في الفضائل والنوافل فاما الفرائض فلا خلاف بين اهل العلم ان اظهارها اولى ومنها التنزه للنزهة وادبهم فيه ان يرتاد خلوة في كهف او موضعا مخلوا من انواع المنكر لئلا يتولد منه ما لا يقوم بازالته ثم يتأثم باصحابها ان اقام في مواضع المنكر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجاري ومنها النظر الى الملاهي وادبهم في ذلك مجانبة المحرمات والمنكرات منها ما حرم فعله حرم النظر اليه روي عن عائشة انها قالت كانت الحبشة تلعب وانا انظر اليهم في باب حجرتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه فلم ينصرف حتى كنت انا الذي انصرف ومنها حضور المجالس التي يجري فيها الخوض في نزهات الكلام وادبهم فيه اجتناب سماع الغيبة والمناكير منها روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الاشعار ويتذاكرون من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم ومنها تناول الاطعمة الطيبة وادبهم في ذلك ان لا يجعل عادة بل يكون ذلك بين فاقة سابقة ورياضة لاحقة ليشكر له ذلك روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الثريد وروي انه كان يعجبه الطيب والحلوا فلا يردهما حتى ينال منهما وقال صلى الله عليه وسلم انهسوا اللحم نهسا فانه اهنأ وامرأ

وقال صلى الله عليه وسلم سيد طعام اهل الجنة اللحم وسيد طعام أهل الدنيا اللحم
ومنها رهن الثياب على الطعام وادبهم في ذلك ان لا يكون ذلك الا عند الضرورة
رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي باوسق من الشعير ومنها
الهرب من الهوان ومن حمل الجفا والاذى وادبهم فيه طلب سلامة الصدر
واجتناب المعاداه قال بعض المشايخ الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين
قال الله تعالى حاكيا عن كليمه موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم وقال
الشافعي رحمة الله عليه اظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في
مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وقال صلى الله عليه وسلم ليس للمؤمن
ان يذل نفسه ومنها الانبساط الى الاصدقاء في دخول منازلهم والالمام
بهم من غير استدعاء وادبهم في ذلك تخصيص من يفرح بذلك ويعرف موضع
موضع ذلك من الاكرام وقصد النبي صلى الله عليه وسلم ابا الهيثم بن التيهان
ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقدم اليهم ما حضر من تمر ولبن فاكلوا
وشربوا وقال هذا من النعيم الذي تسألون عنه ومنها المعاتبة مع الاخوان
وادبهم فيها ان يقصد بذلك ازالة ما وجد عليه من قلبه لا التشفي بل
تطهير القلب من الغل والحقد وقبول عذر صاحبه فقد قيل ومنها

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من ارضاك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقيل ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد روي قنبر مولى علي بن ابي
طالب عليه السلام قال دخلت مع علي على عثمان رضي الله عنهما وهو امير
المؤمنين فاحب الخلوة فاومى الي علي بالتنحي فتنحيت ناحية فاخذ
عثمان يعاتب عليا وهو مطرق لا يتكلم فقال له لا تتكلم فقال ان قلت
لم اقل الا ما تكره وليس لك عندي الا ما تحب وحكي ان يحيى بن خالد
عاتب عبد الملك بن صالح في شيء كان بينهما فقال في ضمن كلامه انك
لحقود

لحقود فقال ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر في القلب فانهما لثابتان
عندي فلما تراضيا وقام عبد الملك قال يحيى هذا اجل قريش وما رايت
احدا ازين الحقد بعبارته حتى اذهب سماجته غيره ومنها مدح المذموم وذم
الممدوح وادبهم في ذلك ان يحفظ حدود الحق في الجانبين والا يتجاوز الى
متابعة النفس والقول بالهوى روي ان رجلين من سادات العرب حضرا
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمدح احدهما صاحبه فاطراه وقصر
صاحبه في اطرائه فوجد عليه من ذلك فاخذ يذكر مثالبه فانكر النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك منه فقال يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في
الاخرى والانسان لا يخلو من مناقب ومثالب والراضي لا يرى المثالب
والساخط لا يرى المناقب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا
ومنها هجران من يستحق ذلك وادبهم في ذلك ان يقصد اظهار الحق وتمحيق الباطل
والمعاداة في الله عز وجل هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه لتخلفهم
عن غزوة تبوك وامر اصحابه بهجرانهم وترك مجالستهم ومكالمتهم حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم الاية ومنها تخريق
المرقعات على اصحابها المزورين والادب في ذلك ان يقصد ابطال تمويهه
وخيانته وخديعته وتلبيسه قال الله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
اي مكرا وخديعة ومنزلتها منزلة الشعر المزور على منتحل نسب الشرف
وانه من اولاد العلوية فيجب انكار ذلك واظهار فساد ما ادعاه من النسب
لئلا يغتر بهم من لا يعرفهم امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدم المسجد الذي
اتخذوه ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين واحراقه لما علم قصدهم في اتخاذ ذلك
وان كان ظاهره مسجدا قال الله تعالى لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى
الاية وامر صلى الله عليه وسلم بقطع نخل بني النضير فانزل الله تعالى ما قطعتم
من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين

ومنها استجازة الكذب في المصالح وادبهم في ذلك طلب الاصلاح واظهار الحق قال الله تعالى في قصة ابراهيم صلوات الله عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بل فعله كبيرهم هذا وفي قصة داوود عليه السلام ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة حكي عن جعفر الصادق عليه السلام انه ناظر مرجيا عند ابي جعفر المنصور فقال جعفر اتي النبي صلى الله عليه وسلم بمرجي فامر بقتله فقال المرجي فقال المرجي مجيبا له واين كان الارجاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جعفر رضي الله تعالى عنه فدين لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين جئت به قال فيما استجزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فاحتج جعفر عليه بقصة ابراهيم عليه السلام وقصة داوود عليه السلام فانقطع المرجي ومنها زيارة العجائز وادبهم فيه ان يكون وقصده التقرب الى الله تعالى والتزاور فيه وطلب البركة والدعاء روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال قوموا بنا الى ام ايمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ومنها التكلف مع ابناء الدنيا والرؤساء والاطراء والقيام لهم وحسن الاقبال عليهم وادبهم في ذلك ان لا يكون طمعا في دنياهم ولا انتحاء جاه عندهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه سادات قريش فيكرمهم ويجلهم ويحسن مجالستهم وقال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ومنها البكاء عند المصيبة وادبهم في ذلك ان يكون ذلك من غير نوح ولا رفع صوت بكى النبي صلى الله عليه وسلم عند موت ابنه ابراهيم رضي الله عنه وقال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الرب وقال وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ومنها صحبة الاحداث وادبهم فيها ما قد مضى ذكره في باب ادب الصحبة ومنها اظهار البشر مع من يكرهه قلبه وادبهم في ذلك ان يكون القصد فيه طلب السلامة لا رياء ونفاقا روت عائشة ان رجلا استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا عنده فقال بئس اخو

العشيرة

العشيرة ثم اذن له فلما دخل الان له القول فتعجبت من ذلك فلما خرج سالته عن ذلك فقال يا عائشة ان من شر الناس من يكرمه الناس اتقاء فحشه وينشد الشافعي رضي الله تعالى عنه

لما عفوت ولم احقد على احد ... ارحت نفسي من هم العداوات

اني احيي عدوي عند رؤيته ... لادفع الشر عني بالتحيات

واظهر البشر للانسان ابغضه ... كانه قد ملا قلبي مسرات

ومنها التغافل ومباشرة الناس على اقدارهم ومقدار عقولهم والادب في ذلك طلب السلامة من غوائلهم وينشد

وانزلني طول النوى دار غربة ... اذا انا لاقيت الذي لا اشاكله

فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله

الاعتضاد بالسفهاء للملمات ودفع المضرات وادبهم فيه ان يقصدوا بذلك صيانة نعمهم وماء وجههم عن مواجهة غير اشكالهم قال الاحنف بن قيس اكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم النار والعار وروي ابن سيرين قال كان ابن عمر رضي الله عنهما يعجبه ان يصحبه سفيه ليرد سفه السفيه به عنه وينشد

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستاسد الحامي

ومنها ذكر من فيه عيب بما يكره وادبهم فيه ان لا يذكر من عيوب الناس الا ما اشتهروا منها لئلا يكون قد هتك حرمة مستورة روت عائشة رضي الله عنها انها كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عيينة بن حصن من غير استيذان فقال صلى الله عليه وسلم اين الاستيذان فقال ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت فلما خرج قلت من هذا قال مطاع احمق وقال صلى الله عليه وسلم للمستشيرة في امر الخاطبين اما فلان فشحيح واما فلان فلا يضع عصاه عن عاتقه وقال صلى الله عليه وسلم ان صفوان خبيث اللسان طيب القلب ومنها مواساة الشعراء وامثالهم وادبهم في ذلك ان يقصد صيانة عرضه عنهم وسلامة

دينه منهم واعطا سولهم او بعض مامولهم لكيلا يتّهموا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ما وقي الرجل به عرضه فهو صدقة وروي ان بعض الشعرا احضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده شعرا ذكر فيه غنايم حنين وقال

• أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع •

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فاعطي خمسا من الابل وكان اعطاه قبل ذلك اربعين فاكمل له مائة كما كان اعطى كل واحد من عيينة والاقرع وروي ان كعب بن زهير كان قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد اهدر دمه ثم اتاه مسلما ومدحه بالقصيدة المعروفة فقال فيها •

• نُبّئتُ ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مامول •

فكساه بردته التي اشتراها معاوية من ابن كعب وهي التي تلبسها الخلفا الى اليوم ومنها نهب النثار وادابهم فيه مجانبة الشرّة وان يقصد اخال الروس على صاحبه روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال شهدت املاك رجل من الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب النبي صلى الله عليه وسلم واملك الانصاري ثم قال على الالفة والخير والطاير الميمون دففوا على راس صاحبكم واقبلت السلال فيها الفواكه والسكر فنثر عليهم فامسك القوم ولم ينهبوا فقال صلى الله عليه وسلم ما ازين الحلم الا تنتهبوا فقالوا يا رسول الله نهيتنا عن النهبة يوم كذا وكذا فقال انما نهيتكم عن نهب العساكر ولم انهكم عن نهب الولايم ثم قال الا فانتهبوا قال معاذ ولقد رايته صلى الله عليه وسلم يجاذبنا ونجاذبه في ذلك النهاب ومنها الافتخار واظهار الدعوى وادابهم فيه ان يقصد به اظهار نعم الله تعالى عليه قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ويكون ذلك عند غلبات الحال ومفاخرة ضدّ قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر ادم فمن دونه تحت لواي ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وكان اذا رجع الى نفسه يقول انا ابن امراة كانت

تاكل

تاكل القديد انما انا عبد آكل كما ياكل العبد هوّن عليك فلست بملك انما انا عبد واما عند الضد فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه وفد تميم بخطيبهم وشاعرهم ليفاخروه دعا ثابت بن قيس وكان خطيبه فاجاب خطيبهم وغلبهم ودعا حسان بن ثابت وكان شاعره فاجاب شاعرهم وذكر في قصيدته •

• بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم •

• هبلتم علينا تفخرون وانتم • لنا خول من بين ظئر وخادم •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا اخا دارم ان تذكر ما ظننت ان الناس نسوه وكان قوله صلى الله عليه وسلم اشد عليهم من شعر حسان فقاموا مغلوبين مقهورين ثم اسلموا فاحسن اليهم وكساهم ومنها الجد والضجر عند وجود الحال وما لا يجب احتماله قولا وفعلا وادابهم في ذلك ان يجتنب الفحش والبذا ويحفظ حدود الحق ولا يتجاوزه الى الظلم فان الغضب اذا استولى غلب على العقل قال الله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من استجهل مومنا فعليه وزره وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار وقال الله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون قيل في التفسير كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويجتهد ان لا يغضب لنفسه بل يكون ذلك غيرة للحق سبحانه وتعالى وللاخوان روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه قط الا ان تنتهك محارم الله فينتقم لله تعالى وقيل لبعض العلماء انك تحتمل في نفسك ولا تحتمل في صديقك فقال لان احتمالي في نفسي حلم واحتمالي في صديقي لوم قال الشيخ الامام صاحب الكتاب هذا ما حضرني في الوقت من ادابهم في الرخص وذكرتها على الاختصار دون الاكثار وانا ابرا الى الله تعالى من الزلل والغلط واساله التجاوز عن ذلك وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

واليه أنيب ثم ان هذا المذهب له أحوال ومقامات وآداب ورخص فالرخص
ادناها فمن تمسك بالكل فهو من المتحققين ومن تمسك بالظواهر من الاخلاق
والآداب فهو من المترسمين ومن تمسك بالرخص وتأدب بما ذكرناه من آدابهم
فيها فهو من المتشبهين الصادقين الذين الحقهم النبي صلى الله عليه وسلم بهم بقوله
ومن تشبه بقوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم هذا اذا لازم
الاصول الثلاثة التي اجمع المشايخ على ان من أخل بها او بواحد منها فقد
خرج عن احكام المذهب وتعرى عنها وهي اداء الفرائض على وجهها
وتيسيرها واجتناب المحارم صغيرها وكبيرها وترك الدنيا على اهلها قليلها
وكثيرها الا ما لا بد للمؤمن منها وهي ما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم
منها فقال اربع من الدنيا وليست من الدنيا منها كسرة تسد بها جوعتك
وخرقة تواري بها عورتك وبيت يكنك من القر والحر وزوجة
صالحة تسكن اليها وما سوى ذلك فليس له فيه حق قيل للجنيد رحمه
الله ما تقول فيمن لم يبق فيه من الدنيا الا مقدار مص نواة هل يقع
عليه اسم التصوف قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فمن لازمها فهو من
المبتدين في المذهب وعليه ان يجد ويجتهد في طلب الزيادة والارتقاء
الى معالي الاحوال ليصير من المحققين قال بعض المشايخ من شق عليه
ركوب الاهوال لم يرتق الى معالي الاحوال ومن لم يرتق الى معالي الاحوال
لم يبلغ مراتب الرجال قال الله تعالى ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا ومن جانب الاصول او بعضها او انحط عن درجة الرخصة
فترك ما ذكرنا من آدابها فقد فارق المذهب وكان مجانبه وحرم
عليه ارفاقهم وارفاقهم ويلزم الجماعة مفارقته وهجرانه وابعاده
وخذلانه ومن داهنه منهم في شيء من ذلك فهو شريكه في عاديته ولا
عذر له فيه قال الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم جعلنا الله تعالى

من الصادقين

من الصادقين وألحقنا بالمحققين بمنه وجوده وعصمنا من الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ووفقنا لطلب مرضاته ما خفي منها وما علن ونفعنا وجميع المسلمين
بما جمعنا ولا جعله علينا وعلى من نظر فيه وبالا ولا جعل حظنا من ذلك
جمعه وحفظه دون استعماله ومتابعته بجوده وسعة رحمته انه عز
اسمه قريب مجيب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم
الوكيل فرغ تعليقه في خامس وعشرين بن نيد بحرم الحرام عام ...
احسن الله تقضيتها على خير من نسخة تاريخها خامس عشرين
... حادي الاخرين ثلاث ...
ثلاثه واربعين وسبعمية
والحمد لله وحده

ابن ابي الحلب الشاعر
ساد صغار الناس في عصرنا ... لا دام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم ان ينقضي ... صار به البيدق فرزانا

محمد عبد الله مصنف شرح الشهاب لما حضرته الوفاة
ها قد مددت يدي اليك فردها ... بالفضل لا بشماتة الاعداء

احمد محمد قاضي ... في قوله
ولما هويت الناس اطلب عندهم ... اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت في حالي رخاء وشدة ... وناديت في الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ... ولم أر فيما سرني غير حاسد
تمتعتما يا ناظري بنظرة ... فاوردتما قلبي أمر الموارد
أعيناي كفا عن فؤادي فانه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

محمد بن سعد البغدادي في قوله
أفدي الذي وكلني حبه ... بطول اعلال وامراض
ولست ادري بعد ذا كله ... ساخط مولاي ام راضي

[illegible]

قال سيدي عبد العال رضي الله تعالى عنه خدمت سيدي احمد البدوي
اربعين سنة ما رايته غفل عبادة الله تعالى طرفة عين وسالته رضي
الله عنه عن حقيقة الفقر الشرعي فقال للفقر اثنا عشر علامة لما روي
عن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه راى فقيرا يمشي في سوق
البصرة وهو يتبختر في مشيته فقال له فقير الامام علي رضي الله عنه
من انت فقال له فقير فقال له الامام ما علامة الفقر فقال له منك
نوخذ العلم يا ابا الحسن فقال الامام علي رضي الله عنه للفقر اثنا عشر
علامة الاولى ان يكون عارفا بالله تعالى الثانية ان يكون مراعيا
لاوامر الله تعالى مجتنبا لما نهى الله عنه الثالثة ان يكون متمسكا
بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الرابعة ان يكون دائما على طهارة
الخامسة ان يكون راضيا عن الله تعالى على كل حال السادسة ان يكون
موقنا بما عند الله تعالى السابعة ان يكون متحملا للاذى لله التاسعة
ان يكون مبادرا لاوامر الله تعالى العاشرة ان يكون شفوقا على الناس
الحادية عشر ان يكون متواضعا للناس الثانية عشر ان يعلم ان الشيطان
عدو له كما اخبر الله تعالى بقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
فلما سمع الفقير ذلك من الامام علي رضي الله عنه نزع مرقعته وقال والله لا
البسها بعد هذا اليوم ابدا اهـ مناقب سيدنا البدوي



